

رامي أحمد

ضمير فستتر
تقديره
هذي

إبداع
www.ayy.com

ساحر الكتب

www.ayy.com

سائر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

سائر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

« كل قارئ اقتطع من وقته علشان يقرأ
أجبك ... أحترمك ... أقدرك »

رامي أحمد

رامي أحمد

رواية

ضمير مستتر تقديره هي

المؤلف:	رامى أحمد
تصميم الغلاف:	رامى أحمد
المراجعة اللغوية:	مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع
رقم الإيداع:	2015 / 26493
الترقيم الدولي:	7 - 056 - 779 - 977 - 978
الإخراج الفني:	مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

جميع الحقوق محفوظة

وأى اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 97 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0223952354 - موبايل: 01142050403

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

رامي أحمد

رواية

ضمير مستتر تقديره هي



ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

www.sateralkutub.com

ساحر الكتب



ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

الإهداء

أهدي سطور هذا العمل إلى جميع أفراد عائلتي الكبيرة .. و أسرتي
الصغيرة الغالية ..

إلى أبي مرشدي في الحياة / أحمد مصطفى

إلى أمي التي أهدتني كل جميل / زينب محمد

شقيقي وشقيقتي / شادي أحمد - ياسمين أحمد .. ومسبيات البهجة
/ نور وروان ..

إلى كل أحببكم وأحبتي ..

ولكم أصدقائي :

محمد سالم - مصطفى محمود عبد الصادق - حسام الدين مصطفى
- إيمان شوشة - وائل مراد - محمد طارق - دعاء الأسود - محمد
هشام - مصطفى هاشم عثمان - أحمد البدري - محمد عبد الفتاح
- خالد رشدي - رانيا وشاحي - نرمين رسلان - نهى محب -
سمر العدل - هبة هارون - هيدي لاشين - داليا سامي - نشوى
عبد الحميد - بسام شعبان داوود - محمود ومهند المصري -
أحمد جلال - كريم أودين - محمد وكرم عبد العال - عبد الرحمن
نشأت - يحيى دوير - وسام الحديدي - ولاء عبد العزيز - مصطفى

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

الطحلاوي ، أحمد حسين شعبان.

ومع الشكر :

أحمد عبد العزيز سلام - شيماء عبد الصبور - أحمد عمرو سعودي
وعائلته - سارة الخشن - جهاد فؤاد أبو زيد - هديل سرحان -
مصطفى الفرماوي - مها صفوت .

إيكم خالص امتناني.. أنتم وكل من لا تحلو بدونهم الحياة .. حتى
وإن لم يسعفنِ مداد القلم ومساحة الأوراق لحصرهم ..
لكم أهدي هذه الرواية ..

**أيا سري المختبئ على رأس الحروف ولم أخبر به أحد ..
قد أفصح عنك يوماً .**

رامي أحمد

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

عند النهاية دوماً .. يبدأ كل شيء ..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

اليوم العشرون من شهر سبتمبر سنة ٢٠١٥ م

الساعة الخامسة وبضع دقائق فجرًا..

وهاأنذا أراقب بزوغ فجر اليوم الأخير ..

معلقة عيناى بسن القلم الثابت في يدي فوق كومة من الورق الأبيض وأنا
أجلس في بهوالفندق الذي خلى تمامًا إلا من عامل نظافة المكان الذي
ابتسم لي وهو ينحني مقتربًا لجمع بعض الوريقات الصغيرة وبقايا من
رماد سجائر تراكم عند قاعدة المطفأة المستقرة إلى جوارى متممًا:
- صباح الخير يا فندم..

لم تجبه سوى نظرة شرود منحتها له، استوعبها فانصرف تاركًا لي
شرودي أرمق به سماء الفجر عبر الواجهة الزجاجية الكبيرة أمامي..
هو بعض يوم تبقى ..

أي حيرةٍ تكتنفي الآن وأنا على أعتاب الساعات الأخيرة من رحلتي؟

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

وأي كلماتٍ تلك التي ينبغي لها أن تملأ سطور الأوراق الخالية أمامي؟؟
والسؤال الأهم..

أيُّنا الجدير بكتابتها؟؟ رجلٌ في انتظار لحظة وداع؟؟ أم آخر يصنع
لنفسه بداية جديدة؟؟

أيُّنا تحكم حقاً في مقاليد الأمر؟؟ أنا؟؟ أم هو؟؟ أم أن كلانا كان
مفعولاً به في يد قدر صاغ بنفسه كل شيء؟؟...

الحياة..

تلك الحدود المحيطة بحلقات مفرغة تسبح فيها مشاعرنا دوماً بين
واقع نحياه وآخر نأمله.. صورة ثابتة.. تلوّنها ملايين العيون الناظرة
إليها بعضاً حسب ما رأى .. وبعضاً حسب ما أحب.. نتشابه في
ظواهرنا.. بيد أن بواطننا تختلف.. بصمات لا تتطابق.. ونظرات نرى
بها ذات الأشياء بألف هيئة.. حتى السماء المطلة أمامي باهتة من
خلف زجاج واجهة المكان بدت له مختلفة.. تراها عينٌ خياله ممتدة
لمئات الكيلومترات بعيداً بصفائها الخاوي حتى الأسكندرية..

فوق البحر الذي تلاطمت أمواجه هناك.. يرصدها وقد تلوّنت عبر
العيون بألوان متناقضة.. إحداهما في الغرفة المعتمة بدفتها كانت..
يتخيل ملامحها كما وصفت له من قبل..

ساحر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

تبتسم متأملة الوجه الغارق في سباته على الفراش قريباً منها وهي
تتهي السلام الأخير من صلاتها قبل أن تنهض في نشاطٍ عجيبٍ
متجهة نحو الشرفة الصغيرة التي تراقصت الستارة الرقيقة أمامها..
نسمات الفجر الممتزجة برائحة اليُودِ المُحمَّلِ إليها من البحر تغازلها
بيرودة بعثت قشعريرة في جسدها وهي تتأمل كل ما يحيط في نَهَمٍ
للسعادة..

كل الأشياء من حولها تضحك .. الصباح بدأ جديداً.. وكأنه الأول
بالنسبة لها.. بريقٌ فضيٌّ يعلو الأشياء ويحتويها.. حالةٌ من التفاؤل
باتت كمنظارٍ أطلَّ من خلفه الوجود أمامها بألوانٍ زاهية.. هديلٌ
يمام.. وزقزقة عصافير.. مع خشخشة أوراق الزينة المعلقة فوق حبال
امتدت بعرض الشارع بين أعمدة الإنارة تتراقص بفعل النسيم وتعكس
الالتماعة الفضية المنبعثة من ضي قمرٍ لم يرحل تماماً بعد، فوق أرض
غطت بمبشور خشب ملون لازال حرف النون الأول من اسمها تبدو
معالمه واضحة فيه..

ساعات مضت على زفافها.. تلك ليلتها الأولى .. وهذا صباحها
الجديد .. عروسٌ كانت.. بوجهها الصُّبوح.. وملامحها التي أطلت بها
في انتظار شروقٍ أوَّل على وجه حياةٍ حتماً ستختلف.. اختلاف قررت
أن تصنعه.. بقلبٍ وجد من السعادة في أنه ما يكفي..

حالة عجيبة من النشوة تخامرها.. بالنسبة لها يبدو الوجود مألوفًا ..
ليس غريبًا إلى الحد الذي قد يبدو أحيانًا عليه.. ليس قاتمًا إلى تلك
الدرجة التي بدأ عليها في عين الأخرى.. تلك التي وقفت على بعد عدة
بنايات منها في ردهة منزلها تائهة ترى السماء أمامها عبر ستارٍ من
حزنٍ أسود ملبدة بغيمات يأس وهواء خانق قادم من بحر علا صوت
نحيبه ..

توصد من حولها النوافذ كلها.. واحدة تلو أخرى.. تدور ببصرها
مودعة كل ما في المكان.. كل الذكريات التي بدت لها فيها حماقتها..
على ملامحها ارتسم الألم.. وفوق مقلتيها لم تجف دموع جرح بعد..
تمتد يدها نحو الحقيبة الكبيرة جوارها تسحبها إلى الخارج.. حاملة
معها ذلك الدرس القاسي الذي لُقنته.. لم تبق الأمور كما تمت..
لكنها الآن تبدو برغم قسوتها أكثر وضوحًا.. هو أيضًا يومها الأخير..
يتسلل عبر أذنها طرف النغم المنبعث من المقهى الصغير المقابل
لبنايتها بصوت محمد عبد الوهاب..

نسيت معاك كل الهموم.. وقلت ليه ياريت يدوم .. ياريت يدوم
مرضتش يومها تقولى إيه قصدك يدوم لى..
الود .. الصد .. البعد .. ياريت هنانا دام لنا..

الآن سترحل..

تغلق الباب خلفها في أسي.. وتهبط مع جسدها المنهك وحقيبتها
الكبيرة..

الجوخانق.. والكتمة لا تطاق..

والعين المتحجرة دموعها لا تميز ذلك المقرب يعرض مساعداته
ويحمل عنها الحقيبة الثقيلة في يدها..
منكسرة كانت ..

هبطت مقصلة الحقيقة بكل عنف لتفصل بين حلمها والواقع..

يالها من واقع مرير!!

نحن أغرب ما في الوجود..

نحن الأكثر تعقيداً عن كل ما حولنا ..

لحظة واحدة قد تصنع منّا شخصاً آخر..

كلمة ما قد تغير لدينا كل المفاهيم..

ورغبة ما لأجلها قد نصنع المستحيل.. حتى وان كلفنا ذلك آلاف
الصدّامات فوق جدارٍ من الفضل..

كان هذا مارآه ..

ساحر الكتب

كل هذا دار في خاطره.. وأنا من خلف إطار المشهد أجلس.. متمصًا
باقتدار دور مشاهد لا زال يقبع في البهو المتسع بخلوه ممسكًا بالقلم
الشفوف لملء سطور قصاصة جديدة..

ولا زال السؤال يُراوده..

تلك السطور؟؟ بأي ضميرٍ صحَّ لها أن تُكتب؟؟

لحظة صمت.. وتهيئة طويلة حملت من الخواطر داخلي بقدر ما
حملت..

الآن يتحرك رأس القلم فوق السطور الخالية..

بسم الله الرحمن الرحيم..

هو يوم جديد وأخير..

يسدل به الستار فوق كل البدايات.. مُعلنًا نهاية جديدة..

لكل مناسب..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

أيها الموت... ..

انتظرنني خارج الأرض.. ..

انتظرنني في بلادك ريثما أنهى حديثاً عابراً مع ما تبقى من حياتي.

محمود درويش - شاعر فلسطيني

١٧ سبتمبر ٢٠١٥

حدثني عن الألم الذي سكنك ولا سبيل لك في مواراته ..
عن تلك النظرة المألوفة بالنسبة لي في عينيك ..
عن ذلك الحزن المتجسد فيه ينأس رجل .. فقدَ امرأة ..

هو ليس صدفةً لقاؤنا هذا .. لا شيء في الحياة يحدث صدفةً أو دون هدف ..

دعوني أبدأ الآن ثم انهمروا عليّ في النهاية بوابلِ أسئلتكم ..

لا داعي هنا للقلق .. ولا أجد مثيراً للريبة .. أنا صاحب الاسم المُذيل فوق بطاقة كانت معكم .. أنا الذي يتلمس خطواته الأولى فوق أعتاب العقد الرابع من عمره .. ربما يمنحكم وجهي المشوّه بالجروح أمامكم

ساحر الكتب ١٦

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

بعضاً من الإشمئزاز.. وربما أضاف لكم صوت صاروخ القطار المزعج الذي استخدموه في نزع الجبس الملتصق حول ساقي قليلاً من التوتر .. دعكم من رائحة مواد التطهير المميزة في المستشفى فتلك سرعان ما ستعتادوها ..

كنت هنا من قبل.. ربما ليست هي الذكرى التي أرغب في استرجاعها ولكني هنا كنت.. كان كل شيء بالنسبة لي حينها مختلف.. ولكنها ذات الرائحة التي اكتنفت أنفي ذلك المساء حين بات الهدوء هو المسيطر كالعادة في تلك الساعة المتأخرة من الليل داخل أروقة المكان البكاء التي خلت تماماً من أي صوت قبل أن تخرق صمتها الخطوات الزاحفة لأقدام إحدى الممرضات وهي تمر بزيتها الوردي متجهة نحو غرفتي .. كان الباب موارباً دفعته بكفها في هدوءٍ قبل أن تُطل برأسها إلى الداخل متطلعة نحوي بابتسامة العمل المعتادة قائلة:

- مساء الخير يا باشمهندس.. إيه الأخبار دلوقتِي؟

بعين ملاحظتها بأس الكون.. أشحت بوجهي بعيداً عنها دون جواب.. وأنا أرقد فوق ذلك الفراش الأبيض الوحيد بالغرفة..

كعادتي مُذ أتيت.. لم يكن صمتي بالأمر المُستنكر .. على الأقل بالنسبة لها.. لم تنتظر ردّاً مني واستطردت متسائلة:

- منممش لي لحد دلوقتِي؟ لو نور الطرقة مضايك أقفل لحضرتك

رفعت أصبعي مشيراً لها بلا وأنا أدير جسدي نحو الحائط بصعوبة مع ساقى المجبورة مغمفماً بصوت مختنق تماماً وبعبارة مقتضبة تحمل بين ثناياها أن رجاءً ارحلي:

- سيبويه مفتوح..

راقت ظلها الذي غطى جسدي وارتسم بقيته على الحائط أمامي وهي لا تزال متوقفة لبضع ثوانٍ أمام الباب قبل أن تقول:

- حاضر يا فندم.. تصبح على خير..

قالتها قبل أن تستطرد محاولةً بثَّ مسحةً من الأمل إلى روحي:

- على فكرة الدكتور النهاردة كان متفائل جداً برسم المخ اللي عملناه.. واضح إن حالتك بتتحسن بسرعة الحمد لله.. وبالنسبة للجيس بالكثير ١٥ يوم ونشيله..

لم تتلقَّ مني كالعادة أيَّ جواب.. فتنهَّدت ثم أكملت طريقها إلى الخارج بنفس الخطوات الزاحفة التي دغدغت تلافيف رأسي المحموم مع ابتعادها تدريجياً بالخارج حتى انعدمت..

كنت تعيساً حينها.. كنت أشبهك..

الحزن يعتصر قلبي بضراوةٍ لم أتخيل يوماً أن قلباً باستطاعته تحملها..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

لحظات من السكون مرّت وأنا بعيون لا تجف دموعها.. تترائى لي عبر الحائط الأبيض أوجاع عقلي المتشابكة التي ارتسمت فيه محاصرة وحدتي قبل أن يمحوها ذلك الظل المتسلل من خلفي ليملاً فراغ الحائط أمامي من جديد.. دون أن ألقت إليه عرفته..
إنه هو..

ذلك الطفل.. كعادته طيلة الأيام السابقة.. يتسلّل واقفاً أمام الباب.. منتظراً التفاتتي بتعاسة الكون إليه فيبتسم لي ثم يرحل.. هكذا في صمت.. ودون كلمة واحدة من كلانا.. ابتسامة كتلك التي استكرتها على ملامحي وأنا أقرب منك متأملاً الحزن في عينيك..
كان كأنما يكتسب سعادته من ثنايا وجهي الكئيب..

كررها كثيراً.. لم يُخلف أبداً موعده.. ولم تختلف على وجهه تلك الابتسامة التي يلقبها.. على الرغم من وجومي الدائم معه ومع الجميع.. سحقا له.. مالذي يفعله؟ يرتكب حماقة عدم ارتكاب حماقة.. لا أملك ما يثيرني ضده.. ولهذا السبب أنا مُثار.. تبا لك أيها الصغير فلترحل بابتسامتك البلهاء تلك بعيداً.. لن ألقت هذه المرة.. سأقبع مولياً له ظهري حتى يرحل..

ظل واقفاً في مكانه بجوار الباب كما بدا من ظله.. دون صوت.. ينتظر تلك الالتفاتة التي قررت أن لا تحدث.. سيعتقد أنني نائم.. وسيرحل..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

بالتأكيد هذا ما سيحدث..

أو هذا ما اعتقدته مخطئاً كنت حينها..

ظله المرتسم أمامي على الحائط، ظل ثابتاً كما هو رغم مرور الوقت..

يقف خلفي في صمتٍ صبور يدرك جيداً أنني أراه ومدرك لوجوده..

يقف متحدياً قراري بعدم الالتفات.. مُراهناً على صبري الذي نفذ

سريعاً..

يبدو أنه لا مفر.. لقد كسب هو الرهان.. وأخيراً هاأنذا أستدير ببطء

نحوه.. تماماً كما توقعت.. وجهه يحمل نفس الابتسامة.. ووجهي

العبوس يحمل نفس الحزن أيضاً..

آن وقت رحيلك الآن أيها الصبي.. فلترحل..

حدثتني نفسي بتلك العبارة وأنا أرمقه بملامحه غير الظاهرة على

الضوء الخافت بالحجرة المتسلل من خلفه عبر الرواق المضاء

بالخارج.. مرة أخرى كنت مخطئاً.. لم يرحل هذه المرة.. اعتدلت في

رقدتي متحفزاً وأنا أتابعه يقترب نحوي هذه المرة على غير عادته..

كانت ملامحه تتضح لي أكثر مع اقترابه.. رأسه الخالي تماماً من

الشعر.. وملامحه الدقيقة التي تحمل حسناً زادته الابتسامة الهادئة

على وجهه بهاءً..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

لا يبذل لي على هيئته أنه قد تخطى أعوامه التسعة بعد.. اقترب أكثر حتى بدت تفاصيل وجهه واضحة بشكل كامل أمامي..

شيء ما في ملامحه الهادئة يدفعني دفعاً لابتسامة من وسط كل القهر الذي أشعر به.. تلك الابتسامة المٌوجعة فوق وجه حمل من الهم كما لا حصر له.. مثلي لا يسعه الابتسام.. الحزن فقط هو كل ما يستحقه قلبي.. الحزن فقط.. بصوت هاديء بريء سمعته لأول مرة يخرج من بين شفثيه متمم:

- ليش ما بتتفل بابك عليك؟؟

كانت اللهجة العربية التي تحدث بها مألوفة بالنسبة لي.. تبدو كلهجة أهالي سيناء كما تنقلها لنا الأفلام.. لم أكن في استعداد لأي حوارٍ حينها.. لكن شيء ما لا أدرك كُنْه دفعني لاجابته بصوتي المختنق قائلاً:

- بخاف من الضلمة..

ضحك في بساطة من ردي الذي لم أقصد البتة به مزاحاً وهو يقول:

- وكيف بيخاف اللي في عمرك؟

تهتدت في ألم وأنا أرمق سقف المكان بنظرة شاردة متمماً:

- لما تكبر.. هتكتشف إن حاجات كثير أوي من اللي كانت بتخوفك

زمان كبرت برضو معاك.. صمت وهو ينظر نحوي.. كان يتأملني بعين
لم تر بين أثار خياطات الجروح التي شوهدت وجهي سوى الحزن..
وكنت أتأمله بدوري أنا الآخر..

أهذا لون بشرته أم أنه الشحوب؟؟

- باين عليك الحزن.

عبارة تقريرية بروح استفاهمية نطق بها منتظراً ردي الذي أتاه على
هيئة دمة احتبست فوق مقلتي مضية إليها بريقاً بدا رغم الظلمة
المحيطة.. دمة منعتها بقوة من أن تخرج عبر عين أضرم فيها الحزن
نيرانه فأمسّت بلون أحمر قانٍ ملتهب..

ما الذي أتى بك الان؟؟ وبأي فضول أحرق تودّ أن توقظ بركان الألم
الكامن داخلي؟؟ وكأننا قرأ الرد من عيني.. لم يكرر سؤاله ..

فقط صمت قليلاً.. ثم استطرده بعد برهة بعبارة جديدة حملت كل
براءته:

- حاول تضحك..

كلمتان أخيرتان كانتا بمثابة إشارة لكل الدموع في عيني أن انهمري..
بلا قدرة مني على المقاومة.. سألت دموعي الساخنة على وجنتي دون
توقف.. وتقطعت أنفاسي متهدّجة ببكاءٍ مرير وحادق..

ساحر الكتب ٢٢

رغم كل شيء لم تفارق وجهه الابتسامة.. مد يده يمسك بيدي..

- ربا.. ماهذه البرودة المنبعثة من كفه؟؟

الدموع تسال.. وبرودة الكف المتشبث لا تتلج قلبي الحزين..

يا للصورة المشوهة.. رجل شارف الأربعين من عمره يبكي بحرقة أمام
فتى صغير يبتسم..

تكلم الفتى.. أخيراً بعد فترة صمت تكلم قائلاً بهدوء وحكمة تجاوز بها
سنوات عمره:

- أنا ما بعرف من إيش حزنك.. وما بيدي أعرف.. اللي بعرفه إن ما في
سبب في الكون يخليك تبكي..

نظرت إليه ولم تتوقف الدموع في عيني عن الانهمار..

مالذي يريده مني؟؟

مالذي أتى به؟؟ وما هو مقصده؟؟

- انت مين وعمايز مني ايه بالضبط؟؟

نطقت بسؤالي وأنا أنظر نحوه في نضاد صبر دفعني إليه التوجس البادي
فوق ملامحي.. فاستقبله هو بابتسامته نفسها مجيباً:

- اسمي مروان.. نزيل هنا جارك.. وعندي تمنناشر سنة..

لم يكن رده واف لسؤالي الذي ألقيته وان أدهشني عمره الحقيقي الذي

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

بدا غير متناسب تمامًا مع مظهره فكرت:

- عايز مني إيه يا مروان؟

أجابني في سرعة:

- تضحك..

كان الصبر ينفذ تدريجيًا من جوف قلبي المختنق وأنا أقول:

- سيبني في حالي يا مروان.. سيبني مع نفسي دلوقتي عالأقل.. ولو

مش جايلك نوم ارجع أوضتك اسرح مع نفسك لحد ما يطلع علينا نهار

بكرة ويحلها ربنا..

اتسعت الابتسامة على وجهه وهو يقول:

- ومين قال إن فيه بكرة؟.. يجوز بكرة ماتشوفني..

تمتت وأنا أستدير مرة أخرى نحو الحائط موليًا له ظهري كإعلان

صريح عن رغبتني في إنهاء اللقاء:

- يبقى خير برضو.. تكون خرجت بالسلامة من هنا ان شاء الله..

قال بنفس الهدوء:

- ومين اتكلم عن خروج؟

تمتت مرة أخرى في تأفف متابعًا ظلّه على الحائط:

ساحر الكتب ٢٤

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

- مش انت اللي بتقول؟

هز الفتى رأسه يمناً ويساراً وهو يتابع:

- أنا ما قلت إني خارج .. بس كمان أربع ساعات معاد العملية بتاعتي ..

عقدت حاجباي في ترُقُب دون أن يرى هو ذلك وأنا أنتظر بقية جملته التي استطردها:

- أنا عندي ورم في المخ .. ورم خبيث .. محتاج عملية بيقلوا إن نسبة نجاحها تقريباً مع الأمل واحد في المليون ..

ازداد ترُقُبي أكثر مع كلماته دون أن التفت نحوه وهو يكمل في بطاء:

- تفكر انت فرصة نجاة واحدة بس .. بتملك قرارها في وسط مليون طريق للموت؟

هنا .. اعتدلت في رقدتي ملتفتاً مرة أخرى نحوه لتفاجئني ابتسامته التي وجدتها لم تزل فوق الوجه مرتسمة بكل هدوء ..

حينها .. عقدت الحاجبين أكثر .. وانبثق من عيناى التي ضاقت حدقاتهما ذلك البريق المُفعم بأقصى حدود الدهشة والفضول ..

تماماً كهذا الذي أراه في أعين كليكما الآن ..

ساحر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

- ١ -

من منّا لم يرسم في طفولته الشمس كدائرة صفراء بعينين وفم
يبتسم؟؟ ومن منّا لم يتوقف عن ذلك حين لقنوه بإصرارٍ أن الشمس
لا عين لها.. وأنها لا تبتسم..

#خيال

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

تجتاح قلبي ما بين الفترة والأخرى ومضات لا أجد في نفسي غضاضة
من البوح بها.. ينتابني الخوف أحيانا من أن أكون إحدى أولاء اللواتي
أضعن الحياة ركضا خلف سراب لا وجود له.. وحيدة.. أحيا بقلب طفلة
متحررة.. مر قطار الواقع بي سريعا لم ألمم من محطاته سوى بضعة
أحلام وخواطر سجلتها على أوراق كراسة خضراء لاتفارقني.. أعشق
الحياة بطريقتي الخاصة.. بعيدا عن القواعد المنصوصة.. غير أنه
عشق لم يبرأ تماما من بقايا قلق يقضي إلى تفكير..

نادرة هي تلك الفتاة التي تجدها مقبلة في جوف وحدتها على الأربعين
دون قلق.. لكنها بكل التأكيد ليست حمقاء..

لن أصف نفسي أبدا بالحماقة.. ولن يجعلني الخوف منساقا خلف
مفروضات وضعها من قبلي جبناء لم يدركوا للحياة هدفا كالذي
أدركته منذ كنت صغيرة يتخلل نسيم الأمل ضفائري..

ووجدنا هاهنا لنحيا الحياة كما أردنا.. لا لتحيانا هي.. سأمضي كما أنا
دوما.. وحيدة طالما دامت الوحدة سبيلا للحرية التي أبتغيها..

٢٧
ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ولن تقيدني سوى يد رجل أرى في عينيه تفهماً واحتراماً لذاتي..

رجل لديه من الحب ما يكفي للتفهم.. ولديه من المرونة ما أستحق

ليتغير من أجلي.. رجل فكر ملياً قبل أن يُخبرني بأنه مستعد لذلك..

رجل أرى في عينيه لهفة صادقة.. واستلهم من نظراته لي - قبل حتى

أن يخبرني - خواطر أملأ بها صفحة جديدة.. من صفحات مفكرة

خضراء اللون..

لا تفارقني..

الإمضاء / ندى

جَميلة عينيكي على فكرة..
هواك سببك وضي عينيك بَعَثْهالي..
أمانة متسهاش بكرة..
دي أجمل كلمة ممكن يوم تقولهاالي .

((ورقة أولى.. في مفكرة خضراء))

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

القاهرة..

منذ سبعة أعوام تساءل..

ما الذي جذبه إليها؟؟

من يوم التقاها بمحض صدفة في حفل قران لشقيقة أحد أصدقائه..

عيناه المُعلقتان بسكناتها وحركاتها منذ الوصول كان انجذابهما لها

غير طبيعي.. لماذا تبدو مختلفة في المكان أمامه عن الآخرين؟؟

وهو الرّزين المُتّزن دومًا أمام الجميع.. باتت عيناه المتلهفتان في

لحظاتها بين زحام الموجودين كلما اختفت يبحثان عنها..

- ايه يا درش؟؟ تايه مع ميبيبيبين؟

نطقها صديقه وهو يرّمقه بنظرة من التقط الخيط الموصول بسهم

كيوبيد الذي انغرس حتى آخره في قلبه ملتفًا حول أصابعها التي تخللت

خصلات شعرها الأسود تحاول تصنيفه من بعيد منشغلة بمحادثة رفيقاتها اللاتي بدین كوصيفاتٍ حول ملكة وحيدة في نظره..
تخطى عقده الثالث بأعوام..

ربما هذا هو الوقت المناسب للارتباط.. لماذا قفزت مثل تلك الفكرة إلى رأسه بغتة هكذا؟

هي بحق جميلة.. كما أن كل أقرانه من نفس السن تقريباً سبقوه وأمست لهم حياتهم وأسرهم الخاصة.. لكن لا..

لا ينبغي له التعجل في اتخاذ قرار كهذا.. لازال بطبيعته يعتقد ذلك.. إنه اللقاء الأول على أية حال.. ودون حديث.. كان يراقبها من بعيد فقط..

مانعُهُ في الاقتراب منها التردد وبعض الخجل.. في اعتقاده أن ما يشعر به الآن هو مجرد اعجاب.. لم يكن من أولاء المؤمنين بفكرة الحب من أول نظرة.. هذا الجو الحافل المبهج من حوله ربما كان سبباً من أسباب تهيئة قلبه لتحويل شعورٍ مبدئيٍّ بالإعجاب إلى حب.. عليه أن يفسح المجال لعقله بعض الشيء..

عليه أن يتروى..

- هيا اسمها ايه صحيح؟

ساحر الكتب ٣٢

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

لم يمنعه الحذر من إلقاء السؤال بدافع فضوله لصاحبه غير آبه بتلك
الغمزة التي قذفه بها الأخير وهو يجيب:

- اسمها ندى يا سيدي.. صاحبة أختي.. ومش مرتبطة.. تحب أخيها
تكلّمها لك؟؟

يتوقف عقله متردداً في اتخاذ قرار حاسم مرة أخرى.. ثم يهز الرأس
يمنة ويساراً في صمت..

لا لم يئن الأوان بعد..

أمورٌ كتلك.. لا تؤخذ هكذا غرة..

سيأتي اليقين على مهل..

وسيتيح هو للفكرة المساحة التي تكفيها لطرق أبوابه مرات أخرى..

ستمر عليه الأعوام فيعتادها أكثر.. يألّف رؤيتها.. محادثتها.. والسؤال
عنها إن أغضت إحدى المناسبات..

كيف وصل انجذابه لها إلى هذا الحد؟؟

تردده وعقلانيته المفرطة لاتزالان سيدتا قراره..

عام آخر يمر.. ولحظة انشاء أخرى يجلس فيها أمامها على طاولة
صغيرة في أحد المطاعم حيث لبّت دعوته الأولى لها على العشاء
كصديق بات لها مألوفاً وباتت له مريحة..

ساحر الكتب

كانت مميزة .. تكتب الشعر أو ما أسمته خواطرها في مفكرة صغيرة لا تفارقها..

هي حقاً تختلف عن الآخرين.. هذا يجذبه.. ويقلقه في ذات الوقت..
انه لشيء مريب أن تعشق شاعرة..

جعله هذا متردداً حتى السنوات الأخيرة المتبقية له من عقده الثالث..

وحتى فبراير ٢٠١٥..

لا يذكر اليوم تحديداً.. لكن بإمكانه البحث فوراً عن تذكرتي حديقة الحيوان المدسوستان بيدها في محفظته..

وضعتهما حينها وطلبت منه الاحتفاظ بهما كذكرى ليوم مميز.. هكذا كانت.. تعشق التفاصيل البسيطة.. تلك التي لا يلقي لها هو بالاً..

هناك.. حيث وقف متطلعاً إليها قائلاً وهو يلتقط لها آخر صورة من أمام الأسد الرابض خلفها في قفصه:

- انتي غريبة فعلاً يا ندى.. ساعات بحسك طايشة في كل حاجة في حياتك.. دماغك مش راكزة على حاجة حتى في شغلك.. دي مثلاً رابع شغلانة تسببها خلال سنة.. انتي مبتعرفيش تستقري في حته كدا

خالص؟؟

أجابته بضحكة وهي تعاود السير إلى جواره:

- على فكرة عادي.. دا شغل يعني متحسنينش إني بغير جلدني..
وبعدين يمكن عشان لسه ملقيتش المكان اللي أحس إني مستريحة
فيه.. ثم أصلاً بدمتك أنا اللي غريبة؟؟ دا أنا مش عارفة انت اللي
ازاي قادر تستحمل شغل المهندسين الممل بتاعك كل السنين دي؟؟ لأ
وايه؟؟ في شركة واحدة كمان ..

عدّل من وضع نظارته المائلة فوق أنفه قائلاً وهو ينظر فيما حوله
محاولاً تحاشي النظر إليها:

- أنا باضمن لنفسي الاستقرار يا بنتي؟؟ هو فيه أهم منه؟؟

توقفت أمامه مشيرة بسبأبتها في وجهه قائلة:

- أيوة طبعا.. الحياة نفسها أهم..

رفع أحد حاجبيه في صمت.. ثم عاد مكملاً سيره قبل أن يستطرد:

- مش هاخلص معاكي بفلسفتك الغريبة للحياة دي.. بجد أنا نفسي
أفهمك..

ضحكت متممة:

- والله أنا مش صعبة أوي كدة.. أنا اللي انت عايز تشوفه..

ابتسم لها قائلاً:

ساحر الكتب

- أنا مش شايف إلا واحدة مجنونة.. بس جنان يتحب.. تعرفي ان دي أول مرة حد ياخدني وأنا كبير كده جنينة الحيوانات؟ متوقعتش خالص إن يكون دا اقتراحك واحنا بنتفق على خروجة امبارح..

ثم تساءل:

- صحيح مش هتوريني كتبتي إية جديد في كراسة الشعر بتاعتك؟ مدت يدها نحو حقيبتها تتشبث بها وتبعدها عن متناول يده قائلة في دلال مرح:

- يا سلام يا خويا.. عشان تعمل زي المرة اللي فاتت؟.. دا بُعدك.. أنهت عبارتها ثم استطردت في لهفة وهي تشير إلى ما اتجهت نحوه عيناها:

- الله.. البجع.. أنا ازاي متصورتش معاه؟..

قالتها ثم اندفعت بخطوات مهرولة نحوه في حين صاح هو بشكل فجائي وهو يراقبها تبتعد:

- تتجوزيني يا ندى؟

توقفت في منتصف الطريق عن العدو..

الآن لديه الإجابة النهائية على سؤاله..

لن ينجذب لدونها..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

بوجهها المشرق المقعم بالدهشة التفتت نحوه:

- ايه ٩٩

ابتسم لها في دهشة هو الآخر مكرراً:

- أنا بحبك وعمايز أتجوزك.. تتجوزيني ٩٩

للمرة الأولى في حياته يختبر شعور الاندفاع ..

لأول مرة يتنازل أخيراً عن كل مخاوفه ويلغي كل الحسابات..

ولأول مرة يكتشف..

إنه لشيء رائع حقاً..

أن تعشق شاعرة..

٣٧
ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

الأسكندرية..

بسُعاله الخشن المستمر شرع درويش في تعديل ملابسه مغطياً ظهره العاري داخل تلك العيادة الصغيرة متابعاً طبيبه الشاب الذي خلع عن أذنه السماعات الطبية وهو يعود لتدوين بعض ملاحظاته على ورقة فوق مكتبه قائلاً:

- لا ألف سلامة عليك يا عم درويش.. بص أنا هكتبلك شوية حاجات كدا تمشي عليها الفترة الجاية وهتبقى زي الفل ياذن الله..
هبط درويش من فوق سرير الفحص متجهاً للجلوس على الكرسي المقابل للرجل وهو يغتمغم:

- هو فيه إيه المرادي يا دكتور؟ الكحة طولت معايا أوي..
مُنهمكاً في الكتابة أشار الطبيب بيده له دون أن يرفع عينيه نحوه وقال:
- عادي يا حاج ولا يهمك الموضوع بسيط.. والكحة دي طبيعي مع

النزلة الشعبية الحادة اللي عندك.. بس لازم تأخذ بالك.. السن ليه أحكامه وانت النهاردة داخل عالستين.. أنا مش بخوفك بس عايزك تبطل تتعافى على نفسك شوية..

ثم رفع عينيه اليه مستطردًا:

- وخذ الدواء اللي هاكتبلك عليه.. مش هتخسر حاجة يعني..

مطّ درويش شفّتيه وهو يقول في امتعاض:

- دوا ايه بس يا بني؟ هو انت مش هتكتبلي على حاجة للكحة وخلص؟

أوماً الرجل برأسه أن نعم متممًا:

- أيوة أكيد.. بس فيه كمان مضاد حيوي وهكتبلك معاه شوية مقويات

وفيتامينات لازم برضو تمشي عليهم..

رفع درويش حاجبيه في غير اقتناع وهو يقلب كفيه متسائلًا:

- فيتامينات ايه ومقويات ايه يا دكتور؟ محسّسني إنك بتكشف على

عيل صغير..

ضحك الطبيب الشاب ضحكة قصيرة وهو ينتزع الورقة من دفتره

الصغير ويناولها لدرويش قائلاً:

- أهو العند بتاعك ده مع احترامي ليك هو اللي محسّسني إني بتعامل

مع طفل صغير.. بالله عليك تليّنها شوية يا عم درويش.. الدماغ اللي

ساحر الكتب

زي الحجر دي انت بتفتري بيها على نفسك.. اسمع كلامي المرة دي..
هز درويش رأسه وهو يتناول الورقة متطلعاً فيها قبل أن يقلبها مرة
أخرى في مواجهة محدثه قائلاً:

- قتلتي دوا الكحة أنهى بقى فيهم؟؟

صمت الطبيب لحظة رامتاً إياه بنظرة يائسة وقد فهم مبتغاه قبل أن
يشير له مغمغماً:

- تاني واحد يا عم درويش.. السطر التاني بعد المضاد الحيوي على
طول..

ثم استطرد:

- بس والله ما هيفيد بحاجة لوحده من غير الأدوية الثانية اللي انا
كاتبها لك دي.. أبوس رجلك يا شيخ لتسمع الكلام.. وحياة والدي اللي
كان صاحبك..

تمتم درويش وهو يسعل في حدة:

- خليها على الله يا دكتور.. خليها على الله..

تنهّد الطبيب تنهيدة طويلة ملاً فيها صدره من الهواء البارد في الغرفة
وهو يقول:

- ونعم بالله يا حاج.. بس أذ..

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

منعه درويش من استكمال عبارته وهو يقاطعه قائلاً:

- عارف يا بني؟ زمان لما كنت باجي لأبوك الله يرحمه العيادة.. كان يفضل يقوللي برضو زيك كده.. انت عنيد يا درويش.. انت ماشي بدماغك.. وخلي بالك الدنيا مش عايزة كده... خلي بالك انت غلط .. انت كذا.. انت كذا.. وكان ساعات يجي يقوللي اني طيب أوي.. طيب وعبيط.. بتتقي الحطة اللي فيها أذى وتروحها.. زي ماتكون قاصد.. مع اني والله يا بني ما باقصد..

كان يتحدث وعيناه تدوران في المكان كأنما يقرأ الماضي المكتوب فوق جدرانه.. معلقاً تلك الدمعة على مقلتيه يحاول إضاعتها..

لم يشأ أن تفضحه عيناه أمام الطبيب الشاب الذي قبع في مكانه خلف المكتب ينظر نحوه في صمت فتحامل على مشاعره وأكمل:

- والنهاردة أديني اهو.. لسه واقف ومكمل قدامك.. أنا مبقولش إنه الله يرحمه أبوك كان غلطان.. ولا بقول أبداً ان انا اللي كنت صح.. أنا عارف اني غلط.. بس جايز الغلط ده مريحني .. عارف ليه؟..

نطق عبارته الاستفهامية الأخيرة والتقط أنفاسه بعدها قبل أن يستطرد دون أن ينتظر من الطبيب إجابة:

- عشان الحاجة الوحيدة الصح اللي عملتها في حياتي هي أكثر حاجة ضررتي..

لم يفهم الطبيب جملته الأخيرة.. ولم يحاول هو تفسيرها..

قالها فقط ثم نهض متجهاً نحو الباب ليرحل..

كان رغم الألم البادي في صوته يمشي بخطوات متماسكة إلى خارج المكان وكأنما يستنكر الضعف على نفسه.. كان صلداً إلى حد لا يمكن وصفه.. حاداً.. عنيداً.. صنيعاً ماضٍ يصر كل الإصرار على إخفائه.. مع ذكريات لا يألم بها سواه.. ذكريات عادت به إلى نحو ثلاثة وعشرين سنة مضت..

حيث وقف على عتبة باب الغرفة في منزله القديم التي رقدت هي فيها أمامه فوق الفراش يبدو الاجهاد جلياً على وجهها رغم ابتسامتها الواهنة وهي تحتضن بين ذراعيها ذلك الجسد الملتف الصغير الذي لثم بضمه الدقيق صدرها مستقبلاً أولى قطرات اللبن منه ثم تمتم في حنان:

- حمدلله عالسلامة...

بصوتها الواهن أجابته:

- الله يسلمك..

اقترب منها في خطوات متلهفة متمدداً فوق الفراش بقربها وهو يطالع الوجه الصغير ذا العينين الناعستين ثم مد يده يداعب وجنتيها بأصابعه في حذر وهو يقول:

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- شبهك يا رجاء.. زي القمر..

ابتسمت رجاء قائلة:

- تدويرة الوش دي هتكون واخداها من مين غيرك؟.. أكيد لو واخده
حلاوة هتبقى منك انت..

ابتسم بدوره لها وعيناه مع قلبه معلقتان بتحركات الصغيرة وسكناتها..
لحظة طويلة من الصمت المتأمل قطعها وهو يتمتم:

- تصدقي واخدة من أمي الله يرحمها؟.. نفس درجة العسلي الفاتح
بتاعة العين..

اهتز صدرها بضحكة خرجت مجهدة وهي تقول:

- وانت عرفت لون عنيتها من دلوقتي؟ دي لسه قدامها بتاع ثلاثين يوم
قدام تغير في ألوان..

هز رأسه بلا مؤكداً:

- اسمعي مني.. عنيتها عسلي..

قالها وهو يتابع تأمل الوجه الملائكي الصغير قبل أن يعتدل رافعاً عينه
نحو رجاء متسائلاً:

- صحيح.. متفقناش لحد دلوقتي.. هنسميها ايه؟

أشارت له بيدها مع هزة كتف قائلة:

- معرفش براحتك.. أنا قلتك عالإسمين اللي في بالي وانت نقي بينهم..

مطَّ شفتيه وهو يقول:

- ياسلام؟؟ واشمعنى من اللي انتي نقيتيهم؟؟ مانا كمان قلتك على اسمين عاجبني ممكن انتي اللي تنقي بينهم؟؟
ضحكت مرة أخرى بصعوبة مغمفمة:

- طب والعمل ايه دلوقتي؟؟ هنسيب البنت كده من غير اسم؟؟
حكَّ بيده ذقنة النامية مفكرًا لثوان.. قبل أن يقول:

- بصي أنا جتلي فكرة.. احنا نعمل قرعة في ورق عالأسامي كلها..
وانتي تختاري منهم.. والاسم اللي هتختاريه هيبقى اسمها.. تمام؟؟
هزت رأسها..

- تمام..

نهض في سرعة من مكانه محضرًا الأربع وريقات والقلم، وسجّل على كل ورقة منهن اسمًا.. بينما قالت هي في تشكك:

- درويش.. اوعى تكون بتكتب في كل الورق حاجة واحدة.. هعرف على فكرة وهشوفهم كلهم بعد ما نخلص..

ضحك هذه المرة وهو منهمك في الكتابة وتطبيق الوريقات قائلاً:

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- عيب عليكى..

قالها ثم جمع الكرات الورقية الصغيرة في يده.. ورَجَّهم بين كفيه
مستطرِّداً وهو يلقيهم إلى جوارها:

- يلا ورينا اسم حبيبة قلبي ايه؟

مدَّت يدها نحو الكرات الأربع متجولة بأصابعها بينهم في تفكير قبل أن
تحسم أمرها باختيار إحداها..

صمت هو الآخر مترقباً وهي ترفعها بيديها وتفك بهدوء مفعم بالفضول
تكويرتها..

الآن يبدو الاسم المكتوب عليها واضحاً..

- نرمين ..

الأسكندرية

- هو الموريستان اللي احنا عايشين فيه دا مش هيخلص وللا ايه؟؟
بلكنة متأففة وصوت مرتفع صاح ناصر بالعبارة وهو يتمدد فوق الأريكة شبه المتهالكة أمام التلفاز في منزله الضيق بسيط الأثاث يتابع أحد الأفلام القديمة وصوت خطيب الجمعة يرتفع من الخارج عبر مكبر صوت معلق في إحدى زوايا الصلاة القريبة موجهاً الحديث إلى حياة التي وقفت في المطبخ المجاور بجسدها الضئيل المنهك حاملة فوق ذراعها طفلهما الرضيع الذي لم يكف عن صراخه المتواصل..
وفي ارتباك صَنَعَهُ وَقَعَ العبارة المستكرة لها وتلك الأجواء المتوترة..
أجابته وهي تهدد الصغير في محاولة لإسكاته:
- أعمل ايه بس؟؟ الواد مولع نار وأنا مش عارفه أتصرف؟؟ بعمله كمادات مية من الصبح ومش نافع معاه..
ثم استطرقت متابعة:

- انت مش نازل تصلي؟؟

صاح بنفس اللهجة الغاضبة:

- يعني هو الواحد خلاص مش مكتوبله يتهنَّى بساعة راحة واحدة يقضيها في البيت ده؟ أروح أولع في نفسي؟

اتجهت نحوه مستمرة في محاولات تهدئة رضيعها.. والقلق البادي على ملامحها يعبر عن رغبتها في إرضائه قائلة:

- بعد الشر عليك يا ناصر.. أنا بسأل بس لو نازل تعدي على الصيدلية تشوفلنا أي دوا أو خافض حرارة عشان ابنك.. الحرارة مش عايزة تنزل خالص..

لوح بيده في وجهها صائحًا:

- طب ما تتصلي بالزفت الصيدلية من عندك هنا.. أنا مش سايبلك نمرتهم جوه فوق الكومودينو؟ وللا هو أنا لازم أتھري مشاوير وخالص؟

تلعثت بعض الشيء في قلقٍ وهي تغمغم:

- أبدًا والله مقصدش كده.. كل الحكاية إني من غيرك مبعرفش أتصرف..

قالتها صادقة في كل حرف..

هي لا تشعر بالأمان إلا معه..

٤٧
ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

هو وحده..

بنظرة مستنكرة رمقها قائلاً:

- دا على أساس إنك صعب تكلمهم في الصيدلية تطلبي دوا لعيل ٤٠
يوم حرارته عالية وعنده ضيق في التنفس.. هياكلوكي في التلفزيون مش
كده؟؟

صمتت كاتمة الضيق من نبرته الساخرة بداخلها..

ناصر.. نصفها الآخر.. ورفيق طفولة شاركته فيها نفس البيت بعد
رحيل والدها..

لم تعتبره أبداً كزوج فقط.. كان الأخ والأب أيضاً بالنسبة لها..

كان وسيلة هروبها الوحيدة من عالم خارجي لم تجسر يوماً على
اقتحامه..

عالم موحش أمسى خوفها الفطري منه وطبيعتها المسالمة النائبة عن
المشاكل حائلاً بينها وبينه ..

تخشى الاضطرابات.. وتتوتر من مجرد تخيلها أو الاقتراب إلى
حدودها..

كانت وحيدةً ضعيفة كل ماترغب فيه سلام نفسي منغلقة ضلقاته على
أسرة صغيرة يحتويها هو فيها مع ذلك الرضيع الرائد فوق ذراعيها لم

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

يبلغ الشهرين من عمره بعد..

هو عصبي هذه الفترة..

في غير استعداد لأن يفهم..

في غير استعداد للوصول إلى ذات الدرجة من الاقتناع بها وباحتياجها
الشديد الدائم لاحتوائه..

لم يكن يكرهها.. لم يصل إلى تلك الدرجة بعد..

تشعر أحياناً بحبه.. ربما ليس بدرجة كافية.. لكنها تكفي لنفي تهمة
الكرهية عن قلبه لها..

هي تعلم ذلك..

تقرأه في عينيه تماماً كما تقرأ الذكرى المتشبهة بخواطره دوماً ..

ذكرى صباح مضت سنوات ثلاث عليه.. كانت تقبع فيه صامته من
خلف باب غرفتها في المنزل القديم.. تراقب عمها الجالس في صمت
على مائدة الافطار يتأمله وقد وقف ملتقطاً بيده بعض لقيمات من
الطعام حشرها في فمه على عجل.. استعداداً للانطلاق كعادته خارجاً
قبل أن يقول له:

- بتاكل وانت واقف ليه؟؟ اقعد افطر كويس..

أجابه ناصر بضم يملؤه الطعام:

ساحر الكتب

عادي بقى يا حاج.. أوام أوام كده عشان ورايا النهاردة حوارات كتير عايز أنجزها..

تهند الرجل ثم قال متخذاً قرار الإفصاح عن رغبته الحقيقية:

- اقعد بس شوية عايز أخذ رأيك في موضوع مهم..

نظر له ناصر في حيرة متوقفاً عن مضغ الطعام.. ثم سحب كرسيًا جلس عليه في انتظار ما سيقال..

- انت مش ناوي تفرحنا أنا وأمك بيك؟؟ خلاص بقى عندك ٢٦ سنة

وخلصت المعهد وبشوية مجهود تقدر تشيل نفسك وتفتح بيت.. انت

مش شايف كده برضو واللا الفكرة مش في دماغك أساساً؟؟

أكمل مضغ ما بفمه.. ثم مد يده ملتقطاً بيضة شرع في تمشيرها وهو يقول:

- أكيد في دماغي.. بس ربنا يسهل يا حاج.. كله بأوان..

لم يكن عمها من هواة إضاعة الوقت.. مرة أخرى أفصح عن مقصده بشكل مباشر قائلاً:

- طب ورأيك ايه في حياة بنت عمك؟؟

اضطربت خلجات قلبها عند سماع السؤال وأطرقت السمع.. وهي تدفع

الباب مضيقاً فرجته المواربة أكثر بحركة لا شعورية كأنما خشت تسلل

اضطرابها من بين جدران الحجرة الصغيرة.. في حين قضم ناصر

نصف البيضة بأسنانه مغمغماً:

- مالها حياة.. أختي الصغيرة.. بنت جدعة وزى العسل.

شاركها الأب تنهيدة الارتياح التي خرجت منها وهو يقول:

- طب عال الحمد لله.. نتوكل على الله بقى..

تساءل:

- نتوكل على الله في ايه يا بابا أنا مش فاهم؟

حرك الرجل كتفيه مع رقبته مغمغماً في بساطة:

- هو إيه اللي انت مش فاهمه يا عبيط؟ أنا قصدي طالما إنك مرتاح

لها والبنت الصراحة متعيبش.. يبقى تكمل معاها نص دينك..

تتجوزوا..

انحشر الطعام في حلقة للحظة قبل أن يبتلعه بصعوبة مكررا في

تساؤل:

- نتجوز؟

عضت من مكمونها طرف شفثها السفلي في ترقب بينما أوما الآخر

برأسه ايجاباً وهو يستطرد:

- يابني البنت زي الفل وبنتنا ومربينا وسطنا من ساعة ما أخويا الله

يرحمه مات.. وعمرها ما طلعت برأنا.. يعني تربية إيدينا.. وانت مش

هتلاقي لو لقيت الدنيا أضمن ولا أحسن من كده.. وبصراحة يا بني أنا
خايف عالبت دي.. عمك كان موصيني عليها قبل ما يموت .. والحمد
للّٰه ربيتها زي مارييتك بالضبط .. بس عايز على آخر أيامي كده أبقى
مطمئن عليكوا انتوا الاتنين مع بعض في بيت واحد..

حاول حينها أن يتمم بعبارة اعتراضية ما قطعها عليه والده وهو يكمل:
- أمك على فكرة برضو رأيها من رأيي.. وبعدين انت هتعترض ليه؟؟
الحمد للّٰه إنت لاناقص إيد ولا رجل.. ومفيش واحدة تانية شاغلة بالك
مثلاً عشان أقول ان في موانع..

ثم مد يده ممسكًا بها كتف الأخير أمامه متابعًا:

- كمان متقلقش.. بالنسبة للشقة محلولة.. شقة الرمل اللي بقيت
من ورثي أنا وعمك هتبقى بتاعتكو.. هيا سبحان الله ربنا راسمها
ومقسمها كده.. وبالنسبة لمصاريف فرح أو شبكة متشغلش بالك.. أنا
شايل الليلة دي.. دا لو كنا أصلاً محتاجين فلوس عشان نفرح احنا سوا
كأهل في بعضينا.. قلت ايه؟؟ نتوكل على الله؟؟

كان الصمت إجابته.. واللهفة نصيبها للحظات غمغم الأب بعدها:

- طيب .. على كل حال.. قلبّ القصة كدا في دماغك وهستنى منك
رد.. وربنا يقدم اللي فيه الخير..

ظل ناصر على صمته لحظات أخرى.. يتطلع إلى الطعام أمامه فوق

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

المائدة في شرود وفمه يلوك بقايا مافيه مفكراً..

كانت الفكرة مفاجئة بالنسبة له.. والقرار المطالب به صعب للغاية..

الحيرة بين صحة ما يقول والده.. وبين حقيقة ما يريد هو..

إن حياة بالفعل فتاة رائعة..

ولكن بالنسبة له يبدو الأمر منطقيًا أكثر مما ينبغي..

روتينية الوضع تفقده جنون حب بقلبه الشاب يصبو اليه..

محاولات التقرب.. الغزل المستتر.. والنظرات المختلصة..

أشياء من هذا القبيل..

رباه..

لقد نجح الأب في شغل باله واستفزاز تفكيره بشكل كبير..

تمتم بسؤاله محاولاً إزاحه الحيرة بعيداً عن عاتقه:

- طب يابا مش يمكن هيا حياة اللي متبقاش موافقة أصلاً؟ أنا مش

فاهم انت وأمي إيه اللي خلاكوا تفكروا في الموضوع دا أصلاً؟

سؤاله لم يكن موجهاً في حقيقته لوالده فقط.. من مكانها أيضاً شغلتها

الإجابة التي نطق الرجل بها دون تفكير:

- يابني في حاجات كدا بتبقى مخلوقالنا.. زيك انت وحياة بالضبط..

صدقني اتخلقتوا لبعض..

لم تدر بأي من المشاعر تقبلت تلك الإجابة..

أهي مشاعر الحب؟..

أم أنه الاستسلام لواقع لم تملك فيه اختيار؟..

هي في كل الأحوال تواقفه..

هي في كل الأحوال ترضى..

هي في كل الأحوال تحبه.. كأخ كان أو كزوج..

وهي في كل الأحوال ستقبع مترقبة ومنتظرة ما سترتبه الأيام التالية حتى ارتباطهما..

هل تزوجها بضغفٍ من الظروف ووالده فقط؟..

أم لم يجد للاختيار بدائلًا؟

لا تعلم.. ولن تشغل بالها كثيرًا..

دلائل حبه باتت تظهر لها في تصرفاته البسيطة.. رغم مساحة واسعة من الجمود في معاملته معها..

تصرفات اعتمدت عليها في بادئ الأمر.. ثم حملت ماتبقى من مسئولية تجاه الحب فوق عاتق العشرة والزم من..

الزمن وحدة قادر على تهذيب فروع المشاعر غير المتناسقة بداخلنا..
هذا ما تؤمن هي به..

ويبدو في نظرته المستنكرة لها الآن احتياج الزمن في مهمته لمزيد
من الصبر..

توقف انهماك صور ذكرياتها الخاطفة عند تلك النقطة فعادت لواقعها
وهي تقف أمامه مفكرة قبل أن تتمم مرة أخرى بصوت هامس متردد:
- أنا بس بقول يمكن لو كلمتهم انت يكون أحسن..

قطع عبارتها بنفس اللهجة الغاضبة وهو يقول:

- بقولك ايه؟ امشي من قدامي يا حياة دلوقتي.. شوفي هتعملي ايه
وبطلي تلايك فارغة..

قالها ثم أدار وجهه مرة أخرى نحو التلفاز قبل أن يزفر في ضيق
مستدركاً:

- وللا أقولك؟ أنا اللي هغور أشربلي كبايتين شاي عالقهوة أبرك
ماللي هشربهم هنا بالسم..

كان نهوضه بعد العبارة مفاجئاً جفلت له متراجعة إلى الوراء بطفلها
خشية أن يرتطم في طريق خروجه بهما فهمت يده بحركة لا شعورية

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

تمسك بها وهو يتمتم رغم عصبيته بصوت خافت:

- خلي بالك..

جزء من الثانية جمعت ملامحه فيها بين خليط من القلق والشفقة والتعاطف قبل أن يتبخروا في الجزء الثاني منها لتعود إليه عصبيته متجهاً بها نحو الباب الذي فتحه واندفع خارجاً يهبط درجات السلم المتهالكة قفزاً ببيجامته الصيفية وشعر أشعث أنساه التأفف تصفيفه متجهاً بخطوتين سريعتين عَبْرَ بهما الشارع نحو تلك المقهى القابعة على الرصيف المقابل لمنزله..

كان جوها هادئاً بتلك العتمة الطبيعية داخلها وصوت محمد عبد الوهاب المنبعث كعادته رخيماً من المذياع القديم فيها..

من قد ايه كنا هنا .. من شهر فات وللا سنة ..

صاحب المقهى يعشق هذه الأغنية..

يكاد البعض يجزم أنه لا يملك في شريط الكاسيت المتهالك خاصته سواها.. اختار إحدى الطاولات داخل المكان وسحب لنفسه كرسيًا قربها جلس عليه أسفل صورة كبيرة معلقة على الحائط خلفه لبروس لي لم يكن هناك مغزى من وضعها سوى الاعتقاد بأنها ستضفي للمكان القديم في عقبه جواً مأمولاً من الشبابية والتجديد..

فجوة زمنية متسعة بين جيلين اعتقد بعقليته القديمة أن صورة كتلك

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

قادرة على تقليصها..

- يا عم مكرم وحياة عيالك يا أخي تشيل صورة الراجل الطيب ده وانزل بصورة لهيفا واللا لجون سينا حتى.. صدقتي هتعمل معاك شغل أحسن من كده.

قالها محدثاً مكرم صاحب المقهى طاعن السن الذي اقترب منه بظهره المحني وصوته الواهن كعادته قائلاً وكأنه لم يسمعه:

- ازيك يا ناصر يا بني.. أجيبك الشاي وللا هتشرّب حاجة ساقعة؟؟

أيام ما كنا لبعضنا.. والدر غافل عنا..

رفع ناصر عينيه نحوه وهو يجيب محاولاً الاستمتاع بالخلوة النفسية التي هيأها له المكان:

- الحمد لله.. بخير.. وخلي الشاي شوية كده بس أخذ نفسي..

هز مكرم رأسه بعلامة التفهم وهو يتمتم:

- حاضر.. لما تعوزه ابقى نادي علياً..

تلقت ناصر حوله في المكان الصغير متسائلاً:

- سمعت عبد الوهاب من برة قلت أكيد انت لوحدك النهاردة.. أمال بيشوي فين صحيح؟؟

ابتسم ابتسامة بسيطة بدت فوق خطوط التجاعيد التي امتلأ بها وجهه

ساحر الكتب

وهو ينحني ماسحًا الطاولة أمام ناصر بقطعة قماش متسخة في يده
مجيبًا:

لا يشوي مبيجيش الجمعة.. بيقتضيه أجازة مع أصحابه ..

مریت هنا واشتقت إليك ولساعة من عمري هنية ..

والبدروانت وضى عنيك.. بينورو الليل حواليه ..

قال عبارته الأولى ثم أكمل..

- بس تعرف.. أَرْوَق.. أديني شغال على مهلي مع التلات تراييزات اللي
في المكان.. ومعايا حبيبي عبد الوهاب مسليني.. يشوي لما بيكون
موجود مبتهناش على طرب من ده.. كله مهرجانات وصداع مش عارف
أنا شباب اليومين دول بيتمزجوا بيها ازاي..

هز ناصر رأسه في صمت.. يبدو أن خلوته انقطعت في وجود عجوز
خالي البال لديه رغبة في خوض أحاديث فارغة..

- يارب نخلص..

تمتم بها في نفسه دون أن ينطقها..

وكانما انغلقت أبواب السماء في وجه أمنيته البسيطة.. وجد العجوز
يتابع وهو يقترب منه جالسًا فوق الكرسي المقابل له رافعًا طرف
جلبابه بعض الشيء ليكشف عن قدمين نحيلتين نفرت فيهما العروق

ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

وهو يتابع الحديث:

- بصّ صحيح كنت عايز آخذ رأيك.. بنفكر نجيب شاشة في المكان
عشان أيام الدوري اللي قرب ده.. ووصلة كدا قاللي عليها الواد بيشوي..
الشاشة الجديدة اللي من غير ضهر دي.. عارف تعمل كام دلوقتي؟؟
هز ناصر رأسها نفيًا وهو يقول محاولاً إنهاء الحديث والتملص من
الحوار وصاحبه:

- لا والله يا عم مكرم.. معنديش فكرة.. بس عموما لو عرفت حاجة
هزاو لك فيها على طول ..
رد مكرم:

- ياريت يابني يحميك ربنا.. عشان هنجيبها الشاشة دي.. وساعة
الماتش نعمل زي قهوة صاحبنا اللي عالناصية.. هناخد الحنة
الصغيرة اللي قدامنا دي ونقرش فيها كراسي للناس تتفرج.. وللا انت
شايف إيه؟؟

لم تكن عبارته سوى تكرار مقتبس من الأولى.. لا إضافة فيها بغرض
وحيد هو استحداث علامة استفهام جديدة.. تضمن استمرار ناصر
في الحوار معه..

هذا الرجل يصرُّ بجديّة على إضاعة لحظة هدوء نفسي يتوقُّ لها
الأخير..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- شايف انك تجيبنا كبايتين شاي وتبطل رغي شوية.

صاح بها عبودة - عامل الصيدلية البدين - الذي بدأ كمخلص وهو يقترب منهم بجسد مكتنز.. لم يزينه كرش منتفخ بعد.. قبل أن يسلم عليهما مُكَملاً بلهجةٍ مرحة:

- أصلك مش فاهم يا ناصر.. طول مانت مطلبتش حاجة هيفضل عم مكرم على دماغك.. يعني هيا حاجة من اتنين.. يا جيبلك الشاي.. يا جيبلك صداع.

ضحك مكرم في لامبالاة وهو ينهض بصعوبة لتحضير كوبي الشاي بينما جلس عبوده إلى جوار صديقه الذي تسائل في مل:

- هما خلصوا الصلاة برة وللا لسه؟

نظر له عبودة في غير فهم فكرر:

- الجمعة.. خلصت وللا لأ؟

هز عبودة كتفيه قائلاً:

- معرفش مخدتش بالي وأنا جي .. اشمعنى؟

شرد ناصر بعينيه في الفراغ مجاوباً:

- مفيش.. عادي بسأل..

أطلق عبودة ضحكة قصيرة وهو يقول:

- إنت بتهذي يا صاحبي.. يخرب بيت الملل..

ثم مال مُطالِعاً ما تعرضه شاشة التلفاز الصغير أمامهم قائلاً في لهجة يكسوها الاهتمام:

- حلو الفيلم ده.. اتفرج دي أجمد لقطة فيه.. البطل معموله كمين من العصابة وهو لسه ميعرفش..

ألقى ناصر نظرة سريعة نحو الشاشة قبل أن يمدّ شفثيه قائلاً:

- عارفه.. البت اللي معاهم أم أحمر دي هتطلع في الآخر مرسياه عالحوار..

ضرب عبوده سطح الطاولة بكف يده في انزعاج وهو يقول:

- أيوووه عليك يا ناصر.. حرقتلي أم الفيلم اللّهُ يخرب بيتك..

رمقه ناصر بنظرة مستنكرة قائلاً:

- والله؟؟ محسنني انك أول مرة تتفرج عليه.. دي القنوات من سنتين سبتجيبش غيره..

شمغم عبوده في لهجة حانقة:

-- أيوه يا عمي عارف.. بس أدينا بنسلي وقتنا وخلص.. أي حاجة تقتل

الملل اللي الواحد عايش فيه دلول اليوم دا..

قالها ثم استطرد بعد لحظة صمت متأملاً وجه صاحبه:

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

مالك يا صاحبي؟ شكلك مخنوق النهاردة.

"هل يخبره؟"

جال السؤال في رأس ناصر وهو ينظر له بدوره متممًا:

- عادي.. قرف الدنيا الطبيعي.. متشغلش بالك..

قالها بلسان غلبته المباديء لا الرغبة..

داخله حشد من هموم يرغب في البوح بها عن ظروف أثقلت روحه مع كاهله..

لولا أنه من غير المقبول أن يجعل الرجل من أمور حياته الشخصية حديثًا على مقهى.. لتحدث..

لولا أن محدثه لم يكن من أولئك الذين قد يشعرون براحة في الحديث معهم.. لتكلم واستفاض..

لكنه آثر السكوت.. تنفيذًا لمبدأ كافكا الذي لم يسمع به من قبل...

"كلما عرف الآخرون عن معاناة المرء زادت معاناته.. وان لم تزد أصبحت أقل طهارة".

صدافتها على أية حال لم تصل إلى تلك الدرجة.. لم تكن مرتته الأولى التي يسأل نفسه فيها ذات السؤال.. هل يشاركه همومه وضيقة وأسباب اكتئابه؟ في غمرة الاحتياج إلى ذلك يزفر زفرة حارة تحمل

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ما يعتمل في نفسه من هموم..

- شكلها مشاكل في البيت.

يتمتم بها عبوده..محاولاً سبر أغوار الصمت بداخله فيوميء برأسه
إيمائه وجد فيها ما يكفي من إفصاح..

اعتدل بعدها في مقعده وكأنما تذكر أمراً ما وهو يقول:

- صحيح انت اللي رايح النهاردة الصيدلية وللا الواد الرخم الثاني؟؟..

أجابه عبوده وهو يلتقط كوب الشاي المقابل له من فوق صينية صغيرة
هبط بها فوق طاولتهم مكرم لتوه ملتقطاً معه محاولة ناصر لتغيير دفء
الحوار:

- أيوه يا غالي أنا اللي رايح النهاردة ..

ثم ارتشف رشفة من الكوب في يده قبل أن يتابع:

- الواد الثاني خلاص ساب الشغل.. دبّرته إسفين عند الدكتور من
يومين خلاه يديله استمارة ستة..

ضحك ناصر ضحكة قصيرة وهو يغمغم:

- يا ابن اللذين ..

بأدله عبوده ضحكته القصيرة ثم استنهم:

- اشمعى.. بتسأل ليه؟؟

حرّك ناصر يده الممسكة بعلبة سجائر أخرج منها لتوّه واحدة دسها بين شفّتيه وأشعلها قائلاً:

- أبداً.. المدام بس احتمال تتصل بيك.. عايزين خافض حرارة للواد ابني.. بص عموماً.. في أي وقت سواء اتصلت أو جتلك .. أيّا كان.. مش هوصيك يا عبودة.. شوف ايه اللي يلزم وابعته.. وأنا وانت نبقى نتحاسب بعدين..

التقت عبوده نحوه بجسده الممتليء.. رافعاً احدى حاجبيه وهو يقول في استنكار:

- إيه ده يا ناصر؟؟ عيب عليك والنعمة.. بتوصيني على إيه يا عم انت؟؟

أنهى جملته مع دخول الحاج درويش إلى المكان.. بجلبابة الأبيض.. وسجادة الصلاة الصغيرة التي ألقاها مطوية فوق ذراعه فالتفت الاثنان نحوه وعبودة يصيح مُرحّباً:

- أهلاااااان أبو الدراويش؟؟ عامل ايه يا حجيح؟؟ دعيتلنا معاك في الصلاة ولا نسيت؟؟

بهدوئة المعتاد وردوده الجافة أجابه درويش وهو يمد يده لتحيّتهم قبل أن يختار لنفسه مقعداً ثالثاً بينهم:

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- لا ازاى انسى ٩٩ عمرها ما تحصل.. دعيتك يحميك ويخليك..

تعجب عبودة من الرد الذي بدأ رقيقاً على غير العادة من الأخير
فابتسم قائلاً:

- إيه دا.. ٩٩ لا دا كده احنا نطلبك واحد قهوة على حسابنا شكر
وعرفان عال دعوة دي..

أشار الحاج درويش بيده أن لا داعي وهو يقول:

- حبيبي.. يحميك في نار جهنم ويخليك عبرة لغيرك.. كفي نفسك..
القهوة أنا طالبها وهاخذها معايا عالكشك.. بس استنى.. صحيح
فكرتني ..

قالها وهو يمد يده في إحدى جيوب جليابه باحثاً عن ورقة ما أخرجها
ومدَّ يده بها للأخير مستطرداً:

- هاتلي دوا الكحة اللي موجود في الروشنة دي وابعتهولي مع أي عيّل
على الكشك.. وبلغني حسابه كام.. أهى أي مصلحة تانية غير الكلام
نطلع بيها منك..

انفجر عبودة ضاحكاً بعد عبارة درويش في حين انحنى الأخير نحو
ناصر يسأله:

- وانت عامل إيه يازفت وأخبار المسخوط الصغير إيه ٩٩

٦٥
ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

لم يكن درويش بطبيعة شخصيته التي عهدا فيه الجميع من أولاء المتبسطين في تعاملهم مع الغير.. تصاحبه دومًا تلك الهالة من الجدية والهيبة..

عجوزٌ يُخفي أوجاعه خلف جفاء المشاعر وجفاف الأسلوب.. يمتلك تلكم العينان اللاتي يشعرا نك باختراقهم التام لك.. هذا رجلٌ رأى من الدنيا الكثير حتى ملَّ منها.. لم يعد شيئاً فيها يُدهشه أو يستهويه.. وحده ابن ناصر كان من أهم بنود قائمة اهتماماته.. بشكلٍ واضح كان يُحب ذلك الرضيع.. يهتم لأمره.. يعشقه ذلك العشق المعروف واللامعروف.. عشق يبدي جانباً حسيّاً فيه لا يتماشى البتّة مع توجّمه وملامحه المتربّصة لكل ما حوله على الدوام..

تمتم ناصر بالرد:

- الحمد لله بخير.. سخن شوية بس ادعيله..

عقد درويش حاجبيه في اهتمام قائلًا:

- اللهم أنت الشافي المعافي يارب.. خير بس ماله؟؟

تدخل عبودة قائلًا وهو يرمق الساعة في يده:

- بقول ايه.. هقوم أنا ألحق أروح الصيدلية عشان الدكتور زمانه برضو خلص صلاة في الجامع وهي عدي يعمل جرد الأسبوع.. وانت يا ناصر زي ما قلتك.. متحطش في دماغك الكلام العبيط ده.. وقت اما تحتاج

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

أي حاجة انت وللا الجماعة أنا موجود..

قالها ثم نهض مودعًا وانطلق إلى خارج المكان بعد محاسبة مكرم الذي وقف له على مدخل المكان بالمرصاد..

في حين غمغم درويش وكأنما يحادث نفسه:

- ما بارتاحلوش أنا الواد ده..

ثم التفت نحو ناصر مرة أخرى قائلاً:

- لو سخونية ابنك بس هيا اللي قالبه وشك كده يبقى أنا ما بفهمش..

نفت ناصر الزفير الأخير من لفافة التبغ المنتهية بين أصابعه قبل أن يلقيها أرضاً ليدهسها بقدمه قائلاً:

- أكيد طبعاً عيا الواد مشيلني الهم ومغير مودي.. بس الباقي انت عارفه.. ظروف كرب وعيشة كرب.. حتى المشاعر اللي جوانا يا عم درويش.. لما مبتلاقيش منفذ.. حبستها جؤانا بتخلق برضو كرب..

كان درويش ينصت له في اهتمام بالغ وتفهم تام لما بين السطور والكلمات.. صمت قليلاً بعد انتهاء العبارة وهو لا يزال على حاله.. ثم هز رأسه بلا معنى مغمغماً:

- إنت وحياة عاملين إيه مع بعض؟..

ظهر في الأفق فوق صينية قادمة في تلك اللحظة فنجان القهوة الخاص

به فنهض ليلتقطه من مكانه قبل أن يستقر على الطاولة وهو يشير
لناصر بيده أن انهض قائلاً:

- القهوة جت أهى.. قوم يلا تعالى معايا نكمل كلامنا عند الكشك..
في انسياق نهض ناصر معه في اتجاه الكشك الذي فتحه درويش
ساحباً من داخله كرسيًا خشبيًا وضعه ليجلس عليه في حين اختار
ناصر حافة الرصيف بعد أن مسح بكفه بعضاً من التراب المستقر
فوقه دون اهتمام..

جمع الصمت بينهم للحظات ارتشف فيها درويش بضع رشفات من
قهوته قبل أن يسأل:

- مقلتليش برضو.. عامل إيه مع حياة؟؟ في أي جديد؟
لم يلتفت إليه ناصر.. بلسان فاقد للأمل ورأس مطرق.. وأصابع أخذ
يداعب بها بعض الحصى فوق الأرض بلا هدف أجاب:

- العادي يعني يا عم درويش.. مستني مني جديد إيه أحكيهولك؟؟
هز درويش رأسه متفهمًا ما يجول في رأسه..
ناصر..

الشباب الطموح الذي وجد نفسه فجأة كبائع جائل صاحب فرشاة ملابس
قطنية يحتقرها كما يحتقر حاله والظروف..

ساحر الكتب ٦٨

بوضوح تبدو في عينيه دوماً غُصَّة عدم الرضا التي تقف حائلاً وهمياً
بينه وبين السعادة..

كل ما يُفرض يُرفض.. وإن كان في فرضه المصلحة.. هكذا انطوت
عنده الأمور في مفهومها..

تكالبت كل الظروف وتكاتفت ضده.. كما يرى.. سواء النفسي منها أو
المادي..

وقفت حائلاً بينه وبين ما كان يصبو اليه..

كل هذا يعرفه درويش..

هو يعلم كل شيء عنه..

عن حاله..

عمله..

وأيضاً عن حياة .. ابنة عمه.. والزوجة التي اعتبرها فرضاً عليه ككل
ما يحيط به من أقدار..

أتت كل ريجه بعكس ما اشتتهت سفنه.. فانساق بالقهر مضطراً
التجديف معها..

هو غير راض عن كل شيء..

بخبرته كعجوز في قراءة عين يئست.. ورأس أطرقها الهموم أمامه..

٦٩
ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

هو ليس بحاجة لإجابة سؤال يدرك سلفاً رده..

تتهّد في تفهّم فقط قائلاً:

- بص يا زفت.. لو فضلت عمرك كله تلوم الدنيا عالي اديتهولك..
هيضيع منك.. وبرضو مش هتديك غيره.. الأرزاق متقسمة عالكل
يابني.. ارضى انت بس باللي اتقسملك..

أطرق ناصر برأسه أكثر وهو يزفر زفرة حارة بينما درويش يتابع:

- ارضى يا ابني باللي في إيدك واحمد ربك عليه.. اه شغلانتك
على القد بس حلال وساتراك.. احمد ربك عليها.. ومراتك يمكن اه
الظروف هيا اللي جمعت بينكو.. لكن دا ميخليهاش أبدا حمل عليك
.. انت متأكد أكثر مني إنها بنت حلال.. ولو كنت لفيت العالم مكنتش
هتلاقي واحدة أحسن منها تستحملك وتستحمل ظروفك.. فاحمد ربك
عليها..

تمتم ناصر وهو يمط شفثيه في ضيق:

- وهي يعني الظروف دي أنا اللي مختارها؟؟

أجابه درويش:

- وجودك في الدنيا نفسه كان قدر مش اختيار..

ثم ابتسم وشرّد ببصره لحظات قبل أن يعود له قائلاً:

- هو انت بتكرهها يا ناصر؟؟

صمت ناصر..

كان سؤالاً مبالغتاً صعبت عليه إجابته... بدأ هذا واضحاً في انعقاد حاجبيه ونظرة الشرود التي ارتسمت فوق ملامحه..

هل حقاً يكرهها؟؟

هل بالفعل تُسبب له كل الأذى النفسي المسيطر على حيويته وتفاعله مع الحياة؟؟ لم يصل به تفكيره سوى لعقدة من الخيوط المتشابكة يصعب عليه حلها.. فخرجت كلماته بعد الصمت بالإجابة قائلاً:

- مبكرهاش هي.. أنا بكره الظروف.. حياة بنت عمي.. أنا يمكن بس حبيتها حب الإخوات.. طول عمري شايفها على إنها أختي.. مش قادر لحد دلوقتي أستوعبها في صورة تانية غير كده.. بقالنا سنتين ونص متجوزين واهو كمان ربنا كرمنا من شهرين بعيل صغير ولسه كل ده وانا مش قادر أقتنع بالوضع..

أشار درويش له قائلاً:

- دا عشان انت يا ناصر اللي مش عايز تقتنع.. المشكلة عمرها ما كانت فيها.. المشكلة فيك انت.. انت اللي فسرت الحب يا ابني.. حطيته في علبة قفلتها وكتبت عليها من برة تصنيفة واحدة مش قادر تغييرها.. مع إن الحب ملوش شكل معين.. الحب زي المية يا ناصر.. بيتشكل حسب

٧١
ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

الكاس اللي اتحط فيه.. صدقتي حبك لحياة لوشيلته من كاس الأخوة
ومليت بيه كاس جوازكوا هيتلمي.. انت عارف ده كويس.. وتقدر عليه..
بس انت اللي مش عايز تعمله..

كانت كلمات العجوز تتوقف على أعتاب أذن هذا الأخير عاجزة عن
المرور إلى عقله وهو يتابع:

- انت باصص لقصص حب من برة سمعت عنها يمكن أو اتحكيتك..
فاكر ان دا في كل الحالات بيعيش ويبقى السبب الوحيد للاستمرار
بين أي اتنين.. متعرفش انه بيدوب في كاس ثاني بعد فترة.. سواء
كاس العشرة أو الملل.. والاتنين احنا بنفسنا برضو اللي بنختارهم..
مش حد ثاني..

أنهى عبارته وقد التقطت عيناه عدم الاقتناع البادي على وجه ناصر
أمامه فزفر في ضيق متمتماً:

- باتكلم مع صنم أنا شكلي..

انبعثت ضحكة قصيرة مهمومة من بين شفتي ناصر قبل أن يقول:

- لا والله يا حاج.. كلامك صح وعالورق مقنع وزى الفل.. بس في

الواقع الدنيا مبتمشيش كده؟؟

سأله درويش في اهتمام:

ساحر الكتب

- آمال بتمشي ازاي؟

صمت ناصر لحظة.. مُستجمعاً شتات كلماته في محاولة البحث عن إجابة مقنعة.. قبل أن يلوح بيده عاجزاً وهو يقول:

- مش عارف بقى واللّه.. بجد مش عارف.. كل اللي أعرفه إنني مش مرتاح..

صمت مرة أخرى أطلق خلالها تنهيدة طويلة قطعها تربيته من درويش فوق كتفه وهو يقول:

- محدش بيعيش الدنيا كلها مرتاح يا ناصر.. في حاجات لازم نستحملها عشان غيرنا.. استحمل حتى عشان ابنك اللي لسه بيفتح عينه على الدنيا ده..

هزَّ ناصر رأسه المطرقة للأسفل في ببطء.. ثم التفت إلى محدثه العجوز متسائلاً:

أنا مش فاهم انت ليه بتنصحنى بعكس كل اللي عملته في حياتك؟
لم تبتد على عين الرجل أي علامة استفهام.. وكأننا يدرك تماماً المغزى من سؤال ناصر الذي تابع:

- يعني انت برضو ما ارتحتش في جوازتك الأولانية مع الحاجة رجاء.. فطلقتها ونرمين بنتك لسه متمتش الخمس سنين.. انت بنفسك اللي

حكيتلي ده.. قتلتي إنك اخترت ساعتها تهرب من فشل اتولد بينكوا..
كل ماباجي أقارن بين نصايحك ليا وحكايتك بلاقيني مش فاهم.. هو
انت حابب تبعدني عن اللي عملته؟؟ وللا تجرب فيا اللي معملتوش؟؟..
رَمَقَه درويش بنظرة صمت طويلة حملت شجن السر الذي يُخفيه،
ابتسم بعدها وهو يجيب:

- لا دي ولا دي.. وبعدين مفيش مقارنة ما بين حكايتي أصلاً وحكايتك..
في غير فهمٍ رَمَقَه ناصر وهو يتسائل:

- واية الفرق؟؟ هو مش برضو كان ارتباط وفشل من أوله؟؟..

سحب درويش شهيقاً عميقاً، ملأ صدره بهواءٍ صاحَبَتْهُ حفنة من
ذكرياتٍ لم يرغب أبداً في ايقاظها قبل أن يرد ببطء:

- فروق كثير.. فروق كثير أوي يا ناصر.. أولهم إنني لما اتجوزت رجاء..
اتجوزتها عن حب..

قالها ثم مال نحو ناصر أكثر مقترباً وهو يستطرد:

- حب من اللي انت دلوقتي بتدور عليه..

قبع يحيى أسفل بطانيته الصوف التي غطى بها كامل جسده في تلك
الساعة المتأخرة من الليل فوق السرير المعدني الخاص به وسط

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

مجموعة من الأسرة التي ارتفع من فوقها صوت أنفاس وشخير زملائه الغارقين في نومهم داخل ذلك العنبر الواسع في ثكنته العسكرية وهو يضع هاتفه المحمول في وضع التصاق بأذنه هامساً بصوت خفيت بالكاد ميزت حروفه على الجهة الأخرى من الخط نرمين خطيبته التي تمددت بدورها فوق الفراش داخل غرفتها:

- وحشتيني..

احمرت وجنتاها خجلاً على الرغم من أنها منتشية بالكلمة، ثم تمتمت بدورها في إحراج وهي تحتضن كوب الشراب الساخن بكلتا يديها وعيناها ترمقان قطرات المطر المنهمرة فوق زجاج النافذة المنغلقة أمامها:

- وانت كمان على فكرة..الجو عندنا في اسكندرية بيشتي بشكل مش طبيعي..

ابتسم من مكانه رغم الحرارة التي يشعر بها في وضعه المختبيء قائلاً في تخابث وبنفس النبرة الخفيضة:

- مسمعتش أول جملة ..

أفصحت شفيتها التي مالت أركانها عن ابتسامة خجلى استشعرها هو قبل أن تكرر بصوت أعلى:

- بقولك .. وانت كمان على فكرة..

رد قائلاً:

- طب وحشتيني أوي..

بدت من بين شفيتها ضحكة قصيرة دغدغت الشوق في أحشائه وهي تتمم:

- وايه بقى؟؟

همس:

- ايه مش هتردي علياً في دي كمان؟؟

قالت في خجل:

- طب مانا رديت عليك.. قلتك وأنت كمان..

بعناد قال:

- لأ.. دا كان على وحشتيني بس.. لكن دي وحشتيني أوي..

ضحكت مرة أخرى هامسة:

- لا دا انت شكلك فايق وهتتعبني معاك النهاردة..

أجابها مؤكداً:

- مش النهاردة بس.. العمر كله إن شاء الله..

ارتفع معدل نبضات قلبها في تناسبٍ طرديٍّ مع ابتسامتها المُتسعة

ساحر الكتب ٧٦

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

وشعورها بتلكم الجناحين اللائي انبتقا من جانبيه بنشوة عارمة
صعدت بها عنان السعادة.. ثم سألت:

- طيب.. هو لسه فيه تاني؟؟

غمغم محافظًا على درجة خُفوت الصوت:

- يوووووووووووووو.. دا ناقص حاجات ياما.. لسه بحبك.. وبحبك أوي..
وبموت فيكي.. وبموت فيكي أوي.. وبعشقتك.. وبعشقتك أوي.. لسه لسه
يا بنتي انتي شفتي حاجة؟؟

ضحكت من كلماته وهي ترشف مرة أخرى من الكوب الساخن في يدها
متمتمة:

- ايه يا يحيى انتوا بيشربوكوا إيه في الجيش يخلي كلامكوا حلوكده؟؟
دا انا سنة كاملة مخطوبالك.. ومعاك في نفس الجامعة.. ومكنتش
بتظبطني كلام كده..

- أظبطك؟

كررها بنبرة استنكارية مازحًا وهو يتابع:

- والله أنا شاكك انك نزلتي اشتغلتني على مشروع في فترة جيشي دي..
فهتت ضاحكة قبل أن تتسائل في اهتمام:

- هو انت هترجع امتي بقى؟؟ وللا انت جيشك دا مش هيخلص؟؟ ..

أجابها في سرعة:

- قريب يا حبيبتي.. خلاص هانت..

كان يعرف بالتحديد ما تبقى له من مدة.. كان يحسب الأيام ساعة بعد ساعة.. ويومًا بعد يوم.. لكنه لن يفسد مفاجأة عودته التي قررها.. عليه أن يكتم الأمر في قلبه حتى يعود.. حينها سيفجر كل ما اختزن من صمت حاصدًا ثمر السعادة من أرض عينيها المتفاجئتين..
هذا هو الحب..

حفنة من المشاعر الملهمة.. مفاجآت وأسرار وتضحيات وكلمات...
نفزل بها البسمة على وجوه أحبيناها.. مستمدين منها الرضا عن أنفسنا..

كانت مخاطرة منه تلك الساعات التي يمضيها كل ليلة في مكالمات طويلة معها متحدثًا قانون الواقع المفروض ومُسلماً لقانون الشوق..
الحب دومًا يدفعنا للجنون..

الحب يجعلنا لمرة وحيدة في العمر خبالى دون أن نخجل من ذلك..
نرى به الأمور كما لم نرّها من قبل... ويدفعنا لتصرفات لم نكن لنفعلها.. لحظة فلسفية عابرة خطرت على باله وهو غارق حتى الرمق في عشقه مع خطيبته التي تفصله عنها مئات الكيلومترات.. وبضعة أسابيع..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- ٢ -

كل الأشياء التي لم تفعلها.. والأماكن التي لم تزرّها بعد..
تختزن سحر استكشافها الأول للحظة مشاركة مع شخص تنتظر أن
يأتيك القدر به يوماً..

أمل

خمسة عشر عاماً مضت وهذا اليوم لازلت أذكره..
لازال منطبعاً داخلي بكل التفاصيل وكأنه بالأمس..
ذلك اليوم الذي اصطحبني فيه عمي من القرية الصغيرة إلى هنا..
إلى الإسكندرية ..
حين وقفت على عتبة باب البيت القديم من خلفه متوجسةً أقدم قدماً
وأؤخر أخرى..

ساحر الكتب

www.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

www.SATERALKUTUB.COM

كنت صغيرة لم أتخط السادسة من عمري بعد .. أرتعش كوريقة شجر
جافة فوق غصن مصفر في فصل خريف .. وأمامي هودلف إلى الداخل
محملاً بثقل حزنه على أخيه الأصغر - أبي - الذي جاء رحيله مبالغاً ..
شعر بخوفي فعاد يمد اليد إليّ ماسحاً بكفه فوق رأسي قبل أن يمسك
بيدي الصغيرة التي تشبثت به يُطمئنني ألا تخافي ..

هذا بيتك الجديد .. هنا مكن سكنك وأمانك ..

قالها بنبرة كانت رغم قوتها حزينة .. أذكرها .. تماماً كما أذكر تلك
العيون المترقبة التي كانت تنتظرني بالداخل ..

كنت خائفة .. مضطربة .. منكسرة الوجدان ..

خَطَوْتُ إلى المكان معه فاستطرد بصوتٍ أعلى محدثاً هؤلاء المقترين
تصاحبهم نظرات فضولهم أن أقبلوا .. رحبوا معي بها ..

صمتَ لحظة متنهداً قبل أن يكمل وهو يلتفت نحوي محاولاً رسم
الابتسامة برغم حزنه:

- رحبي بعائلتك الجديدة ..

دلقت مع خوفي أرصد الوجوه حتى توقفت عند وجه صاحب الثمان
سنوات الذي وقف يرمقني بدوره في حذرٍ طفوليٍّ بشعر كثيف أشعث ..

ناصر ..

ذلك الصغير الأسمر الذي شاركني سنوات مَحَت طفولتنا معا ..
ها قد أضحى اليوم زوجًا لي .. وأبًا لرضيع بين أضلعي يُشبهه ..
إنه الحب الذي اعتدته أو استسلمت له ..
لا فارق أيهما أقرب الى الدقة ..
فكلاهما يحمل بين طياته السعادة ..

الإمضاء / حياة

٨١
ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

جايبلي العمر بيك فرحة..

هشوف كل اللي جي بيها..

أميرة مدارية بالطرحة..

دموع فرحتها في عنينا..

((ورقة ثانية.. في مفكرة خضراء))

انه لشيء رائع أن تعشق شاعرة..

شعور مختلف أدركه مصطفى.. المهندس الناجح الذي احتلته الحياة العملية ملتزمة على مدى سنوات مضت تلك المساحة الخاصة بمشاعره..

حلم جديد يكشف له أخيراً عن أسرارهِ.. ويفتح له أبواب عالم لم يلتفت له أبداً ولم يُعره فيما سبق أدنى اهتمام.. حلم انشغل عنه بالعمل.. وظل مكبوتاً في الركن المنسي من قلبه إلى أن ظهرت هي.. ندى..

رقيقة الطلة مرهفة الحس..

راها مختلفة عن الجميع..

وجد فيها الصورة الأمثل لفتاة تحررت من قيود المجتمع السخيفة.. متحملة عبء نظراته المستنكرة لها لتحظى بالحياة كما تريد.. هي تلك التي اختارت مشاعرها سبيلاً في الحياة..

ساحر الكتب

كانت خيالية رغم أنف الواقع.. حرة حاملة.. وسط مجتمع لا يسمح
بمثل هذا الترف ويعتبره درباً من دروب الوقاحة والمجون.. مجتمع ظل
لأبده يُمليها الأوامر..

الفتاة في مجتمعنا عليها أن تتزوج قبل فوات الأوان.. والا استحقت عن
جدارة لقب عانس.. الفتاة في مجتمعنا عليها أن تعمل في المجال الذي
يراه الآخرون لها مناسباً.. لا ما يناسب طموحها حقاً..

الفتاة في مجتمعنا لا تأمل... ولا تحلم.. ولا تبحث عن تحقيق ذاتها..
بقدر ما يبحث المجتمع عن تحقيق ذاته المتحكمة المتسلطة فيها..

مجتمع أخبرها بلسان حاله أن ما عليها كامرأة فيه هو الاستغناء عن
كل ما في الأصل هو لها..

مُقلِّمةٌ كغيرك من أشجار البستان كوني..

مُرصعةٌ بتقاليد لا نرى سواها يليق..

لكنها رفضت..

حاربت الجميع لتحقيق ذاتها..

مدّت فروع طموحها عنوة رغم كل ما يُملى، فباتت بطبيعتها تختلف
عن الأخريات.. واجهت النظرات والالاحاح بإرادتها.. دون أن تفقد من
كرامتها الجسدية أو الروحية شيء..

ساحر الكتب

ووجدت نفسها بين حفنة من أوراقٍ وقلمٍ..

تلك هي ندى..

شاعرة كانت..

كان لقاؤهما صدفة رسمها القدر لهم منذ ما يقرب من سبع سنوات..

أعجبه فيها الخيال والتحرر الروحي الذي كان يفتقده..

ملأت بسبب اختلافهم الفراغات الخالية في روحه.. وصنعت في قلبه

مزيجاً من الرضا لا يكتمل الا بها..

هو أدرك هذا.. وهي أيضاً وجدت فيه ما يجذبها..

تحب انعكاس الحب البادي في نظراته لها..

لقد رأها كما هي.. كما أرادت أن تكون..

طوال أعوام عرفوا بعضهما فيها بتكرار اللقاءات..

أعوام سابقة شغلتهما فيها الحياة عن تمييز نبتة الحب التي أخذت

تنمو في أفئدتهم على استحياء.. وكأن اللقاء يرويهما.. امتدت جذورها

بينهما منبثقة براعها على هيئة دبلي زواج نظر إلى إحداها المستقر

في إصبعه وهو يجلس خلف مقود سيارته المنطلقة بهما إلى شرم الشيخ

في رحلة شهر العسل قبل أن يلتفت نحوها ويرمقها بنظرة طويلة..

إنه لشيء رائع أن تعشق شاعرة..

كَانَا رَائِعِينَ..

هي بفستان زفافها الأبيض.. وهو يحلته السوداء الأنيقة..

تأمله في سعادة غامرة بقلبٍ يتراقص مع الأنغام المتصاعدة من كاسيت السيارة بصوت فيروز..

بكتب اسمك يا حبيبي ع الحور العتيق

تكتب اسمي يا حبيبي ع رمل الطريق

بدورها تحسست الخاتم المستقر في اصبعها حاملاً الحرف الأول من اسمه..

- بتفكري في ايه؟؟

ألقى سؤاله وهو يتأمل عبر مرآة السيارة عينيها الشاردتان رغم تألقهما..

ابتسمت له.. صمتت وهلة.. ثم تمتمت:

مفيش.. سرحانة مع فيروز..

ولما بيدور السهر.. تحت قناديل المسا

بيحكوا عنك يا حبيبي وأنا باتسى..

ضحك في رقةٍ قائلاً وهو يلتفت نحوها دون أن يفقد تركيزه الكامل

ساحر الكتب ٨٦

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

على الطريق:

- دماغ الفنانين والشعراء دي.. موصلتلهاش أنا لسه.. أنا أخري أسرح
معاكي وفيكي بس..

أحمرت وجنتاها خجلاً..

قالت له:

- ومين قال إن فيروز واخداني لحد غيرك؟

ارتفع حاجباه وهو يرمقها مرة أخرى عبر المرآة.. في حين أكملت
بنفس الخجل:

- تعرف؟؟ مش عارفة هتفهم كلامي دا وللا هتعمل زي أول مرة طلبت
فيها مني كراسة الشعر بتاعتي وقريتها.. فاكر؟؟

قالتها فقهمة ضاحكاً حتى اهتز جسده وهو يتذكر ذلك اليوم فَلَكَزَّتْه
في كتفه بدلالٍ حانقٍ قائلة:

- شفت بقي؟؟ .. خلاص مش هكمل.. برضو بتضحك زي ما ضحكت
على اللي كاتباه يوميا..

تنهد محاولاً إنهاء ضحكه وهو يقول:

- أكيد مقصدتش.. بس هو انتي يعني برضو اللي غلطانة الصراحة..
واحدة شاعرة جميلة زيك بتكتب كلام للملايكة.. أكيد مش هستوعبه

واحد زبي كل حياته مع مقاولين وعمال وغفر..

قالها ثم عاد لاستكمال ضحكاته مستطرذاً:

- بس مش هقدر أنسى نظرة الإحراج اللي شفتها في عنيكي ساعتها..
حسيت فعلاً وقتها إني زبالة..

ضحكت بدورها من التشبيه الذي وصف به نفسه..

وبتقلي بتحبني ما بتعرف أديش.. ما بالك بتحبني ليش دخلك ليش

انتهت ضحكاتها فقالت:

- أنا عايزة أقولك إني ساعات بستغربنا يا مصطفى.. كل واحد منا فيه
مليون حاجة عكس الثاني.. انت عايش للواقع.. عقلاني في تفكيرك..
بتحسب حساباتك على الأساس الملموس حواليك.. وأنا عايشة الحلم
ومشاعري بس هيا اللي بتحركني.. اتلاقينا ازاوي ولا في أنهي نقطة
مش عارفة.. يمكن أكون مجنونة أو زي ما بت تقول دماغ الشعرا
والكلام ده..

صمتت لحظة التقطت خلالها الأنفاس ثم تابعت:

- بس اللي انا متأكدة منه ومعرفش ليه.. إن الفرق بيننا وبين أي اتنين
تانيين.. هو اننا فعلاً قادرين نكمل ببعض الصورة الكاملة..

نظر إليها في غير فهم مغممغا في تساؤل:

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- قصدك عالِحياة بيننا يعني؟؟

هزّت رأسها نافية وهي تكمل:

- أنا قصدي عن الحب بيننا يا مصطفى.. الحب في صورته الكاملة..
لأنه في اعتقادي كيان.. تكوينه هيئتك .. ومحتواه روحي.. فاهم
قصدي؟؟

ألقت سؤالها متطلعة نحوه..

تبدو على وجهه السعادة فقط ولا يبدو عليه الفهم..

يهز كتفيه بلا معنى مبتسماً وهو يتابع الطريق أمامه..

يكفيها أنها معه الآن..

وتكفيه سعادته بها..

بكرة بتشتي الدني ع القصص لمجرحة

يبقى اسمك يا حبيبي واسمي بينمحي

من خلف فاترينة زجاجية حَوّت أنواعاً مختلفة من الأدوية داخل تلك
الصيدلية الصغيرة وبجسدٍ مكتنزٍ غير متسق مع حيوية صاحبه نهض
عبودة مستقبلاً حياة التي دلفت إلى المكان عصر ذلك اليوم بجسدها
النحيل محتضنة رضيعها بين ذراعيها قبل أن يرسم على وجهه

ابتسامة ترحيب صفراء أطلت معها نظرة اشتهاً واضحة من عينيه
قائلاً في اصطناع كامل اللزوجة:

- أهلاً أهلاً أهلاً بسّ اسكندرية كلها.. ازيك يا حياة عاملة ايه؟

متقادية النظر نحوه ومنشغلة بالرضيع المتواصل الصراخ بين ذراعيها
قالت:

- الحمد لله بخير.. لو سمحت عايزة أي لبوس أو دوا أطفال خافض
للحرارة.. الواد تعبان أوي ومش عارفة أتصرف خالص.. كلمت ناصر
قاللي أجيك الصيدلية وانت هتصرف..

لم تكن تشعر أبداً حياله بأي نوع من الألفة أو الاطمئنان..

حاجزٌ نفسيٌّ ما كان يحول بينها وبين تقبُّله.. أضيفت له طبيعتها
المنغلقة الخجولة.. مصباح أحمر بلا أسباب واضحة.. كان يُضيء في
رأسها كلما اضطرت للاقائه أو التعامل معه حتى في أضيق الحدود..

خوفٌ مبهم منه ربما كان سببه سُمعته الملوثة التي أحاطت به دوماً
في المنطقة.. يتهامسون عن تحرُّره الزائد.. وسلوكياته التي قد تصل
أحياناً إلى حد الفساد في معاملته مع بعض نساء المنطقة..

هي لا تتصت بطبيعتها لأقاويل الأخريات.. لكن مبدأ الحذر بالنسبة
لها كان الأفضل..

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

التفت هو باحثاً بين الرفوف على طلبها وهو يتابع حديثه الذي بدأ لها
معسولاً بشكل لا يليق:

- ولا يهمك.. وحتى من غير ما ناصر يقولك، أنا يا حياة مقدرش
أأخرلك طلب.. متخافيش.. هديك حاجة دلوقتي تخلي الواد زي
الفل.. بس برضوانتي لازم تاخديه وتروحي لدكتور عشان تهمني سبب
الالتهاب اللي عنده دا ايه ..

صممت تحاول البحث عن رد مناسب متفاضية رغماً عنها عن ربح
الغزل المستترة في كلماته..

يُغازلها بحنكة لا تمكنها من اتخاذ موقف مباشر ضده.. وخبت يقف
حائلاً بينها وبين رغبتها الشديدة في اخبار ناصر ..
سيتنصل من الأمر دون عناء ..

مفردات عباراته تحتمل كل المعاني والنوايا.. بينما نظراته ونبرة
الصوت المصاحبة لها ليس لهم سوى معنى واحد ومفهوم يُسبب لها
الضيق..

يُراودها بلسان عقربٍ يُتقن جيداً إخفاء آثار لدغته رغم قوة تأثيرها..
كان عبودة أحد أولئك المعتزّين لحد الغرور بأنفسهم.. أو هكذا كان
يبدو..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

أنا أفضل الجميع وحكيم الفلاسفة..

عقدة البارانونيا الناشئة عن عدم إكماله مرحلة التعليم الجامعي وسط شباب الحي وجد تعويضاً لها في ثقافة خاصة اختلقها هو وأشباهه تحت مسمى النّصّاحة والفهلوة..

أن تكون ابن سوق.. ناصح.. تتعامل مع الجميع بمبدأ المصلحة لا غير.. ترى كل من حولك كسلع.. تتراقص بين هبوط ورواج..

كان يشتم بأنف خبيث تلك العلاقة المتوترة بينها وبين ناصر.. ناسجاً بخيوط حروفه المعسولة شبكة يتمنى لها الوقوع في شركها.. فلا ضير من بعض العلاقات المشبوهة.. ولا أروع بالنسبة له من سرقة متعة اقتُسمت لغيره..

هكذا كان يراها.. فريسة متخنة باليأس مألها السقوط وإن طال أمد مقاومتها..

متباطئاً في حركته.. مستذنباً في نظراته.. منتشياً بخواطره أعد لها طلبها في حين أمضت هي لحظاتها مرتبكة متوترة في ذلك الوضع غير المحبب إلى نفسها تتمتم رداً عليه:

- إن شاء الله قريب بس ربنا يكرم ناصر ونروح بإذن الله نكشف عالواد لوالموضوع طول..

مدّ يده لها بالدواء المطلوب متعمداً القبض على كفها وهو يقترب

ساحر الكتب ٩٢

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

بوجهه منها قائلاً بنعومة أفعى سامة:

- صراحة الله يكون في عونك.. ناصر كمان ظروفه تعبانة الفترة دي..
صدقيني أنا صعبان علياً بجد اللي انتي فيه.. ملاك زيك ميستحملش
أبدأ البهدلة .

حاولت تخليص يدها من بين أصابعه المكبلة في سرعة وهي تتشبث
بعلبة الدواء قائلة:

- ربنا يخليك يا عبودة.. تسلم.. قللي بكام الدوا؟

جالت عيناه فوق جسدها وهو يقول:

- دوا ايه بس؟ سيبك.. اعتبريها المرادي هدية مني ليكي..

بدت اللعثة على وجه ابنة البيت المنغلق وهي تقول في لهجة حاولت
جعلها حازمة:

- هدية ايه دي؟ لا طبعاً.. مفيش داعي ولا مناسبة.. ولو سمحت
تقوللي بكام الدوا عشان ناصر جوزي مبيحبش تبقى عليه حاجة لحد..
ابتسم ملتقطاً الضعف من عبارتها..

- ناصر جوزي!!

لَكَمْ أعجبه التعبير المقصود.. ونبرة الصوت المرتعشة في نطقه..
غزالته الشاردة تبحث عن أرض صلبة تتكئ عليها لقفزة هروب من

ساحر الكتب

نمر يتربص بها..

أرضى غروره أنها تشعر.. وتضطرب.. وتحاول أيضاً المقاومة..

هنا يكون للصيد متعة..

أجابها في بطاء هاديء:

- ما انتي لو تعرفي مكانتك عندي مكنتيش قلتي كده.. بس ماشي..

ثم اقترب نحوها مرة أخرى على الرغم من تراجعها إلى الخلف
مستطرذاً:

- المهم هترتاحي فعلاً كده؟

كان حنقها وتوترها يتزايدان مع كل كلمة تخرج من ثنايا شفثيه.
فتراجعت إلى الوراء بخطوة وهي ترمق السعر المطبوع فوق علبة الدواء
قبل أن تفتح حقيبتها الصغيرة في يدها مخرجة منها بعض الأوراق
النقدية ألقت بها على الطاولة الزجاجية أمامه مغممة في سرعة وهي
ترحل مبتعدة:

- اتفضل الحساب أهو.. والباقي عشان تعبك معايا.. بعد إذنك..

ابتعدت حاملة حنقها وغصة حلقها مع الطفل إلى الخارج.. تلاحقها
نظراته الشرهة بغير خجل وعبارة أخيرة يلاحقها بها:

- مع انه ميصحش بس هفوتها لك المرادي..

ثم تتم في نفسه بصوت خفيض وهو يتابعها تبتعد..

- إن غدا لناظره قريب..

قالها منفجراً في قهقهة انتشاءٍ كما الشيطان..

تماماً..

تشابكت الأفكار في رأس نرمين متزاحمة متطفلة تطفل الصداً القابع على الجسد المعدني لذلك الترام الصغير الذي انطلق مُصدراً الصوت المميز لاحتكاك عجلاته فوق القضبان الرفيعة التي باتت جزءاً فنياً أكمل لوحة المكان بمبانيه الصغيرة ذات الطوابق الأربعة والتي احتفظت بأصالتها رغم أثر الزمن البادي فوق جدرانها المُغطاة بملصقات دعائية وانتخابية تنوعت واختلقت كوجوه المارة والراكبين الممتلئة صدورهم جميعاً بنسمات هواء محمل بندى البحر..

ومن بين هؤلاء.. كعادته كل يوم بلحيته البيضاء ووجنتيه المحمرتين فوق وجه أبيض مستدير ينم عن طيبة مُستترة خلف تجهمه الدائم.. ظهر درويش.. ذلك العجوز.. على عتبة نفس البناية التي خرجت منها منذ قليل لتتأمل في ما حولها وتنتظره..

٩٥
ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

اخترق ظلام المدخل الرطب بخطوة استقبال بعدها على وجه أشعة الشمس بتهيدة طويلة وهو يرمق السماء فوقه بنظرة خاوية...

لم يبد عليه أنه لاحظ وجودها وهو يعبر الشارع الصغير أمامه رافعاً طرف جلابيه الأبيض متكئاً على عصاه الخشبية القصيرة بخطوات ثابتة نحو كشكه المزين بياض زرقاء صدئة حملت اسمه..

وبنشاط لم يبد متناسباً مع سنه.. انحنى لفتحه وترتيب ما فيه ببساطة يعتادها..

- صباح الخير..

قالتها وهي تقترب منه بخصلات شعرها المتطاير وابتسامة مرتبكة رسمتها فوق وجهها البضّ محتضنة حقيبتها الصغيرة بين ذراعيها .. وبوجه طبع الامتعاض عليه نظر لها قبل أن يجيب متصنعاً الانشغال بترتيب بضاعته:

- صباح النور..

لم تلق بالا لطريقته الجافة التي اعتادتها في التعامل.. ولسان المضطر.. ووجه أجبرته على الاستمرار في الابتسام قالت:

- بنتك الوحيدة وجاية تصبح عليك تقوم رادد عليها كده؟ طب مش تسألني يمكن أكون عايزة حاجة؟

بصق درويش على الأرض بعض ما احتشد في حلقة من بقايا السعال

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

الخشن قبل أن يلتفت نحوها قائلاً في استنكار:

- عايزة حاجة؟ حاجة إيه ان شاء الله؟ هيا مش أمك وصلتها الشهرية كاملة.. انتوا مبتشبعوش؟

عضت على شفيتها متحملة أسلوبه المستفز وهي تتمتم:

- لا يا حاج منتحرمش اكيد.. دانتي خيرك مغطينا..

- امال فيه ايه؟ بتلفي وتدوري على ايه بالضبط؟

ثم اقترب منها وقد ضاقت حدقتها مستفسراً:

- هاتي مالآخر.. أمك اللي باعتاكي؟

تراجعت في شيء من ارتباكٍ وهي تُجيب:

- أبداً والله أُمي ملهأش دخل بأي حاجة ومتعرفش أصلاً إني جاية أكلمك ..

استشف الكذبة من بين عينيها المرتبكتين فغمغم متهمكماً:

- لا والله؟ طب خلي بالك بقى لتطلع دلوقتي في البلكونة وتشوفك واقفه معايا تعملك فضيحة..

قالها بلكنة ساخرة ابتلعها كالعادة وهي تقول في غيظٍ حاولت فاشلة اخفائه:

- كت عملت كده مع ضرتها اللي في سني وجايبها تسكنها معانا في

نفس البيت..

نظر نحوها بعينين بدأ منهما الشرر وكأنما يتطاير خلالهما وهو يقول
في غضب:

- ضرتها دي تتقال لو كانت أمك لسه على ذمتي.. وبعدين انتي جاية
تعلميني الأدب ولا إيه يا بنت رجاء؟

تنبهت لتخطيها بعض الحدود في عبارتها الأخيرة فتمتت في محاولة
للتراجع:

- العفويا با.. وبعدين حتى لو اللي قدامك دي بنت رجاء.. فده ميمعش
إنها بنتك برضو.. وللا انت خلاص نويت تتبري مني؟

أشاح بوجهه عنها وهو يقول:

- انتي عايزة إيه بالضبط؟

قالت في سرعة وكأنما تنتظر السؤال:

- أنا جاية أكلّمك بخصوص موضوعي أنا ويحيى..

مطّ شفتيه في ملل بينما استطردت هي مكلمة:

- بالنسبة للطلبات اللي انت طالبتها من يحيى دي أنا شايفة إنها زيادة
عليه حبتين.. والصراحة أنا نفسي مش عايزاها وخايفة هو يحس إننا
بنعجزه..

في استهتار قال:

- طب وماله؟؟ أه ياستي بعجزه.. حد ليه عندي حاجة؟؟

بدت العصبية على الرغم منها تتسلل عبر حروفها وهي تجيب:

- أيوة يابا بس دا مكانش الاتفاق من الأول.. وكده اند..

قاطعها في غضبٍ هادرٍ وعصبيةٍ لم تجد لها ما يبررها :

- اتفاق إيه يا بنت رجاء؟؟ وهو مين اللي بيتفق أصلاً؟؟ إوعي تكون

امك مفهماكي إني قاعد هنا طربوش مليش لازمة.. أنا هنا الكبير

وصاحب الكلمة.. أمشي عليها.. أغيرها.. براحتي.. ويلا غوري من

وشي السعادي خليني اشوف أكل عيشي.. أنا مش فاضي لدلع الحريم

بتاعكوا ده.. وافهمي كويس انتي وأمك وخطيبك الأستاذ يحيى ده.. لو

أي حاجة من الاتفاق متمتش.. يبقى مفيش جواز..

فار الدم في عروقها ملجماً بحدود الاحترام الواجب عليها نحوه كأب..

لَكَمْ تَمَنَّتْ لِحَظَّتْهَا أَنْ تَفْصَحَ عَنْ مَشَاعِرِهَا الْحَقِيقِيَّةِ بِلِكَمَةٍ فِي وَجْهِهِ

مِنْ يَدِ تَوَدُّعِهَا كُلِّ مَا أُوتِيَتْ مِنْ قُوَّةٍ..

منعت نفسها عن ذلك بصعوبة بالغة.. ووجهها المحمر غيظاً يُبْذِرُ

بانفجارٍ مُوشِكٍ وهي تراقبه يُدير ظهره لها لترتيب بعض زجاجات

المياة الغازية داخل التلاجة الدعائية الصغيرة بالمكان قبل أن تضرب

بيدها أحد صناديق الحلوى المرصوصة مُطِيحَةً بِهَا أَرْضًا قَائِلَةً فِي

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

سخط وهي تبتعد موشكة على البكاء:

- كنت متأكدة إن عمرك ما هتسمع أي حد إلا نفسك.. انت عمرك ما هتتغير..

لم تنتظر رد فعله أو تلمح ذلك التعبير الذي ارتسم على وجهه ودَفَنَه متصنفاً الانشغال في ترتيب ثلاجته.. ولم تكمل عبارة السخط المتألّمة بداخلها..

ابتعدت بخطواتٍ واسعةٍ في اتجاه شارع البحر الذي فُشل هواءه المنعش في التقليل من سرعة نبضات قلبها الغاضب وامتزجت قطرات نداء الصبوح مع دموع القهر التي تجمعت بمقلتيها قبل أن تنساب باردة فوق وجهها في صمتٍ لم يشوّهه سوى صوت أنفاسها المتلاحقة..

لعناتُ قلبها المكتوم تنصّبُ بكل العنف ورغماً عنها فوق رأس درويش.. انطلقتُ تُصاحبها دموعها بخطواتٍ سريعةٍ واسعةٍ حاولت بها الهروب من أعين ونظرات المارة..
يا لَحَظَّها التَّعَس..

وحدها تدفع ضريبة علاقةٍ فشلت.. وكل الذنب الذي اقترفته أنها الناتج من تلك العلاقة..

طفولة مريرة عاشتها في كَنَف أبوين انفصلا قبل أن تدرك عامها الخامس.. أجواء يملؤها التوتر وتحتويها الكآبة وعدم الارتياح قضتها

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

تحت إجبار الواقع على مدى سبعة عشر عاماً بعد الانفصال الذي نمت خلاله مشاعرها وتشكّلت شخصيتها في صورة فتاةٍ وحيدةٍ لم تعشق من بين الرجال سوى يحيى..

الزميل الجامعي الذي يسبقها بعام دراسيٍّ وعمريٍّ.. ذلك الذي تقدم لخطبتها قبل عام مضى فور تخرجه بعد سنواتٍ من حبٍّ عفيفٍ تحت ستار الكتمان بينهما وقبل رحيله لتأدية واجب الخدمة العسكرية..

يحيى.. أين أنت الآن؟؟

بدافع من حاجتها الشديدة إليه.. تنامى داخلها السؤال وهي تخرج هاتفها المحمول من حقيبتها ضاغطة أزرار الاتصال في لهفة عمياء لم تقسح لها المجال للتفكير في ما إذا كان الوقت مناسباً له أم لا..

هي تحتاجه فقط..

وبشدة..

تطلعت إلى اسمه الظاهر أمامها في اشتياق وكأنما تنتظر خروجه من خلال شاشة هاتفها الصغير..

يحيى..

أين انت؟؟..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- يحيى!!

همس بها في خفوتٍ داخل تلك الساحة المخصصة لطعام الجنود أحد رفاقه الذي اقترب منه بزيّه المُمَوّه بينما هو جالس يتناول افطاره على تلك المائدة الخشبية الممتدة بعرض المكان فتنبّه له وهو يميل نحو أذنه وبصره يحوم في المكان متأكداً من أن أحداً لا يسمعهما.. ومتابعاً بنفس الصوت الخفيض:

- موبايك مبطلش هز في جيبى بقاله ربع ساعة.. الفيبريشن هيفضح أومي..

تبهت ملامح يحيى وهو يهمس بدوره:

- لا والله؟؟ مين؟؟

لوح الآخر بيده محاولاً عدم جذب الانتباه وهو يقول في حنق بدي برغم صوته المنخفض:

- هيكون مين يعني؟؟ خطيبتك طبعاً.. هو في حد غيرها بيعبرك؟؟...
أنا مش عارف.. هو انت مش مفهمها إن المكالمات دي متنفعش في أي وقت؟؟ خلاص يعني الشوق جايب آخره؟؟ الموبايل ده لو اتقفش كلنا هنتفخ..

لم يأبه يحيى تماماً لسخريته وارتسم التعجب على سحنته وهو يتساءل في اهتمام:

ساحر الكتب ١٠٢

- رنت كثير ٩٩

هز الآخر رأسه ايجابا وهو يتخذ مقعداً إلى جواره قائلاً:

- بقولك ما بطلش رن..

في فلق غمغم وهو يمد يده خلسة من أسفل المائدة الخشبية العريضة ليتناول الهاتف من يد صديقه ويدسه في جيبه:

- غريبة.. أنا مفهمها ان مينفمش تتصل قبل واحدة بالليل.. يظهر إن فيه مشكلة.. ربنا يستر.. اسمع.. أنا هروح أشوف حته أتدارى فيها وأكلمها..

قالها ثم نهض متجها إلى الخارج وهو يتلفت حوله قبل أن يرتطم في طريقه بكتف الصول مرتضى..

الشاويش عطية كما اتفقوا على تسميته..

ذلك البدين كئُ الشارب ذو الكرش الموشك على تمزيق الحلة العسكرية التي يرتديها وتفجير أزرارها في وجه تيس حظه يعترض طريقه لحظة شهيق يوماً ما.. والذي نظر إلى يحيى قائلاً بصرامته المعهودة ،، ولهجة عسكرية أضفى إليها صوته الأجرش مع لكنته الريفية رونقاً خاصاً:

- جندي مجند يحيى سليمان..

ساحر الكتب

ضرب يحيى كعب حذائه بالأرض وهو يرفع يده بالتحية مُجيباً في ثبات
حاول به اخفاء توتره:

تمام يا فندم .

- قدامي.. سيادة العقيد صلاح عايزك في مكتبه .

ارتعدت أوصال يحيى.. وسقط قلبه بين قدميه..

لماذا يطلب العقيد مقابلته؟؟

تُرى.. أي كارثة تنتظره؟؟

لإنها المرة الأولى التي يستدعيه فيها؟؟

ما الداعي من هذا الاستدعاء المفاجيء؟؟

ربّاه..

هل اكتشفوا أمر الهاتف وتلك المكالمات الليلية التي يروّج بها عن

نفسه؟؟

متحسباً الهاتف المهتز في جيبه بأصابع شاركته الاهتزاز توتراً..

انهمرت التساؤلات على رأسه كالمطر وهو يتجه مع الصول دون أسئلة

نحو مكتب العقيد..

بنظرة مترقبة يتأمل وجه الرجل الجالس خلف مكتبه داخل الغرفة

ساحر الكتب ١٠٤

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

WWW.SATERALKUTUB.COM

التي انفتح بابها إثر دفعة خفيفة من يد الصول مرتضى بعد ثلاث
طرقات متتالية قوية عليه..

قبل أن يرفع عينيه نحوهما وكلاهما يؤدي له التحية العسكرية ثم نهض
من خلف مكتبه متجها اليهما بشعره الأشيب ووجهه الذي ارتسمت
البشاشة فوق ملامحه قائلاً:

- شكراً يا صول مرتضى.. ازيك يا يحيى؟

لقى جملته وهو يتأمل وجه الأخير الذي ارتبك تماماً وهو يهز رأسه
مهمماً بحروف غير مفهومة .

فابتسم له في هدوء رصين مُكرراً:

- أنا بقول ازيك يا يحيى؟؟

أجاب الأخير بحلقٍ جاف:

- تمام يا فندم الحمد لله..

تأمله الرجل لحظة أخرى في صمت قبل أن يقول ببطء:

- ليه عملت كده يا يحيى؟؟ دا انت حتى شكلك ابن ناس..

ارتفعت معدلات نبض الشاب لأقصى درجاتها وانهارت كل أمانيه في
لحظة واحدة وهو يرمق الشارات العسكرية المعلقة على حلة الواقف
أمامه قبل أن يتمتم بلسان مرتعش قرر الاعتراف بكل شيء:

ساحر الكتب

١٠٥

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- هو يافتدم أصل..

قاطعہ العقید وقد اتسعت ابتسامته أكثر قائلاً:

- أصل إيه بس؟؟.. في حد يابني عاقل في سنك يعمل عملتك السوداء

دي؟؟ هو في شباب بيتجوزوا لسه في البلد اليومين دول؟؟

تجمدت عينا يحيى للحظة.. وانفجرت شفتاه في بلاهة قبل أن يستوعب

الأمر..

يالها من دعابة ثقيلة كادت تودي به تماماً..

تهدّد الصعداء في قرارة نفسه ولسانه يهمهم بكلماته غير المفهومة

وان لانت ملامحه إلى حد كبير مع ابتسامة لازالت حذرة ومرتبكة

ارتسمت فوق شفثيه بينما تابع العقيد بلهجة ودودة:

- ألف مبروك يابني.. باركتله ياصول مرتضى؟

قالها ملتفتاً نحو الصول مرتضى الذي أوماً برأسه وهو لا يزال على

وضعه الأول رافعاً يده بالتحية العسكرية مُجيباً:

- حصل يا فقدم ..

بينما تتمم يحيى:

- الله يبارك في حضرتك يافتدم..

ربّت العقيد على كتفه قائلاً:

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- انت خلاص كده كل اللي فاضلك معنا تقريبا ثلاث أسابيع .. بعده هتبقى خلصت مدة تجنيديك الرسمي معنا.. قوللي بقى صحيح..
- ميسوط إنك خلصت وللا حابب نمديك كمان شوية؟؟
- ارتبك يحيى أمام السؤال المحرج وهو يجيب محاولاً التملص:
- اللي حضرتك تؤمر بييه يا فندم.. وأنا تحت أمر البلد في أي وقت .. ضحك القائد وهو ينظر إلى وجهه قائلاً:
- أحييك عالاجابة النموذجية .
- ثم استدار مُولياً له ظهره عائداً إلى مكتبه مرة أخرى وهو يتابع:
- قوللي بقى يا عريس.. عرفت من الصول مرتضى إنك ناوي تتجوز أول ما تخلص مدتك على طول مش كده؟
- أوما يحيى برأسه وهو يجيب:
- ياذن الله يا فندم.. خلال اسبوع كدا لوربنا أراد..
- طب مجهز حالك كده ومرتب دنيك وللا لسه؟؟
- حرك الشاب رأسه يمنة ويسرة وهو يجيب:
- لسه يا فندم فاضل شوية رفايع.. بس ربنا هيحلها ياذن الله ..
- رفع الرجل عيناه نحوه وهو يقول مبتهجاً:

ساحر الكتب

١٠٧

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- ربنا يتملك على خير يا بني..

ثم التقط من داخل أحد أدراج مكتبه ظرفاً صغيراً مدّه نحو الأخير وهو يكمل:

- امسك يا يحيى.. دي هدية بسيطة حبيننا نهاديك بيها إنت وعروستك..
تردد يحيى في تناول الظرف قائلاً في غير تصديق لما يحدث:

- يا فندم سعادتك دا كتير أوي والله.. أنا مش عارف أقول إيه بس؟؟
أجاب العقيد وهو يمد يده بالظرف في إصرار:

- متقولش حاجة يا عسكري.. نفذ الأمر بدون اعتراض.. امسك خد
من ايدي الظرف.. متخافش دي مش فلوس..

مدّ يحيى يده يتناوله منه في احراج بينما الاخر يتابع:

- دا ياسيدي زي ماتقول كدا توصية حجز أسبوع شهر غسل في فندق
تبعنا في شرم الشيخ.. مش متحددة بتاريخ عشان وقت ما تعمل فرحك
تطلع على هناك.. نقيتك حاجة قريبة من هنا بحيث لما تعدي علينا
في سكتك تفتكرنا بدعوة حلوة.. روح بس وهما هناك هيعملوا معاك
الواجب..

تطلع يحيى نحو العقيد بنظرة امتنانٍ ارتسمت فوق كامل وجهه وهو
يقول في حرج:

ساحر الكتب ١٠٨

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

- حقيقي يا فندم سعادتك أنا فعلاً مش عارف أقول ايه..

ابتسم العقيد مربتاً على كتفه في رصانه وهو يتمتم:

- متقولش.. دي حاجة بسيطة أنا حابب أهاديك بينها.. مبروك يا يحيى
مقدمًا.. وربنا يتملك على خير..

هزَّ يحيى رأسه ممتناً في غير استيعاب للموقف وهو يتمتم ضمن لعثمته
مؤدياً التحية العسكرية مرة أخرى:

- ألف شكر يا فندم.. ألف شكر..

أشفق عليه الرجل من اضطرابه البادي في تصرفاته فندت منه ضحكة
رصينة ربَّت بعدها على كتف الفتى أمامه مرة أخرى ثم استطرده في
نبرة اهتمام:

- يلا.. افتح الظرف بأيدك وبص عاللي جوّاه، شوف كاتبين اسمك
الرباعي في الحجز مضبوط وللا لأ..

في إحراج أسرع يحيى لتنفيذ الأمر ملتقطاً من داخله ذلك الكارت
الذي توسطه شعاراً حمل اسم أحد الفنادق المعروفة..
سعادة غامرة تلك التي شعر بها يحيى في حينه..

سعادة أنسته خوفاً كان منذ لحظات يعتريه.. فامتدَّت يده بحذر تلقائي
نحو الهاتف الصامت في جيبيه يتحسسها.. وكأنما يبعث عبر ملامسته

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

تربيته طمأنينة فوق وجنة رائحته التي كانت هناك ..
تجلس أمام البحر الذي كفكف نسيمه دموعها ..
وتتظر ..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

تلك الدمعة الحبيسة.. التي حملناها في أعيننا بعيداً عن الضجيج..
نتأمل بها سقْفِ خاوٍ.. داخل غرفة مظلمة..

#وحدة..

تمسكوا جيداً بالبدايات..

اقتنصوا المشاعر في مهدها..

كل ما في الوجود يبدأ صغيراً.. هذا هو الأساس.. ثم مع الوقت يختلف..
سواء كبر أو تغير.. لكنه لا يبقى أبداً على حاله..

نقاء الأشياء طفولتها.. وطفولة الأشياء نقاؤها..

أعلموا أن القلوب إذا ما أنهكتها الزمن.. ومرت فوق قضبان الأيام..
ارتسمت عليها التجاعيد.. وباتت لا تشبه أبداً ما كانته.. وأن الأحاسيس

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

إذا ما تُركت عارية وسط أغبرة الحياة فسدت.. وتطايرت كعطرٍ من
قُوَّة قارورة صنعت في الأصل له..
عتقوا مشاعركم النضرة بداخلكم..
لأنها إن رحلت.. فأبداً لن تعود..

الإمضاء / درويش

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

جميل جداً تكون عاشق..
هواك راسم طريق حوالياك..
أمين لا تخون ولا تفارق..
دواك روحي.. وحضني عنيك..

((ورقة الثالثة.. في مفكرة خضراء))

سائر الكتب

سائر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

WWW.SATERALKUTUB.COM

إلى جواره جلست والقلم في يدها يداعب صفحة بيضاء جديدة..
هي لا تزال بذات فستانها الأبيض.. وهو بحلته السوداء يجلس خلف
مقود السيارة المنطلقة بهم..

تأمله في نهمٍ عاشقٍ وقلبٍ يتراقص مع أنغام كل حرفٍ يجسده قلمها
فوق الورق ..

تمتت بإسمه..

مصطفى..

نطقتها بصوتٍ لامس قلبه فالتفت نحوها بابتسامة واسعة انعكس فوقها
ضوء الشمس المتألق بلونه الأحمر في إعلان صريح للغروب..

غروبٌ كان بالنسبة لها الأجل..

غروبٌ تشرق به لديها الحياة..

مد يده متناولاً كفها ليئمه بقبلةٍ دافئةٍ وهو ينظر لها في تساؤل فأكملت:

- هو فاضل قد ايه ٩٩

تطلع عبر الزجاج أمامه إلى الطريق مرة أخرى قائلاً:

ساحر الكتب

معرّش بالضبط فاضل كام كيلو.. بس احنا قَرَبنا كثير..

ظلت عيناها متعلقتان به.. وشفّتها تفصحان:

- أنا بحبك يا مصطفى..

- وأنا كمان يا ندى..

قالها وهو يعاود الالتفات نحوها ثانية غارقاً فيها بدوره..

ظلت صامته..

تتوالى الخواطر على رأسها وتتبادل معها الصور..

الحروف تتشابك مكونة كلمات تكتمل بها سطور..

قالت له:

- مش عايزاك تسيبني..

تمتم في تعجّب:

- ليه بتقولي كدا ؟؟ مقدرش أسيبك .. المفروض تكوني عارفة..

هزّت رأسها قائلة:

- أيوة عارفة.. بس مش عارفة ليه حسيت فجأة بخوف..

عقد حاجبيه في استنكارٍ للتغيير الذي طرأ على نبرة صوتها وهي تتابع:

- خايفة من الأيام.. من الدنيا اللي بكرة هتاخذ جزء كبير من

ساحر الكتب

إحساسك اللي كله دلوقتي ملكي.. خايفة من مصطفى اللي قابلني أول مرة زمان.. المهندس اللي عشان ياخذ قرار بالإفصاح عن مشاعره كان محتاج سنين.. مصطفى اللي بي فكر بعقله بس دا أنا مش هعرف اتعامل معاه.. أنا بحب المجنون الثاني اللي كشفلي نفسه أول مرة في جنيئة الحيوانات.. لما قرر يسيب ده لوحده يتكلم..

قالت العبارة الأخيرة وهي تمد أصبعها مشيرة إلى الجزء الأيسر من صدره فاتسعت لها ابتسامته وهو يقول ضاحكًا:

- أهو جنانك الغريب دا هو أكثر حاجة حبيتها فيكي.. أنا مش عارف خيالك الواسع دا هيوصلني معاكي لفين؟؟

كان ينظر إليها.. وصوت الراديو يتسلل إلى أذنه كتسلل الظلام بالخارج مع رحيل القرص الأحمر في الأفق..

سألها لماذا تكتبين الشعر..

وأجابته لأحياء..

كانت لحظة واحدة..

لحظة أبحر فيها بين تفاصيل الوجه الجميل إلى جواره..

لحظة اندمج فيها نغم الموسيقى الهادئة المنبعثة من الراديو مع صوت صرير عجلات يتصاعد فوق الأسفلت بالخارج وكأنه صراخ..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

لحظة وضع نهايتها ذلك الضوء المنعكس المتقطع فوق وجهها من
كشاف الشاحنة القادمة في الاتجاه المعاكس لهم..

وفي جزءٍ ضئيلٍ من الثانية لم يجد خلاله الوقت للاعتدال امتلاً كل
شيء أمامه بضوء أبيض قبل أن يحدث الارتطام..

صمت ..

طنينٌ يُحيط بكل شيء.. والصور كلها تُبطيء..

ارتج جسده بالكامل وهو يرتطم بها والسيارة تأخذهما معها في رحلة
استدارة في الهواء عالياً قبل أن يخترق جسده الزجاج المهشم ليسقط
خارجها مرتطمًا بالأسفلت في قوة متدحرجًا فوقه لمسافة طويلة حتى
بلغ الرمال على جانب الطريق..

الدماء تفرق وجهه بالكامل..

وبقايا الزجاج المهشم تمزق الأجزاء التي استقرت فيها من جسده..
سكون تام..

ألم مسيطر يكتنف خلاياه.. وظلام دامس يهيمن فوق عينيه التي باتت
بالكاد ترى وهي تقاوم الغيبوبة تحت أضواء كشافات قادمة من بعيد..
وعجلات يتصاعد الدخان منها في وضع مقلوب..

قاوم غيبوبته في إصرار عجيب رغم ألمه زاحفًا بدمائه نحو السيارة

ساحر الكتب

التي استقرت على ظهرها.. يراها داخلها بفستانها الأبيض مستقرة..
عينها المفتوحتان تتطلعان نحوه..

وذلك الجرح البسيط في جبهتها ينسال خط الدم منه على وجهها..
بأعين الوجع الصارخ في قدمه حاول الزحف مقترباً أكثر..
الدماء تفرق الشارع خلفه من جسده الذي داهمه اصفرار الموت..

يراهم والظلام يكتنف رأسه تغمض جفناها ثم تفتحهما مرة أخرى
مبتسمة وهو يمد يده نحوها منادياً بصوت واهن:

- ندى..

بدأت منها تمتمات ضعيفة خافتة مع حركة بسيطة من جسدها الرقيق
ويدها تمتد عبر النافذة المهشمة إليه بدورها كأنما تحاول انتشاله..

إدراكه ينسحب في سرعة..

الأضواء من حوله تخفت..

تختفي..

الظلام الدامس يسيطر تماماً..

وأخر ما يتبقى هو وجهها الناظر إليه.. قبل أن يتلاشى بدوره ككل
شيء..

سائر الكتب ١١٨
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

سائر الكتب

- حاسس إننا كل يوم نبعد أكثر ياعم درويش مبنقر بش..

- طبيعي يا ناصر.. وطبيعي تكتشف إنها البني أدمة الوحيدة اللي مبتقدرش حتى تبتسم وانت باوصلها.. لكن دا مش بسببها هي.. ولا عشان باقي ستات الكون أحلى أو أحسن منها ولا يقين أكثر عليك.. المشكلة بتبقى في عينيك انت اللي مبتشوفش فيها إلا المسؤولية والظروف وضغوط الحياة.. وبتنسى إن ورا كل ده.. في بني أدمة من أول يوم جنبك عندها استعداد تشيل معاك كل هم.. وتشاركك فيه..

ذات الحلم يتكرر..

حلقها الجاف ويداها الممدودتان أسفل الصنبور الصدى أعلاها
يعتصرها الأمل في قطرة ماء أخيرة تبقت في جوفه.. الظلام يحيط
بها من كل جانب.. والمكان ضيق ضيق الروح التي لم تتسع سوى
للخوف.. العطش يكاد يقتلها ويجثم فوق أنفاسها التي خرجت ثقيلة
وموجعة..

العممة تزداد.. وأملها في النجاة يخبو على مهل..

ثم تسقط القطرة الأولى..

ساحر الكتب

١١٩

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

تلامس مسامها المتعطشة باعثة فيها الحياة من جديد..

قطرة أخرى.. وثالثة.. ورابعة..

ينهمر الماء من أعلاها غزيراً فتمد رأسها بكل رغبة البقاء الكامنة لديها أسفله محاولة التقاط البعض منه على لسانها قبل أن تفجعها الصرخة المنطلقة من خلفها مُلتاعة..

تلتفت إلى مصدرها لتجد أمها تعدو نحوها في ذعرٍ صائحة وهي تشير إلى نقطة ما تعلوها:

- اهربي يا نرمين .. اهربي..

يتخبطها الذعر وهي تنقل بصرها إلى الأعلى حيث الصنبور الذي تحول إلى عينان جامدتان بدتا مألوفتان بالنسبة لها تنهمر منهما الدموع في لحظة انبثاق يد من العدم أمامها تتشبث بذراعها في قوة كافية لتفجير صرخة الذعر المحتبسة داخلها وهي تتراجع باتزان مُنعدم.

وفجأة...

تعتدل فوق فراشها مستيقظة دفعة واحدة..

صدرها يعلو ويهبط مع الأنفاس المتلاحقة.. وعيناها المشدوهتان تتأملان أركان الحجر الطبيعية حولها..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

كالعادة تستيقظ عند نفس النقطة.. نفس الحلم المرعب الذي يُراودها منذ سنوات..

تستعيز بالله من الشيطان وهي تغمض عينيها محاولة تنظيم أنفاسها المضطربة للحظات تنامي خلالها إلى مسامعها صوت صياح صفيّة - الزوجة الثانية لدرويش - والتي وقفت أمام باب شقتها في الطابق السفلي ترمق بعينيها أكوام القمامة الملقاة على عتبته تعيث بها مجموعة من الهزّرتقا فزت مبتعدة أمام اندفاعتها المفاجئة وصراخها الحاد الموجه إلى أعلى:

- الناس الزبالة اللي بيسيبيوا زبالتهم قدام شقق غيرهم.. يعملوا حسابهم إن الصبر ليه حدود.. وقلة الأدب مفيش أسهل منها..

اخترق الصياح كذلك أذن رجاء والدتها الجالسة في صالة البيت أمام التلفاز مستندة برأسها إلى حائط ملأته الشقوق وأضى الزمن لمستة على طلائه فبات بلون مصفر..

قبعت فوق أريكتها غير مبالية وهي تتابع ببصرها ابنتها نرمين التي خرجت من غرفتها متجهة نحو الحمام في تناقل متممة:

- صباح الخير يا رجاء.. إيه وصلة الرشح اللي بدأها صفيّة من بدري دي؟ هو أنا مكتوب عليا كل يوم أصحى على صوتها؟

تمتمت والدتها وهو تميل طرف شفيتها إلى الأسفل:

ساحر الكتب

- معلى يا بنتى.. قدرنا.. الله لا يسامحه بقى اللى كان السبب..

نظرت نرمن نحوها ثم اقرت منها ترمقها بنظرة تشكك متسائلة:

- إنتى رميتى فعلا الزبالة قدام شقتها يا رجاء؟؟

لوحت الأم بكفيها وهي تقول:

- يابنتى أرمى إيه بس؟؟ هو أنا بتاعة الكلام ده؟؟ دانا رابطة الكيس

ومنزلاه الصبح بس عشان بتاع الزبالة لما بيعجى ياخذها بيكسل يطلع

للتالت.. مانتي عارفة .

فى حنقٍ لائمٍ صاحت نرمن وهي تمسح وجهها المبتل بمنشفة معلقة
فى المكان:

- عارفة ايه بس يا أمى .. ليه كده بس الله يرضى عليكى؟؟ مانتي

عارفه انها مبتسكتش.. طب هانزل ازاي أنا من قدامها دلوقتى؟؟ كنتى

تديهالى فى إيدي أنزلها أنا وللا أخذها معايا حتى أهون من وصلة

الروح اللى هتزف بيها عالسلم دى.. على فكرة انتى كده اللى قاصدة

تجري شكها..

ضربت رجاء كفها بالآخر وهي تقول مستكرة الإتهام الواضح:

- أنا قاصدة أجر شكها؟؟ ليه يعنى؟؟ هو أنا فاضية لشغل الولايا

ده؟؟ وللا أنا قد لسانها المشقوق بالطول؟؟ وبعدين متقلقيش.. على

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ما تقطري وتشربي حاجة تكون هي قفلت الجاعورة ودخلت شقتها..
ضربت نرمين الأرض بقدمها في تأفف وهي تعود لالتقاط ملابسها من
الدولاب متطلعة إلى الساعة في يدها قائلة:

- لا فطار ايه؟.. أنا متأخرة على مشواري أصلاً ولازم أنزل.. الله
يسامحكوا انتوا الاتنين بجد.. انتي وطليقك ده خلفتوني عشان تجيبولي
التهزيق صبح وليل كده..

بنظرة لائمة رمقتها الأم قبل أن تشيح بوجهها بعيداً عنها متممة في
أسي:

- الله يسامحك يا بنتي.. جاية بتحطيني أنا وهو دلوقتي في كفة
واحدة؟؟

منحتها نرمين نظرة مشفقة وهي تهمهم باعتذار بينما رجاء تتابع
معترفة:

- وأنا حتى لو كنت قاصدة بأي تصرف اني أضايقها.. متهيا لي من
حتي.. هيا يعني هتعمل ايه في وسط النار طرطشة مية؟؟
بدت لنرمين حمرة القهر التي انسدت فوق وجه رجاء وهي تكمل:

- مهما كان انتي بني أدمه زيي يا نرمين.. صحيح انتي بنتي.. ولسه
صغيرة ومدخلتيش دنيا.. بس أكيد فاهمة شعور إن بيقالك بديل في

ساحر الكتب

قلب مكاتتش مالكاہ بني آدمہ غيرك..

شعرت نرمين بالقسوة البالغة التي تسببت فيها كلماتها المندفعة بفعل الحنق.. فأطلقت تنهيدةً دافئةً وهي تقترب من أمها مُربّبة على كتفها قائلة:

- خلاص يا رجاء متزعليش مني.. أنا صاحية بس من حلم مش حلو ومضغوظة اليومين دول فالكلام طلع كده بدون حسابات.. أنا أسفة..

رفعت رجاء يديها محتضنة كف ابنتها في حنان تلقائي مغمغمة:

- ولا يهملك يا بنتي أنا عارفة.. حصل خير..

ثم استطردت تتسائل:

- صحيح عاملة ايه مع يحيى.. هو هيرجع من جيشه امتي؟

أبتسمت نرمين وهي تقول:

- الحمد لله بخير! بنتكلم كل يوم بس متأخر عشان ظروفه.. وبيقوللي قَرَّب يرجع بس محدديش امتي..

قالتها قبل أن تميل نحوها غامزةً في خبث:

- بس إيه دا يا رجاء.. أول مرة تكشفيلي إنك لسه بتغيري على عم درويش..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

كان هذا ما تدعوه به دائماً أمامها..

عم درويش..

لم تتعته بالأب احتراماً لمشاعر الأخيرة التي التفتت نحوها ترمقها في استنكار وهي تقول محاولة نفي ما اعتبر اتهاماً بالنسبة لها:

- أغير اية؟ أنا كرهى لصفية مش غيرة عليه أبداً.. دا مجرد طبع فينا كستات .. بنكره إحساس إن غيرنا قادر يعوض فراغ كنا فاكرين اننا بس اللي هنقدر نملاه.. بس لو دماغك راحت لبعيد فا خليني أقولك اني أكيد مبكرهش في حياتي قد الراجل ده..

صمتت نرمين.. وعادت مع الصمت تَكمل ارتداء ملابسها..

أصاب اليأس جزءاً مهملاً في قلبها لم تلق له مضموناً ولم تبحث له عن أسباب.. هو مزيج غير مفهوم من اقتتاد الأبوة.. واستنكارها في ذات الوقت..

وسط حفنة صورٍ باهتة جمعت في ذكرياتها بين ابتسامات ودموع انساب ذلك المزيج المضطرب فنفضته برمته من ذهنها وهي ترحل في اتجاه الباب مودعة :

- طيب.. أنا نازلة دلوقتي عشان الحق اللي ورايا .. ادعيلي..

قالتها ثم فتحت الباب متسللة عبر السلم نزولاً وهي تُمني نفسها بعبور

ساحر الكتب

أمن أمام صفية الزوجة الغاضبة التي رمقتها شذراً للحظة قبل أن
تقول بصوتها المرتفع:

- يا أهلاً بالغندورة.. على فين العزم اسمالله عليكى؟؟ رايحة تزبلي
فين تانى؟؟

بصوتٍ خفيضٍ حاولت به تخطي الأمر وشعور بالخوف يكتنفها تمتمت:
- صباح الخير يا طنط.. ايه دا؟؟ .. القلط بهدلتك الدنيا معلىش..
والله م..

قاطعتها الأخرى بشهقة أدركت معها فداحة تعبيرها الخاطيء:

- طنط؟؟ طنط مين يا صغيرة عالجب انتى؟؟ وللا انتى عشان معنسة
جيب أمك بإذن الله هتطلعي عقدك عليا؟؟

اختزلت نرمين المسافة المتبقية أمامها بخطوتان سريعتان وهي
تحرك شفيتها بهمهمات غير مفهومة محاولة الافلات من بين برائن
السباب والدعوات المتصلة.. مكملة طريقها إلى الأسفل نحو الشارع
لتلتقي عيناها وجه الجالس على كرسيه الخشبي كعادته بجوار الكشك
المقابل..

درويش..

يرمقها بنفس العينين المألوفتين لها حادة النظرات..

ساحر الكتب ١٢٦

هي ثانيةً اختلستها لهم الصدفة.. وأشاح بعدها كلا منهما بوجهه بعيداً عن الآخر..

لَكُمْ تَكْرَهُ هَذَا الرَّجُلِ!

حَقِيقَةُ تَكْرَهُهُ ..

تَبَّهَتْ حَيَاةَ فَاتِحَةِ عَيْنَيْهَا النَّاعِسَتَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً إِثْرَ صَرِيرِ بَابِ الْغُرْفَةِ الْخَشْبِيِّ الَّذِي انْفَرَجَ عَلَى مَصْرَاعِيهِ.. وَهِيَ تَلْتَمِزُ بِرَأْسِهَا الْمُجْهَدَ وَاضِعَةً سَبَابَتَهَا فَوْقَ شَفْتَيْهَا فِي إِشَارَةٍ بِالصَّمْتِ لِنَاصِرِ الَّذِي دَلَّفَ إِلَى الْمَكَانِ وَانْحَنَى لَوْضِعِ حَقِيبَةِ بَضَاعَتِهِ عَنِ كَتْفِهِ أَرْضًا بَيْنَمَا يَدُهُ تَتَحَسَّسُ الْحَائِطَ فِي الظَّلَامِ بَحْثًا عَنِ مِفْتَاحِ الْإِضَاءَةِ هَامِسَةً:

- بِالرَّاحَةِ وَالنَّبِيِّ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ.. الْوَادِ نَامَ بِالْعَافِيَةِ..

كَانَتْ أَنْفَاسُ الرُّضِيعِ تَعْلُو وَتَخْفُضُ فِي هَدْوٍ وَهُوَ يَرْقُدُ فَوْقَ ذِرَاعِهَا مَتَشَبِّهًا بِهَا رَغْمَ سَبَابَتِهِ الْعَمِيقِ..

تَابَعَتْ أَنْفَاسَهُ فِي صَمْتٍ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ اسْتِتَابِ الْأَمْرِ بَعْدَ عِبَارَتِهَا.. بَيْنَمَا لَمْ يُلْقِ نَاصِرٌ بِالْأَمْرِ لِكُلِّ ذَلِكَ وَهُوَ يَضْغَطُ عَلَى زُرِّ الْإِضَاءَةِ لِيُضِيءَ الْمَكَانَ بِنُورٍ أَصْفَرَ مَفَاجِيءٍ صَدَمَهَا فَأَغْلَقَتْ حَدَقَتَيْهَا وَهِيَ تَهْمِسُ مَرَّةً أُخْرَى:

- لِيَهْ كَدَهْ بِسْ ٩٩ دَا هِيَجْنَنِي لَوْ صَحِي..

ساحر الكتب

١٢٧

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

في لا مبالاة تامة.. أخذ يفك أزرار قميصه قبل أن يخلعه ويلقي به فوق الفراش الذي استند على طرفه لخلع حذائيه مُطلقاً زفرة إجهاد واضح من عناء يوم طويل في الشارع أنهاها قبل أن يقول:

- بقولك ايه؟؟ أنا جي من برة هلكان وعاييز أتعشى وأنام.. فقومي سخّيلي لقمة..

فركت عيناها بيدها الحرة.. ثم أخذت نفساً عميقاً كتمته وهي تحاول في حذرٍ شديدٍ سحب ذراعها من أسفل الرأس الصغير والابتعاد عنه دون إصدار اهتزازة قد توقظه متممة:

- هقوم حالاً أسخنك الأكل واجيبهولك برة في الصالة.. بس يلا بينا دلوقتي نسبيله الأوضة عشان يفضل نايم.. الحرارة اللي عنده يا حبيبي مخلياها نَفْسُه مكتوم ونومه صعب أوي..

لوح لها بيده قائلاً وهو يلقي جسده المنهك فوق الفراش الذي اهتز مع الصغير فوقه:

- هو انتي ليه مابتهميش؟؟ بقولك مش قادر تقولي لي أطلع الصالة؟؟ أنا هاكل هنا عالسرير عشان هتقلب بعدها وش..

برزت عروق رقبتها في تأهّب وهي تطالع الصغير الذي بدت منه حركة تأفف من اهتزاز الفراش للحظة قبل أن تعاود أنفاسه طبيعتها مرة أخرى.. فلانت ملامحها.. وتنفست الصّعداء وهي تنهض متجهة إلى

ساحر الكتب ١٢٨

الخارج قائلة:

- حاضر من عينيا .. بس والنبي يا ناصر خلي بالك اوعى الواد يصحى
بالله عليك ..

قالتها وهي تستند على الحائط في طريق الخروج .. ودوار الإجهاد
يطارد كل خلايا رأسها ..

لم تكن قد تخطت بعد فترة نقاهة ما بعد الولادة .. كما أن جسدها
النحيل .. والضعف العام الذي تعاني منه بطبيعتها .. إضافة إلى النوم
الحذر المتقطع .. جعلها في شبه انهيار صحي تابعه ناصر ببصره
قبل أن يغمغم بصوت مسموع:

- طب انتي في البيت وعاملة كده؟؟ أمال أنا أعمل إيه اللي على رجلي
طول اليوم في الشارع؟؟
حاولت الابتسام وهي تقول:

- الله يكون في عونك يا حبيبي .. بس تربية العيال صعبة متستهونش
بيها .. دانا مبنامش بالأيام ..

صدرت منه ضحكة تهكمية قصيرة وهو يرمقها دون أن ينبس ببنت
شفة .. فأكملت هي طريقها نحو المطبخ لتحضير عشائه ..

كانت تفهم ما يدور بخلد ..

ساحر الكتب

١٢٩

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

كانت تشعر به.. تلحظه.. تتفهمه..

ويقتلها..

لا زال غير مقتنع بها..

منذ البداية..

منذ أن وضع في إصبعها خاتم ارتباطهما المقدس..

منذ ذلك الحين وهو يراها فُرضت عليه.. دون قصدٍ أو إصرارٍ منها..

هي لم تُتكر أبداً استحسانها لناصر..

ذلك الذي لم تتفتح عيناها في الدنيا على غيره.. كونها الفتاة التي

بدأت طفولتها في قرية ريفية بسيطة لا تكاد تذكر تفاصيلها قبل موت

والدها وقبل أن تنتقل للمعيشة معهم في منزل عمها الذي لم تخرج منه

سوى إلى هذا البيت.. لكنها حقاً لم تحاول أبداً الضغط بأي شكل من

الأشكال لتحقيق ذلك..

القدر والسلو والعادات هم من تولوا المهمة.. أما هي.. فقد تركتها

لهم.. وحملت على عاتقها أمراً واحداً آخر..

هذا البيت..

عائلتها الصغيرة..

كانت التحدي الأوحى بالنسبة لها..

ساحر الكتب

١٣٠

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

والشاغل الأكبر..

كل ما ترغب فيه أن تحافظ عليهم..

ورهانها على الأيام والعشرة..

قادرة هي بهم أن تمحو نظرة الندم في عينيه على زواجه منها
واستبدالها بابتسامة رضا بنصيب كتبه القدر لهما..

كانت تُكنُّ له الكثير من الامتنان برغم ما يُيديه لها من قسوة تخفي
وراءها قلباً ترى بعينيها الخضراوتين نقائه..

هو الزوج..

والأب..

و الأخ..

هو البديل لكل ما فقدت..

انقطع سلسال أفكارها بغتة.. وانقضت الذكريات من رأسها بارتفاع
صوت صراخ الرضيع من داخل غرفتهم فمدت يدها في سرعة لتبعد
رغيف العيش الساخن من فوق العين المشتعلة.. قبل أن تُطفئها وتمسح
يدها في ملابسها متجهة إليه وهي تغمغم:

- إيه اللي صحاك دلوقتي بس؟ كده يبقى الليلا دي كمان مفهاش نوم..

كان صراخه متصلاً ومتواصلاً.. بشكل مزعج جعل ناصر يصرخ بدوره

ساحر الكتب

١٣١

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

فيها وهي تدلف إلى المكان:

- تعالي الحقي خدي الواد ده واطلعي بره نيميه بقى وللا شوفي هتعملي
معاه ايه.. أنا مش ناقص قرف..

اندفعت تحمل الرضيع وتضمُّه إلى صدرها وهي تُهدده مُهمهمة:

- مش قاتلك؟؟ دانا مصدقت نيمته.. هو إيه اللي صحاه؟

أشاح بوجهه وهو يفغم:

- أبداً.. قلت بس أبوسه بوستين.. لقيته قام فاتحلي الجاعورة كده..

عضَّت شفثيها في غيظ مكتوم.. وصراخ الرضيع يعلو بجوار أذنها وهي
تقول:

- مانا قاتلك؟؟ لو صحي مش هينام ليه كده الله يسامحك..

في لا مبالاه ممزوجة بالإجهاد غمغم:

ربنا يسامحنا كلنا..

ثم تساءل:

حضرتي العشا وللا لسه؟؟

وقبل أن تجيب استطرد:

- ولا أقولك خلاص ملوش لازمة العشا كمان.. أنا هنام على طول..

أقفلني عليا النور.. وخدي بقي الباب في إيدك أنتي والواد الزنَّان ده..
سيبوني أنام..

استمرت في نظرتها إليه للحظة.. وهي تضم الجسد الصغير الدافئ
إلى صدرها.. صراخه المتعالي.. والوجه شديد الاحمرار كانا التعبير
المتاح له عما يُخالجه من ألم...

مدَّت يدها تتحسَّس رأسه في قلق بمقياس الأمومة داخلها..
حرارته مرتفعة بشكل مقلق..

أصابع يده الدقيقة ترتعش دون توقف..

اندفعت به إلى الخارج بعد أن أغلقت نور الغرفة خلفها والباب على
ناصر باحثة في أركان الصالة عن علبة خافض الحرارة الذي ابتاعته
له منذ أيام..

هاهي العلبة.. مدَّت يدها تتناولها وهي تهوول بحملها نحو الحمام
ملتقطعة قطعة نظيفة من القماش أسقطتها أسفل صنوبر المياه البارد
حتى تشبعت به قبل أن تحيط بها جسده في محاولة منها لتخفيض
الحرارة التي بدت لها غير طبيعية..

شهق الرضيع مواصلاً صرخاته في حين رجَّت هي علبة الدواء بما
احتوته من سائل تبقي في قاعها لم يعد يكفي كجرعة علاج سحبتة
بمحقق انتزعت إبرته ودفعت به في الفم الصغير..

ارتعاشة يده تستمر.. وتنتشر في باقي أجزاء جسده متقلبة إلى يديها التي أخذت كالمحمومة تنثر بها المياه الباردة فوقه..

كان الصغير على ضعفه يعاني بين يديها العاجزتين عن المساعدة.. دارت ببصرها في المكان ترمق الساعة المعلقة على الجدار أمامها والتي أشارت عقاربها إلى الثانية بعد منتصف الليل..

لقد انتهى اليوم..

وكذلك انتهى الدواء.. ربّاه.. ماذا عليها أن تفعل؟

أخذت تدور حول نفسها في المكان بغير هدى وقلتها العاصف يمضي بها يمنة ويسرة مزلزلاً أركان الطمأنينة بداخلها مع عقل خيم الإجهاد عليه فجعلها عاجزة عن التفكير..

مرة أخرى اندفعت عائدة نحو الغرفة التي يرقد بها ناصر.. فتحت بابها وأشعلت زر الإضاءة وهي تصيح موقظة زوجها الذي لم يستسلم له النوم بعد:

- ناصر قوم.. الواد حرارة عليت مرة واحدة وعمال يترعش في أيدي.. والدوا بتاعه خلص أنا مش عارفة أعمل ايه..

فتح ناصر عينيه في غضب كال به من الحنق حفنة وجهها في نظرة لها قبل أن ينتقل قلقها إليه وهو ينظر إلى الطفل المرتعش بين يديها..

ساحر الكتب ١٣٤

اعتدل فوق فراشه في سرعة ثم قال وهو يمد ذراعه نحوها بعصبية:

- ناويليني الواد كده؟؟

ناولته الطفل في حذر وهي تقترب بدورها منه مراقبة كفه الذي وضعه فوق جبين الصغير للحظة قبل أن يغمغم:

- دا سخن مولع.. هو إيه اللي حصل؟؟

هزت رأسها أن لا تعرف.. في حين صمت هو مفكراً وهو يقبل رأس الصغير قبل أن يشير لها في عصبية قائلاً:

- كلمي الصيدلية طيب خليه يبعثوا دوا تاني..

انطلقت في سرعة لتنفيذ الأمر ملتقطة سماعة الهاتف في انتظار المجيب لفترة قبل أن تقول منادية والسماعة لا زالت معلقة فوق أذنها:

- محدش بيرد في الصيدلية.. أنا خايفة يكونوا قافلين..

دارت عيناه في الأرجاء شاردة وهو يعقد حاجبيه مغمغماً:

- لا قافلين ازاي؟؟ أكيد شغالين.. دول ٢٤ ساعة..

كررت:

محدش عندهم بيرد..

أشار لها وهو ينهض من فوق الفراش مُرتدياً حذاءة فوق البيجامة على

ساحر الكتب

عجل وهو يقول:

- جرّني معاهم تاني وتالت.. افضلي ورا التلفزيون.. وأنا هنزل أجيب عبودة من هناك يتصرف..

كانت تتأمله والقلق يعصف بها..
هذا الجزء من شخصيته..

هذا الجزء البسيط منه.. هو ما أحبّ

جزءٌ يظهر فيه الإنسان العطوف بداخله..
مثل تلك اللحظات منه عشقتها..

ناصر..

فيض من حنانٍ يُخفيه غالبًا لكنه موجود.. كامنٌ يطفو تلقائيًا إلى سطح تصرفاته كلما تأزمت الأمور.. لم يكن هذا هو الوقت المناسب للفرق بين خواطرها.. تمتمت وهي تراقبه يتجه نحو باب الشقة:

- يا ناصر يظهر اننا لازم نوديه لدكتور.. علاج الصيدلية وخافض الحرارة دا مش عامل معاه حاجة.. والموضوع بيزيد مبيقش..

أوما برأسه وهو يدير المفتاح في ثقب الباب ليفتحه متممًا:

- معاكي حق.. بكرة الصبح ان شاء الله لازم ناخده على أي مستشفى يشوفوه.. وأنا هحاول أستلف من أي حد تمن الكشف.. بس دلوقتي

ساحر الكتب ١٣٦

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

برضو لازم نلاقي حل نوقف بيه الحرارة العالية دي..

قالها ثم اندفع خارجًا قبل أن يفلق الباب خلفه..

كان القلق هو ما يعدو به في الطريق متجاهلاً وجع عظامه المجهدة وجفناه المتساقطان فوق عينٍ مُجَحَّمَةٍ من فرط الإرهاق.. مع تلك البرودة التي اخترقت جسده أسفل البيجامة الصيفية التي يرتديها متجهًا نحو الصيدلية أمام أعين ساهري الليل الذين رمقوا في فضول منظره الغريب المثير سواء لشفقة أو لريبة.. أيهما أقرب..

أطرافه التي ازرققت من فرط صقيع حل بها لم تكن شاغله الأكبر.. ونظراتهم لم تكن تعنيه.. مستمرًا في هرولته أكمل الطريق متخطيًا كمين التفتيش الذي نصب في ذلك الآن على مقربة منه يقف فيه ضابط حديث التخرج يحيط به ثلاثة من العساكر أمام سيارة زرقاء قبع بداخلها رابعهم يرمقه بنظرة شك لم يختلف بها عن زملائه اللذين اقترب خلفه أحدهم بخطوات بدت كالعُدو وهو يصيح:

- انت.. يا أستاذ.. رايح على فين كده؟

توقف ناصر إثر النداء.. ثم التفت مطالعًا وجه العسكري المقرب منه بزِيَه الأبيض... قبل أن يقول مشيرًا بيديه في عجل:

- معلى أنا نازل أجيب دوا لأبني بس عشان تعبان..

نظر العسكري إلى ملامحه للحظة قبل أن يلتفت نحو الضابط الواقف

ساحر الكتب

على بعد أمتار منهم ملتقطاً منه إشارة ما عاد بعدها لينظر إلى ناصر وهو يقول:

- تعالى كلم الباشا..

في توتر المُتعجل سار ناصر معه نحو الرجل الذي وقف متأنقاً بزيه الرسمي يتفحص وجه الأخير الذي اقترب منه..

غمغم ناصر من وسط لهائه في توتر:

- مساء الخير يا باشا.. أنا اسمي ناصر.. ساكن هنا في المنطقة ونازل بس أجيّب دوا لابني عشان تعب فجأة في البيت..

رمقه الرجل بنظرة تشكك تأمل بها ملابسه غير المهدمة.. وعينيه الزائفتين.. قبل أن يقول في هدوء:

- ألف سلامة عليه ان شاء الله.. أشوف البطاقة بعد إذنك؟

مدَّ ناصر يده في جيوبه بحثاً عن محفظته التي لم تكن معه بسبب العجلة في لحظة توتر قبل أن يجيب:

- البطاقة مش معايا يا باشا.. نسيتها في البيت زي مانت شايف أنا نازل بالبيجامة..

دقق الضابط في ملامحه أكثر في تشكُّك ثم استطرد:

- طب ممكن أشوف رويشة الدوا اللي انت نازل تجيبه؟

ساحر الكتب ١٣٨

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

هز ناصر رأسه بلا وهو يردد:

لا يا باشا مفيش رويشة ولا حاجة.. انا بجيبه دوا عادي من الصيدلية..
لم يبْدُ على الرجل اقتناعًا بكلام الأخير.. وبدا ذلك واضحًا في بروده
التام وعينه المتجولتان عليه في رحلتهم من رأسه وحتى أخمص
قدميه قائلاً:

- اااااا.. قتلتني بقى بتجيبه عادي؟؟ طيب معاكش البطاقة ولا
رويشة.. ونازل بالليل متأخر في وقت زي ده تجيب لابنك دوا.. ممكن
تطلعني اللي في جيبك كدا أشوف انت معاك ايه؟؟

أخرج ناصر بطن جيوبه الفارغة أمام الرجل في سرعة قائلاً:

والله يا باشا أنا مش معايا أي حاجة.. زي ميقولك بس بجيب دوا
لابني..

أطلق الرجل ضحكة تهكمية مستنكرة وهو يقول:

- ايه ده؟؟ ومعاكش فلوس كمان؟؟؟ آمال هتجيب الدوا منين؟؟ هترهن
الشبشب؟؟

تذكر ناصر في تلك اللحظة أمر الهاتف المستقر في يده.. فرفعه أمام
الرجل قائلاً وقد اكتشف المخرج من تلك الأزمة التي وقع فيها:

- طب هو أنا ممكن أستعمل التلفزيون بس أكلم أي حد يجيبلي البطاقة؟؟

ساحر الكتب

أشار له الرجل أن تفضل.. ففتحه وضغط أزراره متصلاً برقم عبودة الخاص المُسجل في قائمة الهاتف لديه..

ظل الهاتف للحظات فوق أذنه ينقل له صوت الجرس دون إجابة من الطرف الآخر وعيناه ترصدان نظرة التربص الكائنة على وجه الواقف أمامه قبل أن يأتيه صوت محدثه ناعساً على الجانب الآخر من الخط:

- أبو ناصر.. حبيبي مساء الفل..

اندفع ناصر قائلاً دون مقدمات بحروف نالت عصبية منها الكثير:

- عبودة.. انت فين دلوقتي؟

تمتم الآخر في قلق مستشعراً العصبية في صوته وهو يتسائل:

- أنا في الصيدلية.. خير في ايه يا صاحبي؟

مرة أخرى لم يهتم ناصر بالرد وهو يتابع في ارتباك:

- بص اسمعني.. والنبي اعمل معروف اقل وللا أي حاجة واطلع

جري على بيتي.. أنا كنت جايلك في الطريق.. بس وقفوني في كمين

تفتيش كده.. اتحرك على عندي في البيت على طول.. وهات معاك أي

خافض حرارة عشان الواد ابني جسمه مولع نار.. الحقه هناك بس

وبعدين خلي مراتي تديك البطاقة وتعالالي عند شارع..... انا واقف

في الكمين اللي هناك.. بسرعة والنبي يا عبودة..

ساحر الكتب ١٤٠

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

هز عبودة رأسه في بطاء مستوعباً الأمر ثم تمتم:

- ماشي خلاص.. هحاول أتصرف متقلقش..

انتهى الاتصال بينهم بعبارتين قصيرتين أغلق بعدهما ناصر الخط ملتفتاً إلى الشك المتشكل في هيئة ضابط وقف يراقب اضطرابه الواضح في لامبالاة قائلًا:

- عملت مكالمتك؟

هز ناصر رأسه مجيباً بنعم وهو يهم بقول عبارة ما قاطعها الرجل بإشارة من يده وهو يقول:

سيبني أنا بقى أشوف شغلي..

قالها ملتفتاً إلى العسكري الواقف خلفه وهو يستطرد في بساطة مؤلياً له ظهره:

- خدوه عال بوكس مع زميله.. يشرفنا في القسم لحد ما بيانله صاحب..

اندفع ناصر بفرد اضطرابه وقلقه صائحًا:

- ياباشا قسم ايه بس؟ واللّه العظيم أنا ابن ناس وساكن قريب من هنا.. وكنت نازل بس أجد..

مرة أخرى انقطعت عبارته إثر نظرة تأفف رمقه بها الرجل.. قبل أن

ساحر الكتب

يمد يده ممسكاً بفكه رافعاً إليه رأسه ومتأملاً عيناه بنظرة ذات مغزى
مخيف مستطرداً:

- أنت مبيع حاجة يله 99

همَّ ناصر بالنفي قبل أن يتراجع ملتقطاً حديث العين المتطلعة إليه في
سطوة..

هذا الرجل ينفذ عمله.. بالطريقة التي تترائى له..

وعلى المتضرر.. اللجوء إلى الصمت..

ساحر الكتب ١٤٢

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

١٧ سبتمبر ٢٠١٥

حدثني عن حقيقتك... تلك التي أخفيتها مثلي تحت أقنعة
المفترض والمنطقي والمفروض..

دعك من الواقع.. ذلك الجزء الصغير المتراني لك فوق السطح
من جبل الثلج أمامك..

عن جزئك الأكبر الذي غمرته المياه ووارثه حتى عن عينيك
لتناسي تمامًا وجوده أريد الحديث..

كانت ليلة طويلة بحق..

المكان المعتم كما هو..

والإضاءة الخافتة المنبعثة إليه من الرواق بالخارج كما هي..

وكذلك نظرة الحيرة في عيني للفتى الواقف أمامي..

وهو متطلعاً إلى نظرتي الحائرة يقول:

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

- أنا أصغر ابن في بيت مكون من أب وأم وخمس اخوات بنات..
سميرة.. سعاد.. سماح.. ونادية وصباح.. أبويا تاجر سيناوي بسيط
الحال.. وأمي ست بيت.. ما كان سهل تفرق بينها وبين اخواتي في
العمر.. لكن لو دقت فعينها أكيد راح تشوف وتعرف الفرق..

ابتسم وهو يشرد ببصره سارحاً قبل أن يتابع:

- فاكر وشوشهم لما عرفوا بخبر مرضي.. خصوصاً أمي.. من هادا
اليوم وعينها شالت حزن كبرها خمسين سنة.. تقريباً الدموع اللي بكيها
يومها من الحزن اتخفرت ورسمت على وشها تجاعيد فضلت على وشها
من بعدها طول العمر.. كنت صغير وقتها.. ثلاث سنين.. تقريباً.. آه
ما كنت بدرجة فهم كفاية.. بس المشاعر بتوصل.. لأن مالها علاقة
ولا ارتباط بأي سن.. حالة الحزن اللي كانوا فيها وصلنتي.. حسيت
بيها.. بس ما عرفت أتفاعل كيف معاها.. ما بين طبيعة طفولة اتعودت
عليها.. وطبيعة جديدة اتفرضت عليا كنت في حيرة.. هي أمي ليش
ما بتنهمني عالغلط؟ ليش بتاخدني في حضنها كثير وتبكي بحرقة؟
أخواتي الكبار.. ما صاروا يرفضولي طلب.. اهتمامهم بيأ زاد..
وخوفهم من زعلي.. سعاد بتسوي لي الأكل اللي بريده.. ونادية بتعطيني
مصروف كل ما أطلب حتى وهي عارفة انو معي.. حتى صباح صارت
ما بتفرض تقاسم معي لعبها اللي كانت زمان بتصرخ بس لو لمستها..
كمان أبويا.. شفته كيف اتغير وصار عصبي على غير طبيعته.. كان

ساحر الكتب ١٤٤

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

وقت ما بيرجع زمان البيت الكل فينا يجري عليه يحضنه.. ومهما كان
تعبان كان بيتقبل..

دلوقتي بعرف إنه وصل من صوت الزعيق .. أنا الوحيد اللي لما كنت
أدخل عليه .. كان يسكت.. بس يشوفني .. بيتسلمي.. وياخدني في
حضنه.. مكنتش فاهم يعني ايه ورم .. ومكنتش عارف أصلا مداه..
كنت صغير على اني أستوعب.. حتى الألم اللي كان فيا أيامها ما قدرت
أستوعبه.. بس التغييرات دي حسستني ان فيا شيء مش طبيعي.. وعلى
قد ما فرحت بيها.. على قد ما زرعت جوايا الخوف.. ومع الوقت.. يوم
ورا الثاني.. وسنة بتلحق اللي قبلها.. كبرت.. وفهمت ..
صمت مرة أخرى مُتنهذاً..

كنت أستمع إلى كلماته باهتمامه إنساني بالغ وسط تفاصيله تلك الدفعة
التي جفت فوق وجنتي منذ أنهيت البكاء.. وذلك الفارق العمري الكبير
بيني وبينه.. كان يتحدث ببلاغة تلقائية لم تبد أبداً متناسبة مع سنه
الصغير.. وكأنني أمام رجل بالغ.. رجل هو المتحكم في مقاليد كل
الأمر.. رجل أمامه كُنت أنا الطرف الأضعف رغم كل شيء.. الطرف
الذي يحتاج لمساعدته.. وجدت نفسي مستنكراً لحظة صمته التي
اشعلت بداخلي الفضول أتمتم:

- وبعدين يا مروان؟؟ كمل..

ساحر الكتب

١٤٥

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

لم أنتزعه من خواطره بسؤالى.. فقد كانت محيطه به طوال حكايته..
فقط عادت مقلتهاه للتوجه نحوى.. ثم تنهد مرة أخرى ..
وأكمل ..

ساحر الكتب ١٤٦

WWW.SATERALKUTUB.COM
ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

مكالمة تنتظرها.. حتماً آتية.. يخبروك فيها أن البقاء لله..

حقيقة

أنا كل الشعيرات البيضاء المتجمعة بين سنون الفرشاة..

أنا تلك الأرداف المكتنزة .. والأنفاس التي تلاحقت من بعد أول
خطوتين..

علب الأدوية وروشتات العلاج..

أنا العباءة المتكومة فوق أريكة متهالكة بجوار نافذة تطل على الشارع..

أراقب منها الجميع..

وأقبع كما أنا..

وحيدة..

الإمضاء / رجاء

ساحر الكتب

١٤٧

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

جملني.. بنظرة حب ساكنة عنيك..

هبان فعنيك أكيد أجمل..

أنا عايزاك تعيش ليا وأمانة عليك..

دليل حسني.. أشوفه فعنيك الأول..

((ورقة رابعة.. في مفكرة خضراء))

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

رَمَقَتَه الممرضة ذات الرداء الوردى المسئولة عن رعايته في المكان بنظرة مختلصة.. وهو يرقد فوق فراشه متمسكاً بالهاتف المحمول في يده.. محاولة بدافع من فضولها الأنثوي التسلل عبر عيناه إلى تلك الصورة على شاشته التي بدى كالمسلوب منغمساً فيها..

- هي النتيجة دي مطبوطة؟

ألقى سؤاله بغتة يحدثها.. وهو ينقل عيناه من الهاتف إليها مشيراً نحو التقويم اليومي المعلق على الحائط أمامه والذي أعلنت ورقته الظاهرة عن الرابع من سبتمبر ٢٠١٥ فارتبكت متصنعة الاستمرار في تنظيف المكان وهندمة ما حول فراشه قبل أن تدور إلى حيث يشير وهي تهز رأسها أن لا.. متجهة نحوه بخطواتها الزاحفة لتنزع الورقة من مكانها وتجيب:

- كذا بقت مطبوطة.. معلىش نسيت أشيلها من الصبح..

عقد حاجبيه..

ساحر الكتب

لا فارق لديه في اليوم أو سابقه..

لكن كيف مرت الأيام بهذه السرعة؟؟

- هيا أوضة مروان لسه فاضية؟؟

ألقى السؤال فهزت رأسها أن لا قائلة:

- لأ طبعاً.. فيها دلوقتي مريض تاني.. جي من ثلاث أيام أصلاً.. احنا الأوض عندنا مبتفضاش..

لم يهتم بجملتها قدر اهتمامه بالوقت الذي بات بالنسبة له وكأنما يمضي فوق سهوة فرس جامع..

لقد تأخر كثيراً.. هو الذي أهمل في حزنه الوقت حتى تخطاه ولم يتبق منه الكثير.. حقاً تأخرت.. من داخله تنامى الصوت يؤكدها ويخبره:

لقد تأخرت كثيراً.. وهي تنتظرك.. أنت تشعر بها.. جالسة هناك.. في شرفة الفندق الملحقة بجناحكم المحجوز.. تتأمل ما حولها في شرود بعقل تراوده خواطر ندية لم يعكر صفوها شيء وقلب لا يحوي في مكنونه إلاك..

تنتظرك..

منذ متى؟؟

كم من ساعة مرت؟؟ ولأي اتجاه تمضي العقارب؟؟

ساحر الكتب

١٥٠

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

لا يهم..

لا قيمة لدقات الساعة حين تتعالى دقات القلوب..

لقد تأخرت..

بالشوق المتجسد في بريق عينيها الزرقاوتين نهضت.. متجهة
بفستانها الأبيض إلى الداخل باحثة بين جنبات حقيبتها الصغيرة عن
هاتفها الخليوي الذي التقطته وضغطت أزراره قبل أن ترفعه إلى أذنها
مُنصتة لصوت حرارة الهاتف الذي لازلت ممسكًا به في يدك تتأمل
صورتها على الجهة الأخرى من المكالمة حتى أتاها صوت من بين
شفتيك متلهفة نبراته يتسائل:

- ندى؟

إنها هي..

لقد اشتاقتك ولا زالت تنتظر..

رغم كل التأخير..

أنهى عبودة مكالمته مع ناصر وفي رأسه استيقظت أبالسة الجحيم..

كل الأفكار الشيطانية تراوده..

فريسة ألقيت على أعقاب عرينه.. يتوقعون منه حراستها..

ساحر الكتب

واهمين..

هي فرصة ذهبية تُتيحها له الأقدار..

هي فرصة حريٌّ به استغلالها..

هي الآن وحدها..

وهو الأحقق إن لم يُسرِع..

لربما لن تتكرر له فرصة شبيهة فيما بعد..

نهض في عجلة وقد انسل مغادرًا عنه شعورًا بالنعاس كان يرافقه منذ لحظات..

شرع في جمع ما يلزمه من أدوات وأدوية من الصيدلية داخل حقيبة صغيرة علقها على كتفه قبل أن ينطلق مغلًا المكان خلفه إلى بيت الأول..

لم تكن الصداقة دافعه..

ولم يكن انقاذ الطفل هدفه..

فقط كانت هي..

حياة..

رغبته المرصية فيها إن شئنا الدقة.. رغبة السيطرة وامتلاك كل ما

لا يحق له.. تلك المتعة المغلفة بأنانية الطبع الدنيء داخله.. للخيانة مذاق ممتع.. تشتهيهِ النفوس العفنة.. هي فرصة بالنسبة له ليس إلا.. وهو وغد تتسع ابتسامته في الوجوه بقدر الاستفادة.. ويتحمس للأمور بقدر مصلحته الناتجة عنها.. هكذا أملى عليه الشارع قوانينه..

نشأته المتعثرة في الحي الشعبي الزاخم بالفراغ الأخلاقي علمته أن المبادئ قد تكلف صاحبها الكثير دون أن تفضي له بشيء.. علمته اقتناص الفرص.. والطمع في كل ما امتلك غيره.. هو المستحق لكل ما لم تُجدَّ به الحياة عليه.. سيستغل الفرصة حتى نهايتها.. وسيجد من المبرارات ما يكفي لتبرئة ضميره فيما بعد..

تلك الوحيدة تقبع هناك كفرصة أهداها له أحرق التمتَّ حبال الظروف القهرية حول عنقه.. دار كل هذا في خلد.. وهو يتجه حاملاً حقييته الصغيرة نحو بيت ناصر سالكاً طريقاً مخالفاً للذي أخبره عنه الأخير حتى لا يلتقيه..

سيتركه لقدره.. وسيتناسى أمر البطاقة التي طلبها منه..

- ساذج انت يا ناصر..

تمتم بها في تهكُّم لم يتخطَّ حدود شفثيه وهو يقف أمام باب شقة هذا الأخير ضاغطاً بأصابعه الجرس على الحائط جواره في سرعة منصتاً لصوت أقدام حياة التي اقتربت لتقف خلف الباب تتأمل وجهه

ساحر الكتب

١٥٣

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

عبر العين السحرية المثبتة في منتصفه يتسم ابتسامته الصفراء..
قبل أن تنطق بحروف مقتضبة أخفت بها زفرة الضيق التي انبعثت من
حشاها متسائلة:

- عبودة؟ خير؟ هو ناصر كلمك؟

شعرت بعيناه يخترقانها من خلف العين السحرية على الجهة الأخرى
من الباب وبابتسامته الصفراء المعتادة قال:

- أيوة يا حياة افتحي الباب.. هتسيبيني واقف برة كده؟

كتمت حنقها داخلها وهي تقول معذرة:

- معلىش يا عبودة غصب عني.. بس ناصر مش موجود.. هو مش
معاك؟

ضحك ضحكة متهكمة وهو يقول:

- لأ بس متقلقيش.. هو اللي باعتني..

انعقد حاجبيها من موضعها قبل أن تتسائل:

- طب هو فين؟ مرجعش معاك ليه؟

لوح بيده قائلاً:

- ياستي مشفتوش.. كلمني قاللي اسبقني على البيت فمكدبتش خبر
ومرضيتش أستناه.. افتحي يا حياة أنا مش هاكلك.. هو مش الواد

ساحر الكتب

ابنك حرارته عالية وعازية حاجة تنزلها الواد؟؟ وللا أمشي وخلص بدل
العطلة دي؟؟

عقدت حاجبيها أكثر في ضيق وهي تتمتم:

- طب لحظة واحدة يا عبودة استنى..

ثم انطلقت تبحث عن غطاء رأس وضعته على شعرها قبل أن تفتح
الباب مفسحة له المجال للدخول قائلة:

- اتفضل.. الواد في الأوضة جوه نام من التعب..

دلف إلى المكان بجذائة المتسخ وهو يسحب الباب ليغلقه خلفه
فاستوقفته قائلة:

- لا سيبه مفتوح..

رمقها في مكر وهو يكمل طريقه إلى الداخل في حين توقفت هي بجوار
الباب فالتفت إليها قائلاً:

- ايه؟؟ مش هتدخلي معايا؟؟

أشارت برأسها أن لا وهي تقف في مكانها بجوار الباب قائلة:

- لا أدخل انت أنا هستنى ناصر.. الواد زي مبقولك جوه نايم عالسرير..

قال في خبث:

ساحر الكتب

١٥٥

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- أنا عارف اني مش غريب.. بس لازم تدخلني معايا عشان تمسكيلي
الواد وانا بديله الحقنة..

لا شيء فيه يُريحها.. لا شيء منه تتقبله..

وكان لُخبثه رائحة تشتمُّها بالفطرة الصافية داخلها..

كانت غير مطمئنة إطلاقاً لوجوده في المنزل وهي وحيدة..

وإن كانت دوماً وحيدة..

بين جدران بيتٍ كبيرٍ احتواها..

ونبضات قلبٍ وحيدٍ عشقته..

لم تجد بُدًّا من السير خلفه إلى الداخل في حذر يطمئنُّها فيه باب
الشقة المفتوح خلفها.. وهو يدلف إلى الغرفة بالحقيبة الصغيرة على
كتفه التي وضعها على طرف السرير قبل أن ينحني واضعاً يده على
رأس الرضيع النائم قائلاً في حنان مصطنع:

- يا حبيب قلبي.. دا مولع يا حياة.. انتي ازاي ساكتة عليه كل ده؟

تغلب شعور الأمومة بداخلها على اصطناعه فأجابت في قلق:

- أعمل ايه بس؟ واللَّه طول الليل بعمله في كمادات مية باردة مفيش
فايدة..

مدَّ يده نحو الحقيبة ليفتحها وأخرج منها امبولات دواء كسر بعضها

وملاً بها محققاً جديداً مزق غلافه للتو أمامها بيد ثابتة وهو يقول:

- على فكرة انتي متعرفيش أنا خايف عالواد ده ازاي.. دا زي مايكون ابني..

ثم رمقها بنظرة خاصة مكملاً:

- يمكن عشان كان نفسي يكون كده..

ارتفع من الخارج في تلك اللحظة صوت طرقتين متتاليتين على الباب الخشبي المفتوح بالخارج تلاه صوتٌ أنثويٌّ يهتف:

حياة.. انتي هنا؟

أسرعت هي بدورها تجيب بصوت مرتفع نوعاً ما:

أنا في الأوضة تعالي..

كانت تلك جاريتها التي بدت له عند ظهورها على عتبة الغرفة كمطرقة هشمت نواياه المريضة وهو يرفع المحقن عاليًا أمامه متأكدًا من عدم تخلُّل فقاعات الهواء مع السائل داخله بينما المرأة تقول:

- خير يا حياة في ايه؟؟ بخرج كيس الزبالة عشان جوزي ياخده معاه وهو نازل يصلي الفجر لقيت بابك مفتوح.. قلقت وقلت أشوف مالكو؟

حملت نظرة حياة لها الكثير من الامتنان وهي تهتم بالرد عليها لولا أن سبقها الحنق من بين شفتي عبودة وهو يتأفف قائلاً:

ساحر الكتب

١٥٧

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- لا أنا كده مش هعرف أركز.. لوسمحت أنا عايز هدهوء..

كانت لديه رغبة بقدر لا بأس به في تحطيم رأس الفضول الأحمق
التمثل أمامه في هيئة تلك الجارة التي ألقاها القدر عائقاً على طريق
شهواته.. عبّر عنها بكم الحنق في نبرته.. فالتفتت حياة تشير لها
قائلة في اطمئنان لوجودها:

- طيب معلىش يا حبيبتي استيني في الصلاة برة ثواني بس لحد ما
يديله الحقنة..

التقطت الأخيرة إشارتها فهزّت رأسها وانصرفت من أمام الباب..
بينما حاول هو مداراه غيظه واستغلال ما تبقى من الفرصة التي
ضاعت وهو يعتدل قائلاً:

- طيب.. يلا يا حبيبتي.. قومي معايا كده امسكيلي الواد وشمريلي
رجله عشان أديه الحقنة..

التقطت كلمة (حبيبتي) التي زرعها عنوة بين السطور فابتلعتها على
مضض ملتقطة الرضيع من مرقده بهدهوء تام في حين مد عبودة يده
بالمحمن ليغرسه في قدم الطفل الذي ما إن استشعر وخزته حتى فتح
عيناه وانفجر في صراخ متواصل فأخذت هي تربت على جسده قائلة:

- معلىش يا حبيبي متزعلش معلىش.. خلاص بالراحة.. متخافش..
متخافش..

ساحر الكتب ١٥٨

كانت تضمه إلى صدرها مربطة عليه حين شعرت بيد عبودة التي استند بها متعمداً على كفها بشكل غير مريح بعد أن انتهى من عمله فتهضت من مكانها وهي تحمل الفتى في يدها قائلة:

- خلاص كده ٩٩

تتهّد وهو يبحث عن ورقة بجانبه حمل فيها المحقن المستعمل ثم عاد لجمع أدواته مره أخرى داخل الحقيبة قائلاً:

- اه خلاص.. بالشفا ان شاء الله.. الحرارة كده المفروض خمس دقائق وهتتحسن.. ثم استطرد:

- بس على فكرة ابنك عنده التهاب جامد.. ومش هينفع الكلام ده.. قتلتك قبل كده لازم يروح مستشفى ويشوفه دكتور عشان يعرف سبب السخونية ..

كثعبان يختبر فاعلية السم المخدر بين أنيابه على الفريسة قبل الالتفاف حولها واعتصارها تماماً كان يتعامل معها.. عليه أن يلقي السهام في حرفة.. وأن يتلاعب بالمشاعر ما بين اقتحام وانسحاب..

مرة أخرى كما أراد تغلبت الأمومة بداخلها وتعالّت فوق توجسها منه وهي تزفر قائلة:

- عارفة بجد.. لسه بقول لناصر.. بس ياذن الله قاللي بكرة هيتصرف ونوديه لأيي دكتور في مستشفى يشوفه..

ساحر الكتب

تمتم في هدوء متسللاً عبر ثغرة الاحتياج والقلق بداخلها:

- طب وبعدين؟؟ لو ناصر متصرفش بكرة.. هنسيب الغلبان دا يضيع
مننا؟؟

كان يصنع لنفسه الفرصة الجديدة.. من المحتمل أن يتغيب ناصر
حتى الغد... وهو وحده يعرف السبب..

بينما لم تكن هي بالقدر الكافي من السذاجة حتى ينطلي عليها
اهتمامه المفتعل.. ولكن قلقها كألم جعل عبارتها تخرج ضعيفة متخوفة
وهي تقول:

- ربنا يحميه ويعدلها من عنده بإذن الله..

نهض حاملاً حقيبتة وهو يقترب منها قائلاً:

- ماهو ربنا بييجبلنا الفرص أهو لحد عندنا بس احنا اللي بنتكبر ..
الحل فايديكي بس انتي فكري صح..

نظرت له في غير فهم وهي تفسح له المجال للخروج من الغرفة بينما
هو يتابع:

- ياستي أنا عارف ان ناصر ظروفه متسمحوش يودي الواد مستشفى
أو حاجة دلوقتي .. عشان كده بقولك.. تعالي أنا وأنتي نرتب ونروح
نكشف عالواد.. وأنا عليا تمن الدواء والكشف متشيليش انتي هم

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

خالص.. المهم اننا نطمئن بس عليه..

صمتت..

صراع يختم داخلها بين خوفها كأم على الصغير.. وخوفها منه
كأمراة.. بإمكانه إن صفت نيته أن يعرض ترك تكاليف العلاج حتى
وإن رفضت.. لكن الهدف الخبيث من وراء ذلك يمنعه..

تبعته بخواطرها إلى الخارج وهي تقول متحججة تتأرجح مابين
الخوفين:

- لا مش هينفع طبعاً.. ربنا يجازيك على نيتك خير.. بس مش هينفع..
هروح امتى وهقول لناصر إيه بس؟؟ أنا مبخبيش عليه حاجة.. وبعدين
دا ابني أنا وهو.. واحنا المسؤولين عنه ومش مفروض نكلف حد تاني
معانا..

وقف أمام الباب ملتفتاً إليها غير مهتم بتلك الجارة التي جلست على
أريكة صغيرة تنتظر في ركن المكان قائلاً بلهجة استنكارية:

- حد تاني؟؟ اخص عليكى بجد يا حياة.. عبودة حد؟؟.. يا حبيبتي
لو أنا موقفتش جمبك في الظروف دي مين يقف؟؟.. وبعدين بالنسبة
لناصر ممكن تقويله انك نازلة السوق تجيبي حاجة.. وهو مش هيركز
يعني.. دي الحكاية كلها هتبقى ساعة زمن بالكثير..

أمسكت بمقبض الباب في إشارة له للخروج بسمه من عالمها ويدها

ساحر الكتب

الأخرى تحتضن الصغير الذي غلبه النعاس مرة أخرى بين أحضانها
قائلة:

- متشكرة يا عبودة.. كفاية تعبك معانا.. وأسفين جنبناك من شغلك
في وقت متأخر.

ابتسم لها وهو يقترب بحجة تقبيل الطفل النائم بين ذراعيها فتراجعت
خطوة للوراء قبل أن يقول بصوت هامس:

- موافق تاخديني من الدنيا كلها مش من شغلي بس..
قالها وابتسامته الصفراء هي كل ماترى فيه..
حتى رحل..

- أنا مش عارفه يا باشمهندس انت مُصِرّ متكلمش باقي فترة نقاهتك
معانا هنا في المستشفى ليه ؟؟ طب استنى حتى اسبوع بس لحد
ما نفك الجبس اللي على رجلك ده.. هو ايه اللي وراك برّة أهم من
صحتك؟؟

- الحياة.. الحياة نفسها أهم..

ساحر الكتب ١٦٢

كلمة وصّفت بدقة ما اعتمل في نفس ناصر حينها..

كلمة حملت بين حروفها كل أوجاعه وما يعبر عنه تمامًا في لحظته وهو يجلس مطأطئ الرأس انكسارًا داخل المكتب المكيف لذلك الضابط المسئول عن القسم الذي أمضى في زنزانه الرطوبة ليلة ماضية كانت هي الأسوأ وسط مضايقات أصحاب السوابق والمجرمين الذين رافقهم..

لو امتلك مسدسًا في تلك اللحظة لقتل به نفسه.. يحتاج لأكثر من رصاصة لقتل كل مافيه من يأس.. وإحباط.. وانعدام ثقة.. وأسف على وجوده.. يتحسس الزرقة الباهتة أسفل عينه من لطمة اكتيلت له بقبضة أصابت كرامته قبل وجهه.. وجواره من وراء المكتب الأنيق.. بحلته البيضاء خلف شريحة نحاسية انحفر عليها اسمه مسبقًا برتبة رائد استقرت في وضع قائم فوق قاعدة عريضة على السطح الخشبيّ اللامع للمكتب جلس صاحب الجلالة والدم السامي.. منتشياً بسطوته.. مُحاطًا بها.. يتنقل بصره فيما بينه وبين الحاج درويش الذي جلس فوق المقعد الجلدي الوثير بالمكان مفتقدًا شعورًا بالراحة وهو يعلق بصره بسقف الحجر في صمت قطعه الرائد وهو يقول:

- أجيلكوا حاجة تشربوها؟

ساحر الكتب

لم يحرك ناصر ساكنًا للإجابة.. في حين دار درويش بيصره اليه رافعاً كفه نحو صدره قائلاً:

- ربنا يعزك.. احنا بس عايزين نعرف هو إيه الإجراءات اللي فاضلة سعادتك عشان نمشي؟..

مطَّ الرجل شفتيه وقد بدا منتفخاً في مقعده وهو يعبث بطرف شاربه في تفاخر أبدى جانب النرجسية المتأصل في شخصيته مغمغماً:

- مفيش يا حاج.. كلها خمس دقائق بس على ما يراجعوا بيانات البطاقة على السيستم ويشوفوا صحيفة الحالة. الجنائية بتاعت الأستاذ ناصر نضيفة وللا عليه حاجة.. ولو الدنيا تمام هنسلمكوا البطاقة وهتفضلوا تروحوا على طول..

ألقي الحاج درويش نظرة عابرة على ناصر الشارد في ملكوت يأسه قبل أن يغمغم محدثاً الرجل دون أن ينظر اليه:

- ياباشا والله ناصر دا ابن ناس.. مش هتلاقوا حاجة عليه صدقتي..
تراجع الرجل مسترخياً في مقعده وهو يقول:

- يا سيدي ولا يهكم.. دي كلها إجراءات روتينية عادي.. الغرض منها أمن المواطن وسلامته مش أكثر ولا أقل.. إحنا خايفين عالشعب.. وفي الأول والأخر دا لمصلحته.. مش كده وللا ايه يا أبو النصر؟

قال الجزء الأخير من عبارته وهو يميل بجسده نحو ناصر وكأنما يوجه إليه السؤال فرفع الأخير عينيه للحظات عكست ما بداخله من احتراق متممًا:

- كده يا باشا..

دلف في تلك الأثناء أحد الضباط الأصغر سنًا إلى المكان حاملاً في يده اليمنى بطاقة هذا الأخير التي ناولها للرائد المستقر خلف مكتبه وهو يقول بلهجة رتيبة:

- تمام يا فندم.. راجعنا البيانات وكله تمام..

تهدّ الحاج درويش تنهيدة ارتياح في حين التقط الرائد البطاقة الشخصية مشيرًا بها في مزاح محدثًا الضابط وهو يرمق ناصر بنظرة جانبية:

- يعني ملقيتوش عليه حاجة كده وللا كده خالص؟

هز الرجل رأسه أن لا مبتسمًا.. ثم ألقى التحية وانصرف بينما الضابط الكبير يمد لناصر يده بالبطاقة قائلاً:

- طب يا سيدي.. أهو الحمد لله مطلعش عليك حاجة والدنيا زي الفل.. طلعت نضيف يا ناصر..

علقت الجملة الأخيرة بعقل ناصر..

ساحر الكتب

ذلك الذي عجز عن تحريك ساكنًا من جسده حتى لتناول البطاقة
الممدودة اليه..

((طلعت نضيف يا ناصر))

عبارة لم تعد بالنسبة له صحيحة بالمرة..

لقد اسودَّت الأشياء كلها داخله..

هناك لحظات لا نعود بعدها أبدًا كما كنا..

لم يعد نظيفًا كما كان..

كل عقبات أعوامه الماضية تتراكم كأكوام خراب أمام عينيه.. وتحجب

الأمَل في كل شيء عن قلبه..

لقد أخطأ في حق نفسه بنفسه قبل الجميع..

عاش الحياة كما تراءت لهم.. ولم يُهن في ذلك إلا شخصه..

التقط الحاج درويش لحظة الصمت تلك التي غرق فيها ناصر متجمدًا

حتى قاع خواطره.. فنهض من مكانه مسرعًا يلتقط البطاقة من يد

الرائد قائلًا:

- احنا متشكرين أوي يا باشا.. ومقدرين جدًا تعبكو والمسؤولية اللي

عليكوا..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

أشار الرجل إلى صدره قائلاً:

- لا شكر على واجب يا والدي.. دا واجبنا..

ثم أشار نحو ناصر المستمر في جموده متابعاً:

- بس هو شكل الأستاذ ناصر مش مبسوط مش عارف ليه..

شجعت كلماته الحاج درويش على التدخل قائلاً في إشارة مستترة الى

أثر اللطمة البادية على وجه الأخير :

- يظهر يا باشا بس ان حصل سوء في المعاملة امبارح مع ناصر من

حد أو كده.. ودا طبيعي يخليه مضايق دلوقتي شوية..

رفع الرجل كلتا حاجبيه مع كفيه في اندهاش أتقن جعله طبيعياً وهو

يهتف:

- لا ازاي؟؟ سوء معاملة من حد من رجالتنا؟؟ دا مش ممكن أبداً ومش

مسموح.. لو حصل يبقى تديني بس اسمه يا ناصر وهتشوف أنا هاتخذ

معاه ازاي أقسى الإجراءات..

تحرك رأس ناصر في بلاء متطلعاً نحوه..

باحتراف يتقنون تصنعُ الجهل..

وبشفيتين مرتعشتين وعينين ثابتتين حبستا خلفهما كل القهر متمم:

ساهر الكتيب

١٧٧

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساهر الكتيب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

- محصلش حاجة يا باشا.. أنا فعلاً عاجز عن الشكر.. يلا بينا يا عم
درويش..

بعين متفحصة.. ويد أشار لهما بها وهم ينصرفون تابعهما..

وبخطوات بطيئة رتيبة.. سار ناصر إلى جوار الحاج درويش دون أن
ينبس ببنت شفة في صمت طويل احترامه العجوز على طول طريق
العودة إلى منزله.. كان طوال الطريق يحاول انتزاعه من تلك الحالة
التي وقع ضحية بين برائتها.. وكلما وجد بداية مناسبة للكلام كان
سرعان ما يبتلعها في عدم ثقة من جدواها..

مالذي يمكن قوله في موقف مثل هذا؟

- معلش يا بني؟ قَدْر ولطف؟ حصل خير؟

وآه من كلمة (معلش) تلك التي تُمحي بها الحقوق ولا تُداوي.. فلا
داعي إذن من كل تلك الكلمات الخرقاء.. وليكن الصمت هو السيد..
طريقاً من السكوت قطعاه.. وَصَلاً في نهايته إلى المنزل الذي
استقبلتهما على عتبه حياة في لهفة رمقت بها وجه زوجها المتورم
ملتقطة ما يعتمل في نفسه من حزن دفين بذكاء فطري تجنبت الخوض
فيه وهي تتمتم بحروف متلعثمة:

- ناصر؟ حمدلله على سلامتك يا حبيبي؟ أحضرك لقمة تاكلها؟

انت مدقتش طعم الزاد من امبارح؟

ساحر الكتب ١٦٨
WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

أشار لها أن لا وهو يدلف إلى المكان ملقياً بجسده المنهك فوق الأريكة القريبة مغمماً يحدث الحاج درويش:

- إحنا متشكرين أوي يا حاج.. تعبناك معانا بجد..

بدورها التفتت فاطمة ناحية العجوز وهي تقول:

- أه يا حاج! بجد أنا أسفة مخدتش بالي فعلاً بس قلقي على ناصر نسّاني أشكرك.. سامحني معلىش كلمتك بدري وقلقتك من عز النوم.. بس أصل مجاش على بالي حد ثاني غيرك ممكن يقف جنبنا في محنة زي دي.. ومكُنتش هعرف أتصرف في موقف زي دا لوحدي..

في انزعاج حقيقيّ عادت معه طبيعته الجافّة اليه أشار درويش لهم بيديه قائلاً:

- شكراً على إيه بس يا عبيط انت وهيا؟؟ هوا أنا عملت إيه بس؟؟

ابتسمت له حياة في اعتذارٍ وهي تشير له بالدخول قائلة:

- طيب اتفضل بس كل معانا لقمة سخنة كدا..

قال لها بوجهٍ ممتعضٍ بالطبيعة وهو يتجه إلى الداخل:

- لا متشكر يا ستي مش عايز أكل معاكوا حاجة.. انتوا الاتنين مكشّرين وخلّقكوا متفتحش النفس.. ادخلي انتي حضّريله الأكل وابعثيلي بس حبيبي أتظمن وألعب معاه شوية.. بعدين أنزل عشان سايب الكشك

ساحر الكتب

لوحده مفتوح مالصبح ..

تمتتم في سرعة:

- حبيبك نايم جوه في الأوضة مش عايزة أصحيه دلوقتي عشان
ميعملش دوشة.. الحمد لله من بعد ما خد الحقنة امبارح حرارته نزلت
وبقت معقولة.. لسه داخله مطمئنة عليه في السرير من ربع ساعة..

هز درويش رأسه متفهماً وهو يتمم بحمد الله.. ثم أشار لها أن ارحلي
وهو يقول متجهاً من خلف الأريكة التي جلس عليها ناصر نحو غرفة
الصغير:

- طيب طالما نايم روجي انتي شوفي مطبخك وحالك.. وأنا هادخل
أطلّ عليه بالراحة كدا.. مانا مش هينفع أطلع السلم الغبي بتاعكوا دا
كله من غير ما أشوف حبيب قلبي..

ابتسمت له مرة أخرى مطمئنة لتحركه بحرية داخل المكان.. ثم
تنهّدت في لفطة سريعة منها لمامح ناصر الشاردة مغمفمة:

- كنت بكلم نفسي وانت بعيد .. حمدلله على سلامتك..

قالتها في صوت دافئ خفيض.. كرسالة موجزة مُستترة.. قبل أن
تتطلق نحو المطبخ..

الآن صار وحيداً فوق أريكة صارت قريبة الشبة في تهالكها منه..

ساحر الكتب
www.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

فلينتهي كل شيء.. فلينبثق العدم من فوهة بركانه ساحقًا الوجود..
القواعد.. الحدود.. الذكريات..

كل شيء.. بداخله رغبة قاتلة في فقدان الوعي والانفصال التام عن
كل ما حوله.. لا يرغب في سماع أحد.. لا يرغب في رؤية أحد.. لا
يرغب في تعاطف أحد.. بكل ثقل الأنفاس الجاثمة فوق صدره نهض..
متحركًا بخطوات قدم أصابها الخذلان نحو الشُرفة الصغيرة المطلة
على الشارع أمامه.. ملتقطًا في طريقه زجاجة دواء خاصة بالسعال
وجدها فوق رفٍّ ما.. فتحها متجرعًا كل ما فيها دفعة واحدة في نهم..
لم يكن أبدًا من هواة الكيف.. كما لم يكن أيضًا من هواة الذل.. يحتاج
فقط لتهدئة عقله الذي كاد صوت غليان الدم بين تلافيفه أن يكون
مسموعًا.. يعلم بوجود نسبة من مادة الكوديين المخدرة في مثل تلك
الأدوية.. ربما تساعد..

في هذه الأثناء.. كان درويش يفلق باب غرفة الصغير خلفه في هدوء
متجهاً نحو الجسد الملائكي الراقد في براءة وسكون تام.. رائحة
ما التقطتها أنفه في لحظة الدخول.. رائحة لا تشتمها سوى أنف
خبيرة حملت إليها الحياة من كل الرياح بقدر ما حملت.. رائحة قاتمة
مقبضة.. مئزها بقلبه قبل أنفه..

حاول نفضها عنه مبسلاً وهو يكمل اقترابه من الصغير متطلعاً إلى

ساحر الكتب

وجهه المتورد مادًا نحوه يده يداعب الجسد الصغير بأصابع لم تلبث أن ارتعدت مع قشعريرة سرت حتى عيناها التي انبثقت منها دموع تفتقدها منذ أعوام وجنتاه..

دموع انتزعها ذلك السكون الخالي تمامًا من الأنفاس فوق السرير أمامه..

وتلك الرائحة التي حاول بأقصى رغبة لديه تجاهلها..

رائحة الموت..

لقد رحل الطفل..

هذا الجسد الصغير أمامه سكت تمامًا..

توقفت أجهزته الحيوية عن العمل منذ لحظات.. تورد الوجه الذي لم تلوته الزرقة بعد كان الدليل على ذلك.. وذاك الدفء الخافت في جسده يللم بقاياها مودعًا إلى الأبد.. انطفأت دقات القلب الصغير معلنة الظلام على رؤوس كانت تحيا لأجله..

انهمرت العبرات الساخنة فوق وجه العجوز وهو يضم الجسد الصغير بكلتا يديه في قوة بين أحضان صدره الذي ارتجَّ بأنفاس متألّمة وقلب يجهد في لوعة.. كان يحبه حقًا.. كان له بمثابة أمل في استعادة كل ما فقد.. كان الروح التي ركبت منذ أعوام في جوفه وأخفاها عن أعين

- مشيت ليه بدري كده ٩٩

بصوتٍ خفيضٍ متهدّجٍ حمل مرارة وألم الكون أخذ درويش يكررها والجسد البارد بين ضلوعة المهتزة تبلل رأسه الصغير دموعًا انهمرت بلا توقف قبل أن ينهض بحمله مسدلاً الغطاء الرقيق فوق رأسه متجهًا به إلى الخارج في اللحظة التي اندفعت فيها حياة خارجة من المطبخ وهي تحمل بين يديها صينية كبيرة ارتصّ فوقها الطعام..

بنظرةٍ واحدةٍ إلى المشهد أمامها أدركت كل شيء..

وبعروقٍ تصلبت من قمة رأسها وحتى أخمص القدمين نظرت إلى الوجه الشاحب بين دموعه تستحلفه بأيمان الدنيا في صمتٍ أن يُخبرها بأن لا شيء مما ترى حقيقي..

نظرة اخترقته وأنت لها من بين صمته بالاجابة التي لم ينطق بها ولم تراودها في أحلك كوايسها بشاعة..

بصوتٍ كالهدير سقط كل ما بيدها فوق الأرض مهشمًا ومتناثرة شظاياها على قدميها التي انبثق منها الدم.. في حين تتمم هو مكملًا طريقه بالصغير المستقر بين أحضانه إلى الخارج:

إنا لله وانا اليه راجعون.. إنا لله وانا اليه راجعون..

كالمشدوهة ظلت للحظات على وضعها المتجمد.. تراقب الراحل

أمامها قبل أن تتطلق من أعمق أعماقها صرخة مُلتاعة تسللت وكأنها لحن فيلم قديم غير أذني ناصر الذي وقف في انعزال تام عن كل ماحوله تحت تأثير المادة المخدرة وعقل مجهد لم يهنأ بالنوم منذ يومين.. مستندًا بذراعيه إلى السور المعدني القصير لشرفة منزله المطلة على الحارة الضيقة أمامه.. في شفثيه لفافة تبغ تنتهي وبين كفيه استقر هاتفه المحمول الذي أخذ يطالع شاشته الصغيرة التي فتحها على الصفحة الزرقاء في اهتمام كالمأخوذ بيتسم بلا سبب.. هنا.. يكمن العالم الافتراضي الذي سيصنعه لنفسه..

هنا هو ليس ناصر.. هو ليس ذاك اليأس فاقد الأمل.. هنا هو ليس الزوج النادم على فعلته والأب الذي لم يقتنع تمامًا بعد أنه كذلك.. ليس صاحب المهنة المهينة..

عالم جديد كامل.. انفرجت له أبوابه بمصراعيها عبر تلك الشاشة الصغيرة أمامه.. سيقتمحه بالعقل الفاقد لمعظم وعيه وسيغرق بين كل تفاصيله الوهمية.. في كل لحظة سيصير شخصًا مختلفًا.. وفي كل لحظة سيختلق قصة جديدة..

الكل هنا يصدق.. والكل هنا يتفاعل..

سينغمس في صناعة الوهم بين أناس ربما كانوا هم أنفسهم يعيشون جزءًا آخر منه بدورهم.. لكن لا يهم..

مادام الجميع راضٍ.. لا يهم..

كان غارقاً بين براثن الفكرة عندما دلفت حياة من خلفه إلى المكان
متمتمة في انهيار:

- الواد مات يا ناصر.. ابننا مات..

هذه الجملة سمعها..

هذه الجملة حقيقية..

هذه الجملة كانت له..

لآخر ما تبقى منه مرتبطاً بالواقع..

أغلق الهاتف في بطنه وبرأس متناقل وعين خاوية التفت إليها..

أمامه بوجه حاكي في شحوبه الموتى وقفت..

وكمثيلها توقف من حوله كل شيء..

ساحر الكتب

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

أنت أولاً .. ثم كل ما أملك ..

حب

نشأت لأجدني وأنا ذات الضفيريّتين أقفُ في طاوور مدرستي الابتدائية
مختلفة عن كل الفتيات من حولي ..

منذ صفري وأنا أشعر بهذا الاختلاف ..

وربما كان هذا سبباً دعاهم لأن يعتبروني الفتاة الانطوائية .. حادثة
الطباع .. والتي تحيط نفسها دائماً على مرّ المراحل بهالة من
الخصوصية والغموض ..

مُخطئين جميعهم التحليل ..

لم أكن انطوائية .. لكن ظروف معيشتي في بيتٍ لا أب فيه جعلتني دائمة
الانشغال ..

ساحر الكتب

ولم أكن حادة الطبع قدر كوني جادة بعض الشيء.. ولم أحاول أبداً إحاطة نفسي بأي هالة من الخصوصية أو الغموض الذي كن يتحدثن عنه.. إنما هو ما اكتسبته منذ الطفولة.. حين وضع القدر في طريقي صديقة وحيدة.. ورفيقة طريق طويل من الأعوام قضيته.. هي أمي..

امرأة وحيدة تكبرني بعشرات السنين.. وتسبقني بالآلاف الخبرات.. ولا يملأ فراغ المنزل المحيط بنا سوانا.. علاقتنا لم تكن أبداً علاقة أم وابنتها.. كنا صديقتان.. تشربتُ منها كل خبراتها.. فانطفأت في عيني الدهشة من معظم الأشياء قبل أن تولد.. كان عقلي سابقاً للجسد في نموه.. تفاهة المراهقات تلك أنا في كل الفنى عنها.. أدوات الزينة تماماً كالرجال.. كلاهما يمكن الاستغناء عنه..

هذا إن تفاضينا عن ذلك اليوم الذي وقفت فيه أمام المرأة حائرة وأنا أفك عقد ضفيرتي الطويلة استعداداً للذهاب إلى الجامعة..

اليوم الذي تأملت فيه أحمر الشفاة وأقلام التجميل المرتصة فوق الرف أمامي ونفسي تراودني أن لاضير من بعضها ترحيباً بذلك الواقف عند ناصية الحارة ينتظر مرافقتي الطريق ككل يوم.. حينها بدى أن الرجال أيضاً كأدوات الزينة.. لا يمكن الاستغناء عنهم..

وحينها اكتشفت احتياجي لصديق آخر.. يمكنني من تفهم عالمهم كرجال.. أو اكتشافه من منظور آخر على الأقل..

اكتشفت احتياجي للأب..

هذا الذي أردته ولم يكن موجودًا..

تمامًا كفترة مراهقتي التي لم أكن حقيقة في غنى عنها كما قلت..

لكنها لم تكن متاحة..

الإمضاء / نرمين

سائر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

سائر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

وجالك بالأمل قلبي يقولك عيش..

هنا كل اللي بتفكر وتحلم بيه..

أوان الحب لو عدى مبيخلىش..

دموع في العين.. ولا يسيب وجع بعده

((ورقة خامسة.. في مفكرة خضراء))

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

أنا اللي انت عايز تشوفه ..

بحلّتك السوداء الأنيقة .. وصوت خطواتك التي مزجت بين وقع القدم ونقرة العكّاز المعدنيّ الذي اتكأت عليه في سيرك فوق أرضية الفندق الفاخرة دلفت إلى المكان .. تبدو أنيقاً رغم الجبس المحيط بقدمك .. وجروحك المتفرقة ..

يندي جبينك بعضاً من عرق الإجهاد وأنت تخطو نحو بهو الاستقبال بأنفاسٍ متلاحقة تعالي صوتها بشكلٍ جعلها مسموعة لذلك الموظف الذي تأهب لاستقبالك بنظرة حاول فيها إخفاء تعجبه البادي على ملامحه وهو يُطالع وجهك الشاحب وآثار الخياطة المنتشرة عليه ..

تأمله وقد اقتربت منه متوقفاً تلتقط أنفاسك .. ثم بلهجة شبه أمره تقول:

- مفتاح الجناح المحجوز باسم المهندس مصطفى طایل وحرمه لو سمحت ..

ساحر الكتب

١٨١

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

تردد عامل الاستقبال في لحظة استيعاب للمشهد قبل أن يسرع بمراجعة بعض البيانات أمامه على شاشة الخاصة قبل أن يجيب في آلية:

الحجز متسجل فعلاً يا فندم باسم المهندس مصطفى عبد العزيز طایل وحرمه مدام ندى محمود.. بس حضرتك دا المفروض إنه محجوز لأول الشهر..

قاطعته وأنت تشير بيدك في نفاذ صبر قائلاً:

- أيوة عارف إن فيه تأخير.. بس فترة الحجز منتهش .. وأعتقد متسجل عندك انها مدفوعة.. هو في مشكلة وللا حاجة؟؟

مرة أخرى تردد الرجل مرتاباً من أسلوبك الحاد.. فتمهل متراجعاً للوراء يراجع البيانات على شاشته مرة أخرى قبل أن يقول:

- لا أبداً حضرتك .. ممكن بس أي إثبات شخصية عشان استكمال الإجراءات ليس إلا؟

تناوله بطاقة في يدك مغمغماً:

- دي رخصة السواعة.. عليها الرقم القومي والإسم كامل عشان البطاقة حالياً مش معايا ..

أخذ مسئول الاستقبال يطالعها ناقلاً بعض البيانات فوق الشاشة أمامه للتأكد ثم سرعان بعدها ما تلتئم بقناع الترحيب وهو يرسم على وجهه

ساحر الكتب ١٨٢

ابتسامه استقبال ألقنها ماداً يده لك بالمفتاح المطلوب قائلاً:

- إنا آسفين جداً يا فندم على الإزعاج.. والفندق بيتمنى لحضرتك ومدام ندى وقت سعيد..

قالها محاولاً الحفاظ على ابتسامته التي جعلته أقرب إلى تماثيل متحف الشمع للحظة استطرده بعدها متسائلاً:

- فيه مع حضرتك شغل تحب أخلي حد يطلعها أو حاجة هتسيبها عندنا هنا في الأمانات؟؟

قالها وهو يشير بأصابعه لأحد عمال الفندق فاقترب منكم في سرعة.. أشرت له بيديك أن شكراً وأنت تحرك رأسك بلا:

- متشكر أوي.. لو احتاجت حاجة هبلغكوا..

غمغمت بها وأنت تتحرك مبتعداً بخطواتك الثقيلة قبل أن يستوقفك الموظف مستطرده مرة أخرى باهتمام:

طيب حضرتك بالنسبة لمدام ندى؟؟ هيت..

تجاوبه مقاطعاً سؤاله بعصبية ونفاد صبر وأنت تحكم القبضة على المفتاح في يدك مكرراً للتأكيد:

- متشكر أوي قلت.. لو احتاجت حاجة هبلغكوا..

لم تمنح الرجل فرصة اكمال سؤاله.. ولن تمنحه إجابة سوى تلك..

ساحر الكتب

١٨٣

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

متجهاً بخطواتك المتعكزة نحو المصعد تستقله حتى طابقك المنشود..

خلاياك كلها تتن من الألم.. أنت في أمس الاحتياج إلى راحة..

ها أنتذا تقف متأهباً أمام الباب..

ترج بالمفتاح في الفجوة المخصصة ثم تديره لينفتح دافعاً بيطن يدك

الباب في ببطء.. بصرك يدور في عممة المكان حتى تمكن من تمييزها..

راقدة فوق الفراش أمامك.. كما توقعت تماماً أن تجدها..

لحظة لتتأقلم عيناك فيها على الظلام.. أغلقت الباب بعدها خلفك

في هدوء..

بالألم في كامل جسدك خطوات نحوها..

لقد وصلت متأخراً بعض الشيء..

لكنك أخيراً وصلت..

وفي انتظارك هي تدعي النوم بإتقان..

ليست نائمة وإن تظاهرت بغير ذلك..

لا تدع العينين المواربتين تخدعانك..

بنصف انفراجة من عينيها قبعت تتابع انفراجة الباب الذي تحرك

مفصلاً عنك خلفه..

تراقب وُلُوجك الهاديء للمكان ومحاولتك عدم إصدار أي ضجيج..
بخطواتك البطيئة الحذرة تتحرك.. مكتفية هي بمراقبتك بعين أخفى
ظلام الغرفة يقظتها..

هي ساكنة..

بفستانها الأبيض أمامك ترقد فوق الفراش الوثير في ركن الجناح..
يجتاحها غضبٌ خاص تتفهمه..

ذاك الغضب المغلف بدلال أنثى عاشقة تعذر جداً أسباب تأخره ..
شروخ وكدمات متفرقة .. مع كسر في الساق .. وارتجاج في المخ
استدعى بقائك تحت الملاحظة ..

هي حزينة..

حزن لك فيه أكثر مما عليك..

حزن يتوق لتربيئة واحدة منك.. واعتذار عن كل ذلك الغياب ..
حاولت تنظيم أنفاسها لجعلها رتيبة متماشية مع جسدها الذي تصنعت
به النوم.. وعينيها التي اعتادت الظلمة ترصد خطواتك نحوها ..
كنت تنقل القدم تلو عكازك في بطاء شديد..

أنفاسك المتلاحقة رغم محاولاتك كتمانها تفصح عن مجهود عنيف

تقوم به.. وألم رهيب يراودك..

أنفاسٌ في تلاحقها بدت أقرب إلى النَّحِيبِ بشكل ما..

اقتربت منها..

أغمضت عينيها في حذر..

توقفت قليلاً بجوارها..

وكانما توقف الزمن بالنسبة إليك عند تلك اللحظة.. طال وقوفك حتى

كادت متوترة أن تفتح عينيها لتتظر مباشرة إليك..

صوت أنفاس صدرك صعوداً وهبوطاً صارت أكثر وضوحاً لأذنيها...

وظلماتها الشعور بجسدك ينحني في هدوءٍ إلى جوارها جالساً على

طرف الفراش.. وكفك الذي امتدّ ماسحاً على جبينها في رقةٍ حانيةٍ

سرت كخدر عجيب في كيائها كله..

هل تفتح جفناها الآن؟

كفك الدافئ مازال يلامس جبينها الندي..

وأنفاسك مازالت تصدح رغم الجلوس في أرجاء المكان..

هي وهلة.. سحبت يدك إلى جوارك بعدها في هدوء..

ثم لا شيء..

ساحر الكتب

١٨٦

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

فقط عدت إلى وضع جلوسك على طرف الفراش جوارها دون حراك..

هل اكتفيت بذلك؟

دار السؤال بخلدها يحمل فضولاً تلاشى..

لقد اكتفيت بتلك المسحة..

وهي الأخرى اكتفت..

كأنما انساب اهتمامك الصادق عبر ثنانيا أصابعك المتسلسلة فوق

جبينها لتتشرّب في نهم نقطة الإرضاء في أعماق مشاعرها..

استسلمت وأسلمت لشفثتها ابتسامة صغيرة ارتسمت فوق وجهها

وعيناها تغيبان في سبات حقيقي هذه المرة..

وعميق..

- صباح الحرية

أيقظته الصيحة والماء المتلج الذي ألقى عليه بعينين جاحظتين

مع شهقة قوية كاد قلبه أن يتوقف معها وهو يطالع وجه زميلة الذي

ارتسمت معالم النشوة على ملامحه قبل أن يقول في حدة:

- صباح الغباوة على شكلك .. قلبي كان هيقف يا زفت..

ساحر الكتب

١٨٧

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ابتعد الرفيق المازح بمسافة كافية بعيداً عن متناول يده وهو يقول
ضاحكاً:

- يلا يابن المحظوظة.. آخر يوم ليك معنا خلاص.. كلها كام ساعة
وتفارقنا..

صمت يحيى لحظة واضعاً كفه فوق صدره وكأنما يطمئن على نبضاته
قائلاً:

- وهو عشان آخر يوم تصحيني بمية متلجة يا زباله؟

لوح رفيق دفعته بيده صائحاً بلهجة تمثيلية وهو ينحني متمماً ارتداء
بيادته:

- ياعم احمد ربنا ان الحقد اللي جوانا مخلناش نصحيك بمية نار..
يا بختك..

ابتسم يحيى ونهض ينزع عن جسده الملابس المبتلة ليضعها على
طرف الفراش ثم هبط أرضاً وهو يتساءل:

- هي الساعة كام دلوقتي؟

اجاب آخر في سرعة:

- ٦ ونص.. يلا اجهز عشان الطابور..

غمغم في تأفف:

ساحر الكتب ١٨٨

- هو لازم يعني؟؟ مش خلاص بقى؟

ألقى صديقه أحد جواربه المتسخة نحوه صائحاً:

- يا أخي سبحان الله عالبنى آدم؟؟ يعني انت مش مكفيك انه آخر
طابور هتضره؟؟

ضحك يحيى مرة أخرى متفادياً الجورب الذي سقط أمامه أرضاً قبل
أن يفتح دولابه مخرجاً حقييته الخاصة لإعادة ترتيب حاجياته داخلها
وهو يقول:

- هتوحشوني يا اولاد الإيه..

رَبَّتْ زميل آخر على كتفه قائلاً:

- انت كمان هتوحشنا يا يويو والله.. متقطعش الجوابات بقى..
التليفونات معاك.. وأنا لو نازل أجازة قريب هكلمك..

هز يحيى رأسه مؤكداً:

- أكيد إن شاء الله..

دلف الصول مرتضى إلى المكان في تلك الأثناء حاملاً كرشه الضخم
أمامه فاعتدل الجميع مع هتافه الأجدس:

- انتباه..

ساحر الكتب

١٨٩

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ثم التفت إلى يحيى الذي لم يكمل ارتداء ملابسه بعد قائلاً:

- إيه يا عسكري .. لسه مجهزتش ليه؟ هوعشان آخر يوم يعني
هنقضيها دلع؟

تدخل أحد الرفاق يمزح:

- معلش بقى يا صول مرتضى.. خلي الراجل يتدلعله شويه آخر كام
ساعة مقضيها معنا ..

رمق الصول مرتضى محدثه بنظرة جانبية وهو يقول:

- لا يا حبيبي احنا معندناش دلع هنا في الجيش.. لحد آخر دقيقة لازم
الكل يكون ملتزم.. هو احنا كنا بنعلمكوا إيه كل الفترة اللي فاتت دي
غير الالتزام؟

قالها وتراجع خطوة إلى الوراء ليصير في مواجهة الجميع قائلاً بلهجته
الأمرة ولكنته القروية:

- خمس دقائق والأقي الكل جامع عندي تحت في الساحة عشان
الطابور.. واللي هيتأخر ملوش فطار مبدئياً..

ثم التفت نحو يحيى مرة أخرى وشبح ابتسامة عفوية يلوح من أسفل
شاربه الكث مستطرداً:

- انت طبعا الكلام ده مش تهديد ليك.. زيت الكافور بالنسبالك مش

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

مصلحة كده كده الفترة دي يا عريس..

ابتسم يحيى بدوره له.. وتابعه ببصره وهو يدور على عقبه مغادراً
المكان..

ساعات قليلة ويغادر..

أخيراً تنتهي فترة تجنيده الطويلة ..

ساعات ويعود إلى مدينته وأهله..

إلى نرمين..

إلى حلم سنواتهم الجامعية الذي آن له أخيراً أن يتحقق..

جميع من حوله يشاركه الفرحة.. رغم لمحة الفيرة المبررة في
عيونهم..

من نظراتهم يرى كم هو محظوظ..

تكفيه الحرية..

إنه لإحساس لا يقدره سوى من جرّبه.. أن تنتهي من تلك المسؤولية
الطويلة لتعود من جديد لاستكمال حياتك الطبيعية خارج حدود دائرة
النظام والقواعد العسكرية الصارمة..

لقد تعلم هنا الكثير..

ساحر الكتب

١٩١

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

هو لا يُنكر ذلك.. ولا يستطيع أن ينكره.. اكتسب صداقات كثيرة..
وخبراتٍ أكثر.. وجوهٌ مختلفة .. شاركها لحظات من القلق والتعب
والشجن والحزن.. والفرحة .. وجوهٌ أخذ يجوب بنظره فيهم خلال
يومه وكأنما يلتقط لذاكرته منهم آخر الصور .. الساعات تمضي
سريعة على غير عاداتها رغم كل شيء..

وها قد آن أوان الرحيل ..

مع شمس بلونها الأحمر في عنان السماء ترافقه رحيله بإعلان مغيبها..
الآن سيرحل.. حاملاً معه في حقائب الذكريات كومة من الضحكات
التي ضحكت خلسة في جوف ليلة مقمرة ..

الآن سيرحل..

بكومة من الشوق صاحبتهم جميعاً على مدى شهور مضت.. وحُفرت
على كل الوجوه المودعة أمامه.. الكثير من الأحضان.. ولا ضير من
بعض دموع مترقرقة.. وتلك الحقيبة على كتفه..

الآن سيرحل..

مُكماً توديعه للزملاء والقيادات اتجه إلى الخارج.. أسوار المكان
من خلفه تغلف الماضي بكل ما فيه.. ويرتسم المستقبل على الطريق
الأسفلتي البادي أمامه من بعيد تفصله عنه أمتار من الرمال التي
يخطو فوقها بدقات قلبٍ تكتنفه طاقة كبيرة من البهجة ..

سائر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

سائر الكتب

يسير بدليل ظلّه المرتسم على الأرض طويلاً يكاد القمر المولود أمامه
بيضاء يخفيه.. يتحسس جيبه متمماً على ما معه من أوراق نقدية يحتاج
إليها.. ويكمل سيره قبل أن يتوقف مُنتبهاً إلى تلك النقطة بين الرمال
التي تظهر منها كتلة سوداء اللون مدفونة بشكل جزئي وسط كتبان
رملية كوّنتها الطبيعة ..

تحرك نحوها في فضول.. وبقدمه مسح الرمال المحيطة بها..
محفوظة جلدية سوداء..

مد يده منحنيًا نحوها يلتقطها قبل أن يقلبها بين يديه مستكشفاً ما
فيها بحذر.. القطرات المتخثرة فوق سطحها الجلديّ اللامع تبدو
كدماءٍ جافة. لم يشغله أمرها كثيرًا فتحها مُخرجًا البطاقة الشخصية
المستقرة في حشاها يطالعها قارئاً بصوتٍ مسموع:

مصطفى محمود عبد العزيز طایل..

تأمل الأوراق لوهلة أخرى.. ذلك الشعار المطبوع فوق إحدى البطاقات
أمامه يبدو مألوفاً له لكن لا يسعه الآن التذكر أو التحديد.. سيرجيء
التفكير فيه لما بعد.. أعاد الأوراق لوضعها.. ودسّ المحفوظة بما فيها
في جيب بنطاله الخلفي ..

ثم تابع السير..

سائر الكتب
193
WWW.SATERALKUTUB.COM

سائر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

ما هذا الصمت؟؟

ولماذا تبدو المدينة حزينةً على غير عاداتها؟؟

هذا المساء كأنما جثَمَ بثقله فوق الجدران التي اعتاد الإنصات لصوت
ضحكاتها..

أتى مشتاقًا لكل الأشياء فيها إلا الحزن..

هذا اللقاء لم ينتظره..

وهذا الصّوان المنسوب على بُعدٍ هناك ليس طريقة الترحيب المثلى
بعودته..

انتهى العزاء..

بعيدًا وقف يتأمل صوانه الخالي الذي اشترك بعض الموجودين في
لملمة بقاياها..

لا يملك الجسارة للاقتراب أكثر..

لم تحمله قدماه ليكون أحد الحاضرين..

كيف له أن يحضر عزاءً كُفّنت فيه روحه؟؟..

لقد رحل الصغير..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ذلك الأمل المُتجسد في روح بريئةٍ لم تلوثها الحياة بعد..
رحل ولم يترك له من الصبر بقية..
كان يعتبره أملاً في الحياة..

الجزء الوحيد الرائق من النهر لم يتعكّر..

لم يعد درويش قادرًا على تحمل المزيد من الصدمات.. لقد كدَّ جسده
واهترأ صبرًا على نكبات الدنيا.. جسده العجوز الواهن برغم عناده
لم يعد يحتمل.. كان من مكانه البعيد يقف متابعًا.. يختبئ من الناس
ومن دموعه التي خشي أن تقهره أمامهم..

إن أفسى الدموع لهي تلك التي نكتمها..

هو الذي خسر الكثير.. وأوهم الدنيا بصمته أنه انتصر..

كان العزاء صامتًا قصيرًا لم يطل.. انتهى في هدوءٍ كما بدأ.. مُخلفًا
داخله بركانٍ من المشاعر المؤلمة حصرتها عيناه وهو يلقي نظرة
أخيرة على المكان قبل أن يستدير متكئًا على عصاه الخشبية متجهًا
نحو كشكة الصفيح الذي تركه مفتوحًا منذ صباح اليوم..

كان الشارع خاليًا تقريبًا من المارة في تلك الساعة المتأخرة التي
جاوزت منتصف الليل.. إلا من بعض فتية وقفوا قريبًا يتسامرون في
المكان كعادتهم.. اقترب منه أحدهم مآدًا يده نحوه بشيء ما مُغمفًا:

ساحر الكتب

- عم درويش.. مساء الخير.. امسك دا حساب شوية حاجات اتاخذت
من الكشك النهاردة وانت مش موجود..

أنا والشباب لقيناك مجيتش من الصبح قلنا نتصرف.. وكتبنا لك في
الورقة الحاجات اللي اتباعت.. على الله بس منبقاش عكينا كثير..

رقمه درويش بنظرة خاوية مع إيماءة رأسٍ أن شكرًا..

لم يكره في حياته قدر شفقة تطل من عيون الآخرين.. لكنه اليوم في
احتياج لها..

انحنى بظهره المكدود يحاول إغلاق الباب الحديدي الجرار فأسرع
الفتى يساعده وهو يهتف:

- عنك انت يا عم درويش.. سيبنى أنزل هولك..

دفعه درويش بعيداً وهو يصيح بصوت مختنق:

- غور يالا من هنا.. أنا لسه واقف على رجلي قدامك متكسحتش..

أمال الفتى طرف شفثيه مفضحاً عن ابتسامة..

هذا هو درويش الذي اعتادوه..

ذلك العجوز العنيد برغم آلامه..

تتغلب عليه طباعه دائماً..

وهو الآن بحاجة لأن يُترك مع الدنيا وشأنه..

أغلق الباب ثم اعتدل..

أنفاس صدره تعلو وتهبط مع سُعاله الخشن المستمر..

إنه موت بطيء يتلذذ بمقاومته وحده..

فلتركوه معه وحيداً..

وليختفي جميع من حوله..

لَتُكْتَمَ الأصوات كلها..

تابعه الفتي ببصره وهو يسير مبتعداً بعد أن أغلق المكان في اتجاه البحر..

كان الجو أكثر برودة من أن يتحملة الجسد العجوز.. والهواء الشديد يحاول اقتلاعه من مكانه أثناء السير.. فمدَّ يده مُغلقاً الأزرار العلوية من جلبابه الثقيل نسبياً.. لا أحد ينتظره.. ولن يعبا لغيابه أحد.. كلهم خلف النوافذ نائمين.. وفي انتظاره البحر يُطل بسواده وموجه المتلاطم ولا شيء سواه.. يحتاج إلى عزلة طويلة بعيداً عن كل شيء.. يحتاج إلى فراغ يلقي بروحه فيه.. على حافة السور الأسمنتي العريض جلس مولياً ظهره للبحر ورذاذه المتناثر.. هكذا كان يجب الجلوس دوماً.. وكأنما يشارك البحر إطلالته على الطريق بكل ما يحتويه من

بشر ونوافذ وأضواء..

الجميع هنا يولون وجوههم للبحر.. إلا هو.. فلا شيء في موجه يشغله..
هو أيضاً مثله يحوي الكثير.. هو أيضاً مثله صامدٌ متسعٌ كتُّومٌ لا يظهر
منه سوى سطحه ..

- إنك ميت وإنهم ميتون

صدق الله العظيم..

تمتت شفتاه بالآية الكريمة وهو يقبع في مكانه مراقباً نوافذ البنائيات
المطلّة عليه من الجهة الأخرى للطريق مع أضواء السيارات المتباعدة
التي قطعت الشارع أمامه واحدة تتبعها عن بُعد أخرى.. قبل أن ترصد
عيناه ذلك القادم من بعيد حاملاً حقيبته الكبيرة على ظهره وملوحاً له
كشبح بدأ رغم انطماس ملامحه بسبب المسافة مألوفاً..

إنه يحيى..

لقد عاد..

هل أستحق دوماً ذلك الشعور الذي يصاحبني بأنتي مُخطئة؟؟

هل أذنبت أنا أم كنت أنت المتخاذل؟؟

تركنتي وحدي فوق منصّة اتخاذ القرار.. ووقفت دون اعتراض تنتظره

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

حتى أتك..

حينها لم تصفّق له.. ولم تعترض..

حينها أزعجني أن أحنيت رأسك له احتراماً.. ثم رحلت..

فقط..

دون مقاومة..

كنت بحاجة إلى تعقيبك..

إلى مراجعتك..

إلى اعتراض منك أو حتى موافقة.. قد تريح إحداهما قلبي أو تحرق ما

تبقى منه الأخرى..

كنت ولا زلت.. بحاجة إلى إجابة لسؤالي..

هل كان انتزاعي من داخلك سهلاً إلى تلك الدرجة.. أم أنه لازال فيك

وجعاً من بقاياي؟؟

لا زلت من خلف نافذتي كل يوم أنتظر أن تجيبني..

سواءً بكلمة تخبر بها صديق..

أو نظرة ترمق بها الماضي فترتطم صدفة فيها عينانا..

- ياترى انت فين؟؟ وايه اللي أخرك النهاردة أوي كده؟؟

ساحر الكتب

استرسلت الخواطر في عقل رجاء.. ولم تتجاوز شفيتها .. وهي تجلس بجسدها البدين وعبائها السوداء إلى جوار الشرفة المطلة على الشارع في الأسفل مُلقية مندليها غير مثبت فوق رأسها تظهر من جوانبه خصيلات شعر أبيض معظمها وترمق خلسة كشك طليقتها درويش المغلق في الأسفل بنظرة مكنونها الفضول وظاهرها السخط للحظات قبل أن تدير رأسها نحو يحيى الجالس خلفها في الصالة يرتشف رشفة من كوب الشاي الموضوع أمامه بعد ان انتهى من تناول فطور بسيط كانت قد أعدته له قائلة:

- انت لسه راجع بقى من هناك علينا على طول؟

هزَّ يحيى رأسه وهو يقول:

وصلت امبارح بليل.. يدوب نمتلي ساعتين في الشقة وبعدين جيت أسلم عليكموا ..

سألته في اهتمام حاولت توريته:

- مقابلتش أبوها في سكتك؟

أجاب في اقتضاب:

- أه شفت عم درويش امبارح بليل كان راجع من عزا ابن ناصر ..

اختصر اللقاء في تلك العبارة المقتضبة التي استقبلتها هي بهكم

ساحر الكتب ٢٠٠

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- لا والله راجل صاحب واجب..

ثم أكملت بتهيدة أسي انبعثت من أعماقها:

- والله أنا نزل على قلبي خبر موت الواد دا زي السكينة.. رححت امبارح
لأم ناصر جدة الواد عزيزها.. ربنا يصبرهم يارب..

هز رأسه يوافقها وهو يغمغم:

- أنا برضو الخبر صدمني.. وعديت عليه في البيت بليل متأخر قلت
أكيد مكمل عزا قالولي إنه مشي بعد العزا وميعرفوش راح فين..
والنهاردة وانا جي شفته قاعد تحت عالرصيف قدام فرشته.. سلمت
عليه ومعرفتش أعزّيه.. خفت بصراحة أتعبه أكثر خصوصاً إن شكله
صعب.. بس وانا نازل هعدّي عليه تاني أقعد معاه..

استطردت هي محاولة استدراجه مرة أخرى إلى دائرة اهتمامها:

- صحيح بس قولي عشان أنا معاشرة درويش ده وعارفاه.. يموت لو
مسألش في كل حاجة وعرف كل تفصيلة.. تلاقيه طبعا هراك امبارح
أسئلة وعملك تحقيق..

لم يكن الفضول في نبرتها مستتراً عنه.. كان يفهم تماماً تلك العلاقة
المتوترة بين رجاء ودرويش.. المطلقان اللذان شاء قدره أن يعشق

ساحر الكتب

ابنتهما.. يتفهم الأمر ويتعامل معه بالصمت والحذر.. هو لن يخوض معركة بينهما لمصلحة طرف على الآخر.. تكفيه معركته مع الظروف.. في النهاية لا يهمه في الأمر سواها..

نرمين....

هي أولاً.. ثم كل ما يملك..

اكتفى بالصمت مع هزة رأس نافية.. مرتشماً المتبقي من كوب الشاي في يده.. بينما لم تجرؤ هي على استفسارٍ أكثر وضوحاً.. فتابعت محاولة التخلص من الأمر:

- أنا عارفة ان اللي مايتسمى درويش ده بيعقدها عليك في القايمة والمؤخر والحاجات دي.. بس صدقتي يا بني احنا ملناش دخل.. هو اللي راجل ماذي وعجيب.. ربنا يهديه..

ارتشف يحيى رشفة أخرى من كوب الشاي قبل أن يهز كتفيه قائلاً:

- ولا يهمك يا أمي.. وبعدين مفيش حاجة أصلاً تغلى على نرمين..

عقدت حاجبها عند ذكر الاسم وكأنما تذكرت شيئاً ما وهي تمد يدها نحو هاتفها الخاص الملقى بقربها ضاغطة أزراره مغممة:

- وصحيح فينها دي كمان؟؟ بكلمها أهو بقالي شوية عايزة أقولها إنك جيت.. دي لو كانت تعرف مكانتش نزلت من الصبح أصلاً..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

أشار لها بيده متممًا:

- سببها براحتها يا ماما مفيش مشكلة.. تلاقىها بس في مواصلات
وللا حاجة ومش عارفة ترد.. أنا حظي هو اللي وحش شويتين.. كنت
عامل حسابي إني هصحى بدري عن كده حبة وهالحقها قبل ما تنزل
.. بس يظهر السرير كان واحشني حبتين ..

مطت شفيتها قائلة وهي مستمرة في محاولتها مع الهاتف:

- لا حظك مش وحش ولا حاجة يا حبيبي.. ترد هيا بس..

ثم التفتت نحوه مستطردة في تساؤل:

- انت مجربتش تكلمها من رقمك طيب؟

قال وهو ينهض حاملاً الكوب والأطباق الفارغة في يده متجهًا بهم نحو
المطبخ المقابل له:

- لا والله يا ماما مجربتش.. كنت حابب أعملها مفاجأة بس
فمريضتش..

رفعت صوتها من موقعها محاولة إيقافه:

- انت قايم بتعمل ايه؟.. ميصحش كده يا يحيى سيب الحاجة مكانها
وانا هاجي أشيلها..

رد عليها وهو يكمل ما بدأه:

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- ليه بس يا حاجة على ايه هو أنا ضيف؟ احنا خلاص بقينا أهل..
وللا انتي لسه مش معتبراني من العيلة.. خليني براحتي أنا كده تمام..
تمتت بصوت مرتفع مناسب للوصول إليه:

- لا والله يا بني أبداً.. انت صاحب بيت.. بس أنا بقول عشان مش
عايزة أتعبك..

فتح صنبور مياه حوض المطبخ وشرع في غسل الأطباق داخله قائلاً
بلكنة ودودة:

- لا متخافيش مش هاتعب.. أدينا بنطبق حاجة من اللي الجيش
علمهالنا..

صمت لحظة وهو يشمر الملابس عن ساعديه حتى لا تبتل مكملاً:

- المهم طمني انتي أخبار السكر معاكي ايه؟

أجابته بعد تهيدة قصيرة:

- أهو الحمد لله.. ماشية عالذوا اللي كتبهولي الدكتور بقالي كام
أسبوع ومريحني لحد دلوقتي.. بس بيني وبينك امبارح نفسي هفتني
على حته شوكلاته نرمين كت سايبهاها في التلاجة كلتها.. فحاسة إنني
مش مضبوطة شوية.

ضحك ضحكة قصيرة وهو يفلق الصنبور المفتوح باحثاً بعينه عن

ساحر الكتب ٢٠٤

شيء يجفف به يده قبل أن يقول:

- لا يا ماما مينفضش الدلع ده.. خلينا نسمع كلام الدكتور طالما فيه
مصلحتنا.. وبلاش الحركات دي.. وبعدين أنا عايزك تاخدي بالك من
نفسك كده اليومين دول عشان تبقي منورة في الفرح ان شاء الله..

أجابت وهي تنهض من مكانها جانب الشرفة متجهة نحو الأريكة.
المواجهة للتلفاز بخطوات ثقيلة مع أطنان الدهون المتكتلة على
جسدها:

- إنوي انت بس وخلصونا وأنا جاهزة بإذن الله..

تلفت حوله في المطبخ بحثاً عن رف الأطباق لإعادتها إلى مكانها قائلاً:

- والله أنا لو علياً مش عايز الفرح يتأجل لبعد الأسبوع ده.. احنا تقريباً
مش ناقصنا كتير.. تشد حيلها هيا بس معايا لو وافقت طبعاً..

- هتوافق أكيد.

أنته الجملة.. بصوتٍ رقيقٍ.. تملء حروفه البهجة.. فالتفت إلى مصدره
في سرعة ليجدها بابتسامتها العذبة.. وملامحها التي احمرت خجلاً
تقف وراءه تماماً إلى جوار باب المطبخ..

في لهفة لها وعدم تصديق اتسعت عيناه وافتر ثغرة عن ابتسامة بلهاء
للحظة لم يسعه النطق فيها قبل أن يتمتم:

ساحر الكتب

٢٠٥

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- انتي جيتي؟؟..

بادلته نرمين الابتسامة وهي توميء برأسها مغممة في خجل:

- أخيراً جيت؟؟

اقترب منها وهو يمدُّ يده بكل شوق نحوها مصافحاً:

- بس إيه المفاجأة دي؟؟ تصدقي خضيتيني؟؟

أجابت وهي تمد يدها بدورها نحوه:

- مش أحلى من مفاجأتك انت..

ثم استطردت:

- بس عارف؟؟ أنا صاحبة من الصبح حاسة اني هشوفك النهاردة

.. يدوب قابلت اصحابي البنات ولقيتيني من نص القعدة معاهم مش

على بعضي.. خدت أول مواصلة ورجعت.. وأما سمعت صوت أمي وأنا

عالسلم بتكلم حد.. اتأكدت انه انت..

نظر لها في حبّ وهو يقول ببطء وعيناه غارقتان بين ثنايا ملامحها:

- حمدلله عالسلامة..

حاولت الرد بلا جدوى.. غابت عنها الكلمات.. واكتفت عيناها بنظرة

خجلى منحته إياها فوق وجنتين زادهما الخجل احمراراً.. تاركة له

كفيها المسحويين بلا إرادة معه نحو شفثيه ليطلع فوقهما قبله حب

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

واحدة ..

حملت لها ألف معنى ..

سكن الشارع في تلك الساعة المتأخرة من الليل.. وبدى خالياً تماماً من أي أثر لحركة أو صوت عدا صوت تلك الوريقات الصغيرة المتطايرة على جانبي الرصيف بتأثير نسائم البحر القادمة من بعيد مضافاً إليها صوت خطوات هروبه من الواقع ..

سار بجسده النحيل المنهك في بطءٍ وعقله الغائب عن وعيه غارقاً حتى الثمالة في برائن هاتفه المحمول الذي أمسك به بإحدى يديه ورفعته أمامه مطالعاً شاشته في اهتمام وشغف عجيب محرّكاً قدماه في ثقة من يحفظ طريقه جيداً..

لقد انتهى العزاء...

يقولون إن ابناً له قد مات..

تركه مأفوناً يصارع الحزن هرباً منه..

من كل ذكرياته الموجعة..

من فورة الألم المميّنة داخله..

عن أي ابن يتحدثون وقد مات هو ذاته؟؟

ساحر الكتب

٢٠٧

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ميتٌ هو نُسُوا دفنه.. يبحث بجسدٍ خاويٍ عن روح جديدة تسكنه.. روح افتراضية.. سيبحث عنها بين صفحات التواصل الاجتماعي.. وفي رسائل الغرباء.. وسط الضحكات الملفقة والابتسامات المكتوبة.. سيبحث عنها بين رغباته التي لم يحقق منها فيما سبق شيء.. في أقراص هلوسة.. وحبوب تخدير..

سيبحث عنها في أي مكان يُنسيه.. وبأية وسيلة.. سيصطنع لنفسه زيفاً يحياه هرباً من مواجهة الحقيقة التي لم تكن بكل ما فيها تستهويه.. سيتمرد على كل شيء..

عمله المهين..

ماله القليل..

وزوجة أُجبر على الزواج منها إرضاءً لقانون العائلة..

خطواته تأخذه بين الشوارع الداخلية الضيقة نحو وجهة يقصدها.. وعيناه سارحتان مع عالمه الافتراضي على الشاشة الصغيرة أمامه..

لحظاتٍ قليلةٍ تمر قبل أن يتوقف على مسافة كافية من تلك البناية الصغيرة التي انبعث من زوايا بابها المغلق في تلك الحارة الضيقة ضوءٌ زهريٌّ باهتٌ اقترب ناحيته، فاستوقفه ذلك البلطجي ضخم الجثة حاد الملامح الذي ظهر بغتة من ركنٍ ما وكأنما انبثق من العدم

ساحر الكتب ٢٠٨

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

وهو يضع يده على صدره مغمفمًا:

- على فين يا شقيق؟؟ معاك كذكرة؟؟..

تمتم ناصر في تناقل وهو يفلق هاتمه المحمول ويعيده إلى جيبه:

- لا أنا زبون جديد..

في تشكك رمقه الضخم لحظة ثم قال:

- زبون وللا جي تدور على حد؟؟.. ركز بس في كلامك.. انت عايز مين بالضبط؟؟

كان حذرًا في الحديث يحاول التأكد من هوية الواقف أمامه والذي أدرك ذلك بدوره فتمتم على الفور متأفقًا:

- أنا عايز أم غدير.. ووالله أنا زبون جديد بس.. بدمتك يعني دا منظر حكومة؟؟

قالها وهو يشير إلى صدره فرمقه الضخم بنظرةٍ أخرى بدا معها في عينيه الاقتناع قبل أن يستدير نحو الباب ويطلق بابه بإيقاع خاص انفرج الباب على أثره بعدها بلحظات كاشفًا عن كمية من الدخان المتشبع بإضاءة المكان الزرقاء اندفع خارجًا من حول الجسد الملتوي لتلك التي فتحت لهم الباب قائلة:

- عايز ايه يا حمار؟؟ ومين اللي انت جايه معاك آخر الليل ده؟؟

ساحر الكتب

٢٠٩

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

دفع الحمار ضخماً الجثة ناصر أمامه إلى الداخل متجاوزاً محدثته وهو يمد يده ليغلق الباب خلفه قائلاً بصوته الأَجَشُّ..

- اقفلي الباب الأول بس وبعدين نتكلم.. دا زبون جديد ..

ثم دار ببصره في المكان بحثاً عن أخرى وهو يتساءل:

- المعلمة فين أوَمَّال؟؟

قبل أن تجيبه الفتاة أتاها صوت الأخيرة من أحد الأركان مرتفعاً خشناً وهي تصيح:

- تعالى جوه هنا يا حمار.. انت مش شايفني من الدخان وللا ايه؟؟
أهلاً أهلاً بزباين الفجر..

دلف إلى الداخل مع ناصر الذي حاول بيده تشتيت الدخان المتكثف لتمييز محدثتهم.. تلك البدينة قبيحة الخلقة التي افترشت الأرض إلى جوار ((جوزة)) أخذت تسحب منها الأنفاس في وحشيةٍ بدت معها المياه في قارورتها الزجاجية وكأنها ترتجف خوفاً..

هذه هي أم غدير إذن؟؟ نظرت إليه نظرة مسحته من الأسفل وحتى قمة رأسه.. ثم مدت إليه يدها حاملة الجوزة هاتفة:

- يا مرحب بالضيوف.. شادد؟؟

لم تسبق له تجربتها.. ولكنه لم يفكر.. مد يده ممسكاً بالجوزة ثم

ساحر الكتب ٢١٦

قربها من فمة لسحب منها نفساً عميقاً. مفاجئاً احتبس حارقاً في حلقة فسعل في عنفٍ التفت إليه على صوته مُعظم من بالمكان، بينما ارتج جسدها البدين بضحكة خشنة شاركها فيها الضخم إلى جواره الذي قال متهكماً:

- واضح انه جديد في الكاريا معلمة..

لم تلق لعبارة الضخم اهتماماً حتى انتهت من ضحكتها فأشارت لناصر بالجلوس جوارها قائلة:

- تعالى قُرب.. مدد جمبي هنا على البسطة الملوكي..

في عدم اكتراثٍ أو تركيزٍ ألقى ناصر جسده جوارها في حين مالت هي نحوه قائلة:

- اسمك ايه؟؟

همّ بنطق اسمه ثم توقف بغتة.. لا شيء سوى الذكرى ألجمه.. هو لا يرغب في نطق الاسم.. مجرد الاسم.. لاحظت هي الوقفة المفاجئة على لسانه ففسرتها بخبرتها لسبب آخر أقتعها وهي تقول:

- ملوش لازمة الاسم.. أغلب اللي ببيجوا هنا مبيبقوش حايبين يتعرفوا بشخصياتهم الحقيقية.. وكدا كدا أنا مش هصور بطاقتك.. كلكوا هنا عندي اسمك ايه.. المهم قوللي.. انت منين ياسمك ايه؟؟

قالتها وهي تنجر من حلقتها ذات الضحكة الخشنة فأجاب في هدوء

ساحر الكتب

مقتضب:

- ساكن نواحي محطة الرمل..

لوّحت بيدها هاتفة:

- جارنا يعني.. لا دا انت كدا يتعمل معاك الصبح..

ثم مدّت يدها المكتنزة تداعب أزرار قميصه في وقاحةٍ بدت غير مُنتقِدة مع مظهرها الذكوري وهي تسأل مرة أخرى:

- مقلتليش بقى بثشتغل ايه باسمك ايه؟؟

رفع ناصر طرف إحدى حاجبيه وهو يميل رأسه نحوها قائلاً:

- هو فيه ايه الأسئلة دي كلها.. انتي هتطلعيلي بطاقة؟؟

في سرعة أجابت بصوت مرتفع:

- لأ.. هعملك أبونيه..

ثم تبعتها بضحكة رقيقة عالية كادت تصيبه بالصمم فتراجع للوراء قليلاً وهو يضع أصبعه في أذنه يحاول تسليكها حتى انتهت من الضحك قبل أن تستطرد:

- بتكلم بجد.. انت مسمعتش قبل كدا عن أم غدير وللا ايه؟؟ احنا هنا

بتعامل انترناشونال.. ولكل زبون عندنا أبونيه على قده.. زينا كده زي

بتوع التكافل الاجتماعي.. يعني اللي كفه قده ليه بضاعته.. واللي على

ساحر الكتب ٢١٢

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

قده برضو ليه بضاعته..

هز رأسه متفهمًا وهو يقول:

- لا طبعًا سمعت عنك.. وعمومًا أنا عقبال أمالك صاحب فرشة
غيارات..

انطلقت قائلة:

- يا حنين عالوسط يا أستك..

بينما اندفع ضخم الجثة الواقف جوارهما صائحًا في سخرية:

- الأقيش عندك واحد وردي بترتر؟

رمقه ناصر بنظرة حادة مغمغمًا:

- ليك وللا عشانك؟

بينما التفتت نحوه أم غدير وهي تقول بنبرتها الخشنة:

- انت ايه اللي موقفك هنا يا حمار؟.. غور يلا على برة شوف شغلك..

ارتبك الرجل وهز رأسه متممًا وهو يبتعد:

- أوامرك يا معلمة..

في حين التفتت هي مرة أخرى نحو ناصر قائلة:

- شكلك تعبان.. وانا حابة أعمل معاك تيسكاونت عشان أول يوم..

ساحر الكتب

مزاجك ايه؟؟ دماغ وللا نسوان؟؟

أشار لها ناصر بيده متممًا:

- الثانية..

لم يستطع نطقها.. شيء ما منعه.. ربما كان ماضيه الذي يسعى
لانتزاعه تمامًا من داخله.. أو ضميرة الذي يحاول إخماده.. أطلقت
ضحكة قصيرة وهي تقول:

- طب ما تقول نسوان.. وللا خايف تنطقها؟؟ شكلك مرميتش كل
نضافتك وراك قبل ما تدخل..

قالتها قبل أن تستطرد:

- انت متجوز؟؟

أشاح بوجهه عنها دون أن يجيب.. ولكنها عرفت الإجابة فتراجعت
في جلستها ساحبة من الجوزة في يدها نفسها عميقًا مغممة برؤية
خبيرة:

- دي شكلها بنت حلال كمان..

ثم أشارت بذراعها في المكان الممتليء براغبات المتعة من حوله
قائلة:

- عامة بما إنه أول يوم اللي تشاور عليها بتاعتك.. ومفيش بين الخيرين

ساحر الكتب ٢١٤

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

حساب يا اسمك إيه..

دار ناصر ببصره بين الوجوه.. كلها تبدو متشابهة بالنسبة له.. لا فارق يلحظه في طعم أو شكل أو رائحة.. كلهن أدوات.. أجساد بلا روح.. تماماً كما أصبح.. تُرى بأي سكين ذبحت إنسانيتهم؟؟ بالفقر؟؟ أم باليأس؟؟ أم بسكين القهر كما ذُبح؟؟

أشار بيده عشوائياً نحو إحداهن فأشارت لها سيدتها أن تعالي قائلة:

- قومي يا بت وروحي مع الباشا على أوضة الضيوف.. عايزاكي تدلعيه..

تمت الفتاة بكلمة لم يسمعها وهو ينهض معها إلى الداخل في استسلام تامٌ غير آبه بكل ما حوله.. سيُفرغ فيها بقايا الألم الكامن في روحه.. سيلقي فوق جسدها عبء القهر الذي أنهكه..

- كل الغالي ليك رخيص..

عبارة رَمَتْه بها أم غدير بصوتها الخشن الأَجش وهو يتحرك مع فتاة الليل إلى وجهتهم..

عبارة لم تبدُ له سطحية.. كان لوقِعها في أذنيه عمقٌ ما.. كل الغالي ليك.. رخيص.. هل حقاً يُنهك نفسه في السعي وراء ما لا قيمة له؟؟

هل هذا ما قصدته؟؟

ساحر الكتب

وتلك الفتاة السائرة إلى جواره تتمايل بلا روح.. دَلَفَ معها إلى
الحجرة الضيقة معتمة الإضاءة ذات الفراش الوحيد الذي يشغل
معظم مساحتها.. ثم أغلق الباب خلفه في حين ألقت هي جسدها
بالرداء الواصف ذي اللمعة عليه متمددة أمامه تتلوى كأفعى..

أخذ يفك أزرار قميصه الواحد تلو الآخر لا يشعر بأي شيء.. لا يدرك
أي شيء.. منفصل تمامًا عن كل الأصوات والصور..

..و

ارتفع بغتة.. صوت رنين هاتفه المحمول في جيبه فالتقطه متطلعًا عبر
شاشته إلى الاسم الذي أعاده دون انذار إلى الواقع..

حياة..

لماذا الآن؟؟

بأصابع مترددة ضغط زر الرد وهو يرفع الهاتف إلى أذنه مجيبًا:

- أيوة .

أتاه صوت زوجته المحطّم من جهة الاتصال الأخرى وهي تتساءل في
قلقٍ:

- انت فين يا ناصر؟؟ الفجر ادن وانت لسه مرجعتش..

أجابها بصوتٍ باردٍ:

ساحر الكتب

٢١٦

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- في مشوار كده..

سألت مرة أخرى في اهتمام صادق:

- مشوار إيه ده؟؟ انت كويس؟؟

غمغم في نفاذ صبرٍ لا مبررٍ مقترنٍ بنبرة تهكم:

- كويس؟؟ آه.. شوية كمان وهطير من الفرحة؟؟ في حاجة تاني عايزة تعرفيها؟؟

أتاه الصمت من الخط الآخر للحظة قبل أن تقطعه بصوت مكتوم:

- أنا قلقت عليك بس.. فحبيت أطمئن مش أكثر.. وفتفس الوقت محتجالك أوي دلوقتي تكون جنبي..

زَفَرَ في حرارة.. بداخله ذلك الصوت اللائم يستيقظ وهو يصارع بكل ما أوتي من قوة لَوَأْدِهِ متابعًا بنفس الأسلوب:

- ماشي يا ستي أديكي اتطمنتي.. في حاجة تاني؟؟

صمتت مرة أخرى ثم غمغمت وهي تقاوم النَّحِيب:

- أنا محتجالك يا ناصر.. أنا بموت..

أجاب في حدة مقتضبة وهو يغمض عينيه في قوة:

- وأنا ميت أصلاً يا حياة..

ساحر الكتب

٢١٧

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

تراجعت على الجهة الأخرى من المكالمة في أسى وانكسار..

كان الوجد في صوتها واضحاً برغم محاولتها كتمانها.. وكانت العصبية في نبرته صارخة برغم محاولته استنكارها.. مكالمة بدت وكأنها بالفعل تحدث بين اثنين فقدوا الحياة..

كان يكتم الحزن بعصبية.. ويكتم الاحتياج بجفاء الحروف.. واحساس المسؤولية باقتضاب الكلمات..

وكانت هي تكتم الوجد الكامن في أعماقها بصمت كالنيران تلتفحها.. لم يبق لها في الدنيا سواه.. كل ركن حولها في البيت الخالي يبدو موحشاً كثيباً يذكرها بما فقدت..

أين تلك الصرخات التي كانت تملأ الأركان بالأمس؟؟

وأين هو؟؟

وكيف لم يفكر في كونها وحيدة موجوعة تحتاج إليه؟؟

تلك القسوة؟؟

هل احتوته أم احتواها؟؟

شيئاً ما يتحرك بداخله..

لقد أعادته إلى واقعه..

يدور بعينيه في المكان أمامه..

ساحر الكتب

٢١٨

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

الفراش..

الجسد المُسَجَّى أمامه تتراقص فوقه شياطين الشهوة أسفل وجهه
ملطخ بأطنان من مساحيق التجميل يبتسم له في ميوعة..

"كل الغالي ليك رخيص" ..

ماهذا الذي يفعله؟؟

مالذي حَاقَ به؟؟

الى أي مدى من الدنائة وصل؟؟

يقولون أن حزناً ما.. مع بعض صدمات متتالية.. قد تصنع منا وحوشاً
أسوء مما اعتقدنا بكثير في أنفسنا..

دار كل هذا في رأسه والسماعات الملتصقة فوق أذنه تنقل له عبارتها
التالية التي لم يسمع منها حرفاً قبل أن يُقَاطعها قائلاً:

- حياة..

صمتت من الكلمة الاعتراضية المباغثة دون أن تنبس ببنت شفة..

وكذلك صمت هو الآخر في لحظة سحب خلالها نفساً عميقاً من الهواء
ملاً به صدره قبل أن يقول:

- متستينيش خلاص..

ساحر الكتب

٢١٩

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

لم تفهم عبارته بشكل واضح.. فندت من بين شفيتها مهمات رؤوس
حروف تبحث عن جملة استفهامية تبدأ بها السؤال الذي أراحها هو
منه وهو يتابع:

- انتي طالق..

خُيل لها من فرط الذهول أنها لم تسمع عبارته جيداً.. ولربما تمنَّت
ذلك وهي تتساءل بصوت مبجوح مختنق:

- إيه؟؟

كرر الجملة بجمود قلب رهيب:

- إنتي طالق..

وهنا..

سقطت السماعة من يدها لترطم أرضاً بصوت انتقل إليه عبر هاتفه
المحمول على الجهة الأخرى..

لثوان أغمض عينيه بقوة.. قبل أن يتهاوى على الفراش مرتطمًا بالجسد
الراقد فوقه كقالب حجري..

لقد خارت قواه بغتة وانهار في بئرهِ السحيق فاقداً الوعي..

دفعة واحدة..

ساحر الكتب ٢٢٠

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- ٦ -

نكره حاضرننا حتى يمضى.. وحينها ندرك أنه الأفضل..

#واقع..

أنتم أيها المتشدقون باحترام الأصول والعادات تُشعرونني بالفئيان..
أي قواعد تلك التي بقيت والمعبد بأكمله مهدوم؟؟
سادتي المتجملون نحن على أرضٍ فقدت صوابها.. فباتت الفطرة في
التعامل معها مُشوّهة..

وبقيت هيئاتنا فقط.. هي كل ما يربطنا بالإنسانية..

تنفّسنا الكذب حتى أدمناه.. وباتت المصلحة في حد ذاتها منطوقٌ
يقنعنا..

احترامكم ترفٌ لا تستحقوه.. والشك شريعةٌ يؤخذ بها فوق منصات
التحكيم..

ساحر الكتب

٢٢١

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

انقلبت بنا الأمور.. فصار الخطأ صحيحًا.. و صار الصحيح هو الخطأ..
عذرًا ساداتي الملائكة.. لا طاقة عندي لتحمل نظراتكم المستنكرة..
أنا أسوأ أهل الأرض..

أنا أفضلكم اعترافًا بذلك..

وإصرارًا عليه..

الإمضاء / عبودة

ساحر الكتب ٢٢٢

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

جوه عينك حُزنٌ حاسسٌ بيه وتاعبك ..

هو بعد رجوعنا ساكنٌ حُزنٌ ليه؟ ..

أحلى لحظة عشتها من عمري جنبك ..

دانت فرح خسارة يسكن حزنٌ فيه ..

((ورقة سادسة .. في مفكرة خضراء))

ساحر الكتب

٢٢٢

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

انسَلَّتْ خيوط الشمس متسللة عبر الشرفة الملحقة بذلك الجناح في
الْفندق تداعب أنفانها التي انفرجت ببطء متناقل استغرقتة عيناها
في اعتياد الضوء لتحديد تفاصيل ما يُحيط بها..
ظَلَّت ساكنة على وضعها فوق الفراش تتأمل المكان..
أنت هناك..

جالسًا في الشرفة..

مَيَّزَتْ جزءَ ظهركَ البَادِي لها من خلف الزجاج المُوَارب ..
رمقت الساعة المعلقة جوارها على الحائط وهي تتنَّأَب في رِقَّةٍ ثم
اعتدلت من رقدتها مستندة على طرف الفراش تناديك:
- صباح الخير يا حبيبي..

لم تحرك ساكنًا من وضعك فانتظرت لحظة أخرى تتأملك قبل أن
تنهض متجهة نحوك بفستانٍ أبيض لا زال يكسوها إلى داخل الشرفة
مُربَّبة على كتفك وهي تكرر:

- بقول صباح الخير يا حبيبي.. كده تسيبني نايمة كل ده؟

ساحر الكتب ٢٢٤

استشعرت لمستها الدافئة.. فأتاها صوتك يحمل دفء احتوائها
لمكنونك خافتاً يجيب وبصرك معلق بالفراغ:

- صباح النور يا حبيبتي..

لم تلتفت نحوها..

تخشى تعكير صفو صباحها بوجهك الذي شوّهته الجروح..

تجلس كما أنت ساندًا العكاز أمامك على سور الشرفة التي نظرت هي
خلالها صامته معقودة الحاجبين للحظة قبل أن تميل برأسها نحوك
لتصير في مواجهتك قائلة في استنكار:

- على فكرة كلمة يا حبيبتي طالعة منك متحسّش..

تحركت عينيك نحوها..

ستظل دوماً كما هي .. لا يتبدل فيها شيء..

شعرها الأسود المنسدل على جانبي وجه أبيض شابه في إشراقته
البدّر وقت التمام..

عينها الزرقاوتان تعكسان إجهاد وجهك البادي رغم تصنعك الابتسام
وأنت تهمس:

- والله العظيم حبيبتي..

وبرغم صدق نبرتك الا أن كثيراً من الخوف تخللها وأفقدتها بريقاً

ساحر الكتب

مميزاً كنت تعنيه..

أنت يا صاحبة السحر كله..

كيف ستلثمين وجهاً أثخنه الجروح؟؟..

هذه الندوب المنتشرة فيه.. أتقبليني بها شريكاً تجمعك الحياة
والصور معه؟؟

أحتاج لوقتٍ حتى أتعافى .. أحتاج لوقتٍ حتى أعود لسابق العهد
والنضارة ..

أحتاج لوقتٍ ربما فاق صبرك..

لم تغادرك الخواطر .. كتمتها في قلبك صامتاً وفي الصمت هي إليك
نظرت..

كأنما قرأتُ الخوف في عينيك ودواعيه.. مالتُ نحوك أكثر مُقبلةً
وجنتك أن لا تطلق..

معاً حتى آخر الأنفاس سنكمل رحلتنا..

معاً رغم كل شيء.. سنبقى..

غلبتك الدمعة الحبيسة التي سالت فوق وجنتيك وذلك الصوت الخافت
الذي تمتت به:

- سامحيني على شهر عسل هتقضي بقية مع عريس بيعرج ووشه كله

ساحر الكتب ٢٢٦

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

خياطات.. أكيد سكانش هو دا حلمك..

ابتسمت هامة:

- حلمي كان أنت..

تسللت عبر أذنك كلماتها.. فأغمضت عليها عينيك.. وعُدت لاستنشاق
الحياة..

من جديد..

يالها من لحظة تلك التي يملؤنا فيها الأمل.. وتعم البهجة ذرات كياننا..
لا وقت لدينا نضيعه.. وليس أهم من الحياة سوى الحياة ذاتها..
من الآن سنستمع بكل لحظة.. سنين مرت من العمر أنت في حاجة
لتعويضها..

الأيام تمضي.. والوقت في حضرتها كالبرق يمر..

ساعة تلتهم أخرى.. ويوم يلتهم سابقه.. وأنت معها لا تمل التأمل فيها
مهملًا كل ما حولك..

الأيام تمضي..

وثلاثة أيام هي كل ما تبقى..

ساحر الكتب

٢٢٧

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

١٧ سبتمبر ٢٠١٥

على مقعد بلاستيكي مواجهةً لحوض الاستحمام الكبير في الفندق كنت تتابعها وهي جالسة على حافته تداعب المياه الزرقاء الباردة بأطراف أصابعها في هدوءٍ، وشعرها المنسدل على ظهرها يلتمع تحت أشعة الشمس ببريقٍ ساحرٍ جذبك كفريقٍ يتشبث بخصيلاته المتطايرة مع نسيم الهواء الدافئ قبل أن تستدير نحوك بابتسامتها قائلة:

- المية لونها تحفة.. انت قاعد ليه بعيد؟؟ قرب شوية..

ابتسمت لها قائلاً:

- لوقربت مش هعرف أشوفك كاملة..

احمررت وجنتيها خجلاً وهي تميل برأسها إلى الخلف أكثر متممةً:

- طب منا كده اللي مش هابقي شايفاك.. الشمس ضاربة في عيني..

أجبتها:

- المهم ان أنا شايفك.. وان انتي ميسوطة..

ساحر الكتب

ضحكت في خجلٍ وهي تدير رأسها مرة أخرى في اتجاه المياه قائلة:

- أنا مبسوطة بس عشان معاك ..

لم تُجِبها هذه المرة .. فقط اكتفيت بالابتسام ومعاودة تأملها ..

هنا يكمن استمتاعك .. هنا تكمن سعادتك ..

كل شيء فيها يخلب لبك ويستولي تمامًا على كل ذرات كيائك ..

ابتسامتها ..

حركاتها ..

صوتها ..

كل شيء ..

هي التي لم يُخلق في الكون لها بديل ..

هي ذاتك التي بحثت عنها طويلاً حتى وجدتها ..

أنت أكثر الرجال حظاً على وجه البسيطة ..

إنه لشيء رائع أن تعشق شاعرة ..

تتابعها وهي تستند على ذراعها معتدلة للوقوف قبل أن تتجه نحوك

بقوامها الرشيق لتمسك بيدك وتجذبك للنهوض قائلة:

- تعالى نتمشى مع بعض شوية ..

ساحر الكتب

٢٢٩

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

نهضتُ معها ببساطة رغم الجبس الملتفّ حول قدمك والعكاز المستقر
تحت إبطك تتكئ عليه في تهاديكُمَا كلاً إلى جوار الآخر بخطوات
حالمةٍ تَأَبَّطَتْ هي فيها ذراعك كطفلةٍ بَعَثَتْ إلى روحك شعوراً رائعاً
بالمسؤولية نحوها..

ظلالكما الممتدة أمامكما تمتزج في نهايتها تعبيراً عن اندماجٍ داخليٍّ
تام..

لاشيء سيفصلكما أبداً..

حتى الموت.. سيقف عاجزاً إمام انجذابكما الروحي..

طالما أنت معها.. فلا شيء في الدنيا يَعْنيك ..

احتضنتَ ذراعك أكثر وضمتَه إلى صدرها مُكَمِّلة السير بلا هدى في
دورةٍ طويلة حول حوض الاستحمام غير أبهةٍ بكل ما حولها قائلة:

- مصطفى.. ممكن أعتزفلك بحاجة؟

توقفتُ.. نظرتَ إليها ونظرتُ نحوك.. عيناها بدتا أكثر عمقاً واتساعاً
بالقدر الكافي لاحتوائك وهي تتابع:

- أنا لما قلتك اوعى تسيبني قبل كدا كنت خايفة متفهمنيش.. كنت
خايفة ميوصلكش ان اللي أحلى بجد من الحلم تحقيقه.. مش بس
الكلام عنه لحد ما الكلام نفسه يبقى مجرد حلم.. بنكرره عشان

ساحر الكتب ٢٢٠

منسأهوش..

أجبت:

- أنا فعلاً مكنتش فاهم ياندى.. بس أم

- أستاذ مصطفى.. في ناس عند الاستقبال بيألو على حضرتك..

قالها أحد العاملين في الفندق مقاطعاً الحديث فالتفت نحوه في شروء
المستفيق قبل أن تتمتم:

- ناس؟.. ناس مين؟..

لم يحر الرجل جواباً سوى هز الكتفين مع تمتته:

- معنديش فكرة يا افندم.. هما قالولي هناك أبلغ حضرتك..

قالها ثم انحنى في احترام وانصرف فعدت إليها بنظرك حائرًا لا
تذكر أين انتهت..

ابتسمت وبصوتها الرقيق أشارت لك:

- روح يا مصطفى شوف مين عايزك.. وانا هنا مستنياك..

بادلتها الابتسام ثم اتجهت إلى داخل الفندق بخطواتك الثقيلة
وعكازك يصاحبهما الفضول نحو المقعد المقابل لمكتب الاستقبال
ملقياً جسدك عليه مع تساؤلاتك في وجه هذين الملتفتين إليك بعد
إشارة لهما من يد مسئول الاستقبال نحوك..

سأكر الكتب

لم تر أحداً منهما قبلاً..

من هما هذين الغريبين؟؟

وماذا يريدان؟؟

- خير يا دكتور طمّني؟؟ دي أول مرة من يوم ما اتجوزنا أشوفه تعبان كده ..

- لا خير إن شاء الله متقلقيش.. اللي عنده دا اجهاد نفسي.. لازم له بس رعاية كاملة وياريت مينزلش أو يشغل باله بحاجة اليومين دول..
واسمع الكلام المرادي أبوس إيدك يا عم درويش..

متطلعاً إلى ناصر الذي جلس جواره شاردًا يتأمل الطريق عبر النافذة المفتوحة للسيارة البيجو المنطلقة بهما في طريقها تتلاحق فوق وجهه أشعة الشمس المتقطعة تحجبها عنه ظلال الشجيرات والإعلانات الدعائية بين الحين والآخر على جانبي الطريق الممتد..

بدا له كشبح يتلاشى بذلك النحول الشديد البادي في تفاصيله والاسوداد القاتم أسفل عينيه..

هذا لقائهما الثاني بعد عودته من الجيش..

ساحر الكتب ٢٢٢

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

لم يُعزِّيه ..

تلمَّس الوسيلة إلى ذلك فقط.. لكنه استشعر رفضاً من الأخير أثناءه..
هو يتفهم محاولة ناصر للهروب والنسيان.. وهو كصديق سيساعده..
من الخطأ فينا أننا حين نحزن.. نحيط أنفسنا بكل الصور المؤلمة..
نفترشها أرض الذكريات ونستلقي فوقها بآكين..

ناصر يقاتل كي لا يفعل.. يُعاني في سبيل ذلك معاناة جليَّة.. نُحوِّله
الشديد وشروء مقلته المتحجرتان بلا دموع يُعلنان ذلك.. وذلك
الهاتف الذي بات لا يفارق يده يفتحه بين الهينة والأخرى مطالعاً
صفحته الزرقاء ليبتسم ابتسامة باهتة يعود ويفلق بعدها كل شيء..
أخبره في لقائهما السابق عن الواقع الافتراضي الذي استهواه في تلك
الصفحات..

هنا زحام من الرغبات يفيض خلف صورة لك تضعها هي كل ما يربطك
بالآخرين ويربطهم بك.. هنا كُنَّ ما تشاء.. أكتب ما تشاء.. واكذب كما
تشاء.. ستجد حتماً من يُصدق ويتفاعل.. حتى وإن كذب هو الآخر..

هنا ملجأ الهاربين من واقعهم مثله.. لم يخبره بأنه طلق حياة.. لم
يكن يحيى حتى لحظته تلك على علم بهذا.. ولم يشأ ناصر التحدث في
الأمر.. لن يُشرك أحداً في ضياعه.. ذلك الألم المحير داخله والفرغ
الذي أحاط به من كل صوب.. لم يخبره بأمر زيارة أخيرة قام بها منذ

ساحر الكتب

أيام إلى منزله لجمع آخر ما تبقى له فيه.. بمفتاحه إلى المكان بعد أن أعلن عن قدومه على غير المعتاد استحياءً دلف..

أمامه كانت حياة.. جالسة فوق الأريكة بالصالة تراقبه بدموعٍ أدمت عينيها وهو يعبر نحو غرفتهما يللم من داخلها بقاياها قبل أن يرحل..

لم يدْرِ لِمَ بدت في لحظتها له مختلفة مع صمتها الجريح..

شعورٌ لم يفسره كان مزيجًا بين الشفقة نحوها والاحتياج..

وسؤال رَاوَدَه..

مالذي فعله حقًا؟

هل تخلص الآن من عبءٍ كان يُرافقه؟

أم تخلصت هي من شريك لم يكن يستحقها؟

كانت زيارةً صامتة..

لم يدْرِ بينهم فيها أيُّ حديث..

فقط هي كلماته التي استدار بهم نحوها وهو يقف على عتبة الباب خارجًا:

- أنا خدت الحاجات اللي محتاجها خلاص.. خليكي انتي قاعدة هنا أنا راجل وهاعرف أتصرف.. متخافيش مش هازعجك تاني.. نسخة المفتاح اللي معايا هسيبها لك هنا عشان ميصحش تفضل معايا بعد

ساحر الكتب

٢٣٤

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

دلوقتي .. وبعد يومين هتوصلك ورقتك ..

كانت دموعها المنهمرة تتشبث به ..

شفتاها المرتعشتان في صمت كأنما تستصرخانهُ أن ابقَ ولا ترحل ..

لكنه رحل ..

توقفت الخواطر في عقل ناصر بغتة مع توقف السيارة المُقلّة لهم بحركة مفاجئة مُصدرةً صرير تشبث عجالاتها بالأرض فاستفاق مطالعاً ورفيقه وجه السائق الذي التقفت إلى الجميع وهو يفتح الباب المجاور له ويده بمنديل قماشى فيها تمسح العرق المتصبب على جبينه قائلاً:

- استراحة يا جماعة .. اللي عايز يدخل حمام وللا يشرب حاجة سخنة ينجز عشان ربعاية كدا ونتحرك تاني ..

تأمل الاثنان تلك الاستراحة الصغيرة، التي استقرت أمامها السيارة، موزع على طولها المحدود بعض الطاولات والكراسي الخشبية إلى جوار امرأة جلست خلف غلاية كبيرة للشاي يساعدها رجل بدأ أنه زوجها في تلبية طلبات الموجودين ..

هبطًا من السيارة بدورهما مع الجميع في صمت .. أخرج ناصر من جيبه علبة سجائر المهترئة .. التقط من داخلها واحدة دسّها بين شفتيه متمتمًا يتسائل:

- هو احنا قربنا واللاسه كثير ..

ساحر الكتب

٢٣٥

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

سار يحيى إلى جواره متجهاً به نحو المرأة الجالسة خلف غلايتها
مشيراً لها بكوبين من الشاي وهو يجيب:

- لا خلاص هانت.. تقريباً الباقي أقل من ربع الطريق..

على الفور صبّت له المرأة طلبه في كوبين بلاستيكيين التقطهما ومد
يده بإحداهما إلى ناصر مستطرداً:

- انت تعبت من السكة وللا ايه؟

هز ناصر كتفيه أن لا، وهو ينفث دخان سيجارته في الهواء قائلاً:

- لا خالص..

كان مُحققاً.. فلم يكن يشعر بأي شيء حوله.. كان منعزلاً عن الأشياء..
يقف تاركاً للهواء على الطريق السريع أمامه مهمة الحفاظ على جفاف
عينيه الملتمعتين ويرتشف دون تذوق كوب الشاي الساخن في يده..

تهد يحيى..

شيء من الحرج يُخامرهم..

ويبدو له الوضع في غير نصابه..

يتجه الآن في طريقه لتأكيد حجز أسبوع غسل له مع نرمين قبل ثلاثة
أيام تبقت على زفافهما وبصحبتة صديق لم تنته ليال حزنه على فقد
ابنه بعد..

ساحر الكتب ٢٣٦

صحيح أن هذا كان بدافع رغبة من ناصر ذاته الذي رفض تأجيل الفرع
كما طلب منه أن يصطحبه في رحلته تلك.. لكنه يشعر بالتقصير
والسلبية..

يتفهم أسباب رفاقه لكنه لا يستطيع إقناع نفسه بها..

محاولاً اختلاق حوار تتمم وهو يحاول التمكن بشكل جيد من الكوب
البلاستيكي الساخن في يده:

- أنا أصلي زي مانت عارف متعود عالطريق الطويل ده من أيام
الجيش.. كنت رايح جي عليه تقريباً مرة كل شهر ..

ابتسم له ناصر دون أن ينبس ببنت شفة.. فتابع مشيراً بطول ذراعه
إلى نقطة ما بعيدة على امتداد بصرهما من الطريق:

- شايف مأذنة الجامع الأبيض اللي في آخر الطريق هناك دي؟

تطلع ناصر إلى حيث يشير في صمت بينما هو يكمل عبارته:

- تقريباً دي بعيدة عننا بتاع ٥٠٠ متر.. وراها بقى بس لجوه شوية كان
صاحبك بيقتضي مدة تجنيده.. كانت أيام يا ناصر.. أيام..

تمتم بالجملة الأخيرة مستعيداً ذكرياته قبل أن يستوقفه فيها شيئ
ما جعله يمد يده متحسناً جيب بنطاله الخلفي ملتقطاً منه محفظة
سوداء منتفخة وهو يتمتم:

ساحر الكتب

٢٢٧

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- صحيح فكرتني..

نظر إلى ناصر وهو يتابع مُستمرًا في محاولاته اختلاق حوار:

- ابقى فكرني لو نسيت نسال عن صاحب المحفظة دي لما نوصل الفندق.. لقيتها على الطريق وانا راجع من المعسكر آخر مرة.. وفيها كارت لنفس الفندق اللي احنا رايعينه .

هز رفيقه رأسه فقط مغمفمًا:

- حاضر ..

قالها وهو يتجرع ما تبقى من الكوب في جوفه قبل أن يلقيه ساحقًا إياه أسفل قدمه وهو يقول:

- أنا هارجع أستنى في العربية ..

أوماً له يحيى برأسه.. ثم تابعه ببصره وهو يرحل عائداً إلى مكانه داخل السيارة مستقرًا مرة أخرى بجوار النافذة مع صمته وخواطره..

شارداً بصره على الطريق الممتد أمامه طويلاً ..

حتى الأفق..

من خلف شرفة غرفتها المظلة على الشارع بالأسفل وقفت نرمين تتأمل والدتها التي عبرت الطريق بجسدها الممتليء مشيرة إلى توكتوك

ساحر الكتب

٢٣٨

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

صغير استقلته منطلقه به بعيداً لزيارة ما قبل أن تُعاود عيناها مرة أخرى ودون قصد اختلاس النظر إلى ذلك الكشك الصغير أمامها والذي ظل مغلقاً على غير العادة منذ أيام..

شيءٌ من الفضول يدفعها للنظر.. منذ صغرها لم تعد رؤيته مغلقاً.. ولم تدر أيهما اشتاقت؟؟ بابه المفتوح على البضاعة المرصوفة داخله.. أم صاحبه العجوز والدها الواقف فيه؟؟

درويش..

عجيبٌ هو شعورها المتناقض حياله.. تلك الصور المتناثرة في عقلها تحمل لها الإحساس ونقيضه.. شعورها تجاهه يتأرجح ما بين رفض وقبول.. بين احتياج عارم له تنكره على نفسها.. وقلق صارخ عليه..

هل تشاقت؟؟ هل تشاق يوماً من الماضي ابتم لها فيه؟؟... ابتسامة هي بالكاد تذكرها.. رياه.. وهل يبتسم وجهٌ كهذا بغيضٌ؟؟ كيف لوجهه القاسي الأصم أن يحمل بين طيَّاته العطف؟؟ في أغلب الظن هي تتوهم.. لكن شيء ما داخلها يؤكد لها أنه فعل.. يوماً ما.. هي تذكر ذلك..

يوماً ما طبع قبلة حانية فوق وجنتها.. هي تذكر ذلك.. ربما لم تكن حانية.. ربما لم تكن صادقة.. لكنها تذكر ذلك.. يكاد عقلها أن يلتهمها بحثاً عن مسمى حقيقيٍّ لذلك الشعور..

ساحر الكتب

ظَلَّتْ فِي مَوْقِعِهَا وَاقِفَةً لِلحِجَّاتِ أُخْرَى قَبْلَ أَنْ تَسْحَبَ يَدَهَا المُمْسَكَةَ
بِالسِتَارَةِ لِتَسْدَلَ أَمَامَهَا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ عِدا ابْتِسَامَتِهِ المُنْسِيَةِ غَيْرِ
وَاضِحَةِ التَّفَاصِيلِ الَّتِي طَفَتْ فَوْقَ السِّطْحِ الدَّفِينِ مِنْ عَقْلِهَا، ثُمَّ تَحَرَّكَتْ
مَتَّجِةً مِنْ أَمَامِ فَسْتَانِ زَفَافِهَا الأَبْيَضِ المَعْلُوقِ خَلْفِهَا، وَكَأَنَّهَا يَخْتَلِسُ
النَّظَرَ إِلَيْهَا نَحْوَ الكَوْمُودِ الصَّغِيرِ بِجَوَارِ الفِرَاشِ لِتَفْتَحَهُ مَلْتَقِطَةً مِنْ
دَاخِلِهِ ذَلِكَ المَظْرُوفِ المَعْلُوقِ الَّتِي أُعْطَاهُ لَهَا يَحْيَى يَوْمَ وَصُولِهِ..

- صَحِيحٌ قَبْلَ مَا أُنْسَى.. أَبُو كِي امْبَارِحِ قَالَتِي أَوْصَلِكِ الأَمَانَةَ دِي..

أَخْبَرَهَا أَنَّهُ مِنْ دَرُوشِ الَّذِي أَكَّدَ عَلَيْهِ أَنْ تَفْتَحَهُ وَحْدَهَا سَرًّا.. لَمْ تَلْقَ
لَهُ بِالأَ حِينِهَا.. فَقَطَّ أَوْخَفْتَهُ عَنْ وَالدَّتْهَا فِي هَذَا المَكَانِ وَتَنَاسَتْ أَمْرَهُ
تَمَامًا.. لَا أَمَلٍ لَدَيْهَا فِي خَيْرٍ قَدْ يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ رَجُلٍ غَلِيظِ القَلْبِ أَسْمَاهُ
القَدْرُ وَالدَّهَاءُ.. تَجِدُ فِي نَفْسِهَا الآنَ الرِّغْبَةَ لِمَعْرِفَةِ مَا فِيهِ.. لِيَالِ أُخِيرَةَ
لَهَا تَبَقَّتْ فِي هَذَا البَيْتِ..

فَضَّتْهُ بِأَصَابِعِهَا فِي حِذْرِ مَفْرَغَةٍ مَا احْتَوَاهُ.. كَانَتْ وَرَقَةً مَكْتُوبَةً بِخَطِ
الْيَدِ سَقَطَتْ إِلَى جَوَارِهَا فَوْقَ السَّرِيرِ وَرِيقَةً صَغِيرَةً مَطْوِيَةً.. بَعِينِ
حِذْرَةٍ تَلَمَّسَتْ الحُرُوفَ بِهَا قَرَأَتْ..

إِلَى ابْنَتِي الوَحِيدَةِ نَرْمِينِ..

أَعْذِرُنِي عَالِخَطِ اللِّي عَارَفَ إِنَّهُ صَعْبٌ يَتَقْرِي.. حَاوَلْتُ أَطْلَعُهُ حَلْوَةً عَلَى
قَدِّ مَا أَقْدَرُ.. بَسْ سَامِحِينِي يَا بِنْتِي.. أَبُو كِي زِي مَانْتِي عَارِفَةَ رَاجِلِ
تَعْلِيمِهِ عَلَى قَدِّهِ.. سَامِحِينِي عَالِخَطِ حَتَّى لَوْ مَقْدَرْتِيشِ تَسَامِحِينِي عَلَى

ساحر الكتب

كل اللي شفتيه بسببي زمان.. أصل انتي لازم تسامحيني على حاجة..
انا بكتبلك دلوقتي وأنا عارف إنك بتبدئي حياتك الجديدة بعيد عن
كل الماضي اللي اتلوث بعلاقتي الفاشلة أنا وأمك.. بكتبلك وانا متخيل
تعبيرات الملل على وشك من المقدمة السخيفة ومن قرابة كلامي
عموماً.. ومقدر انك احتمال كبير أوي تبطلي قرابة قبل حتى ماتوصلي
لنص الكلام.. بس بتمنى من ربنا انه يديكي الصبر عشان تكملها..
زي ما اداكي الصبر انك تستحملي قسوتي عليكي طول عمرك زمان..
حبيبتني نرمين..

أقسم اني محبيتش في حياتي كلها قدك.. انتي الحاجة الصح الوحيدة
اللي كنت شايفها بتكبر وسط طينة من الفشل والطمع والظروف
الصعبة.. الحاجة الوحيدة اللي كانت بتديني أمل في عدم اعتبار نفسي
انسان فاشل وخاسر ووحيد.. نظرتي ليكي في كل نهار عديتي علياً فيه
وانتي نازلة رايحة جامعتك الصبح أو راجعة منها.. كانت نظرة حزن
وزعل على حالي.. مش زي ماكانت بتبان نظرة استياء أو كره ليكي..
نظرة الشعور اللي جوايا اللي عمري ماعرفت أسيطر عليه..

أنا مش وحش أوي يا بنتي زي ما أمك أكيد صورتلك.. لما انفصلنا أنا
ووالدتك.. كنتي انتي لسه صغيرة.. مكنتيش هتقدري تفهمي السبب
الحقيقي ورا انفصالنا ده.. أمك بالنسبالي من قبلك كانت أحلى حاجة
في حياتي.. اتجوزتها عن حب حقيقي محبيتش فعلاً بعده غير حبي

ساحر الكتب

ليكي انتي.. وجايز حبي ليها كمان كان أحلى وأوضح.. عشان مكانتش
بتعكره مشاعر قهر زي اللي اتولدت في ظروف حبي ليكي.. اتجوزنا
متفقين اننا نرسم حياتنا على الورقة البيضاء مع بعض.. سطر بسطر..
وجملة بجملة..

كانت ظروفنا مش قد كده.. كنا اتنين لسه بيبدووا مشوار حياتهم
الطويل وسط ظروف صعبة وضيق حال..

كان من ضمن اتفاقنا اننا نأخر الخلفة شوية لحد ما نبقى قادرين
نقف على رجلنا ونكفي روح تالته معانا.. لحد ما ربنا أراد انك تيجي..
مكانتش الظروف ساغتها اتحسنت بالشكل الكافي.. بس شوقنا احنا
الاتنين لحضورك نسّانا أي حسابات.. وهون علينا كل شيء.. فرحة
لايمكن أنساها حسيت بيها وشفتها في عيون أمك يوم ما شرفتي
دنيا.. كنت عامل زي طفل عبيط.. بيضحك مع كل ضربة جلاد نازله
على ظهره..

رغم المصاريف اللي زادت.. والمسئولية اللي كبرت.. والهموم اللي
بقت أثقل.. كان كفاية عليا بس في آخر اليوم أرجع البيت وأنا جايبلك
الشيكولاتة اللي بتحبيها عشان أشوفك وانتي بتجري علياً من فوق
وتحضنيني عالسلم قبل حتى ما أوصل لباب البيت..

أنا معرفش انتي فاكرة الأيام دي وللا لأ.. بس أنا فاكرها..

ساحر الكتب

٢٤٢

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

(كانت الدموع تنسال دون عمدٍ منها فوق وجنتيها وهي تواصل غرقها
بين كلماته المكتوبة..)

أيامها أبوكي كان يبشتغل مُحصِّل في هيئة النقل العام.. أقف طول
الشيفت أقطع في تذاكر وألم أجره من الناس.. ومكانش شغل الحكومة
بيكفي مصاريف بيت كل اللي فيه اتنين أصلاً.. فما بالك لما يزيد
عليهم ضيف تالت..

بقيت باشتغل في سُغلانات تانية جمب الشغل الأساسي.. اشتغلت
بوصل طلبات للبيوت.. واشتغلت نقاش.. وعامل نضافة.. حتى شغلانة
مساعد الجانوتي اشتغلتها.. كان أي حد يشاورلي على لقمة عيش
أجري وراها عشان نعرف نكمل.. بس للأسف برضو مكناش عارفين..
صدقيني يا بنتي.. أنا لو عليا أيامها كنت مستعد أموت مالجوع وأنا
راضي.. بس انتوا تكونوا شعبانين.. الحمد لله انتي كنتي بتكبري
وبتحلوي قدامي يوم عن يوم.. بس أمك للأسف كان الملل من الحال
جواها بيزيد.. بقت تعكن علياً بنظرة استخفاف بشوفها في عنيتها
أكبر كل يوم من اللي قبله.. كانت بتدبحني كل يوم بكلام عن البخت
الاسود.. والحظ الزفت.. والعيشة الفقر اللي معيَّشها فيها.. وكأننا
مبدأنهاش سوى..

وكان حد فينا كان بيكذب عالطاني.. أنا مش عارف.. أو مبقيتش

ساحر الكتب
٢٤٣
WWW.SATERALKUTUB.COM

عارف.. هيا مكانتش من الأول صادقة معايا في وعدها؟؟ وللا فعلاً
ظروف الفقر اللي عشناها كانت أقوى منها ومني؟؟.. كل اللي أعرفه
اني تعبت..

كنت بعمل كل اللي اقدر عليه بس طمعها ونكرانها كان أكبر.. تعبت
فعلاً.. وكسرتي بكلامها ونظراتها..

كنت محتاج لإيد تتمد معايا تساعدني.. مش إيد تضغط أكثر فوق
كتافي وتنزلني في قاع من يأس وضعف أنا أصلاً يدوب بحاول أخذ
نفس أمل أخير فوqe.. عشان كده مقدرتش أكمل.. فانفصلنا..

متستغريش اني رحت أدور على واحدة بعدها قريبة منك في السن
عشان أتجوزها وألحق معاها أعوض بأنانية اللي ضاع من عمري.. كان
عندي دافع كبير من العند بيوجهني لده.. بس ياريتني عرفت أحقق
جزء ولو بسيط من السعادة فيه..

متستغريش مني عشان كنت بضغط على يحيى في المصاريف
والطلبات المبالغ فيها.. مكنتش عايز النهاية بينكوا تكون شبه نهايتنا..
مش مسامح أمك أبداً عاللي عملته فيا.. بس في نفس الوقت مش قادر
أنكر إن الفلوس والمادة مهمين جداً لاستمرار الحياة..

كنت عايز أمحي عندك أي سبب في المستقبل يخليكي شبهها.. كنت
عايزك تعيشي مرتاحة.. ومن ناحية ثانية كنت عايز أتأكد انه مستعد

ساحر الكتب ٢٤٤
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

يضحي لأقصى درجة عشان يفضل جنبك.. والحقيقة اللي اكتشفتها
وعايزك تعرفيها.. انك دلوقتي مع راجل ابن حلال.. بيحبك بجد..
ومستعد ياخذ من عمره ويديكي.. يحيى بيحبك.. بالضبط زي ماكنت
أنا زمان بحب رجاء.. هو ظروفه لحد كبير أحسن من الظروف اللي أنا
عشتها زمان.. بس أنا برضو معرفش انتي شربتي من طبع أمك لحد
فين..

أنا بكتبلك دلوقتي عشان أقولك اوعي تكرري مع جوزك التاريخ اللي
شفتيه بعينك بيني أنا وأمك.. بكتبلك عشان الوقت يمكن ميدنيش بعد
كده فرصة.. انا معمليش كل اللي عملته الا عشان خاطر..
في ايدي دلوقتي كل الاختيارات..

البنى آدم اللي معاكي وافق يمضي على مؤخر ضخم وقايمة بأرقام
مبالغ فيها تكفلك حياة مريحة جداً لو حبيتي في يوم تنفصلي.. فلو
انتى زي أمك.. متظلميهوش معاكي.. فوقيه من الأول.. ومتخافيش..
حياتك مادياً من بعده هتبقى مريحة يمكن أكثر من حياتك معاه..

أما لو فارق معاكي الانسان نفسه.. فصدقيني.. يوم ما تقطعي قدامه
الارتباطات المادية اللي عليه دي.. هتشوفي بعينك منه أجمل من اللي
كنتى بتتخيلي تشوفيه.. اسمعي الكلام ده من راجل عجوز شاف بعينه
وشوش ياما.. وجرب من الدنيا مرّها قبل الفرحة..

دا اللي كنت عايز بس أقولهولك في رسالتي..

وأيا كان اختيارك أو طبعك.. أنا عايزك بس تقرريه قبل ما يكون بينكوا
شخص تالت.. لأنكوا هتظلموه ساعتها غصب عنكوا.. بالضبط زي منا
وأملك ظلمناكي..

شكرا يا نرمين انك كملت الرسالة لأخرها.. وبتمنالك من كل قلبي
حياة جاية أحلى بكتير مالملي عشناها..

مع الجواب هتلاقي ورقة صغيرة متطبقة.. ورقة اتكتبت يوم ما جيتي
الدنيا.. ومفارقتنيش غير لما حطيتهاالك بإيدي في رسالتي دي..

ربنا يحميكي يا بنتي..

من أكثر واحد حبك..

الراجل اللي اسمه درويش..

أبوك..

للحظات ظلت متجمدة على وضعها والرسالة بين يديها..

هي الآن تدرك أنها تبكي.. هي الآن تدرك تلكم العينين في الحلم واليد
التي تشبثت بها.. كانتا عيناها.. كان يتشبث بها.. وكانت تحتاج إليه..

بأنفاس صدر أراحه البكاء وكف رقيق مدت يدها به نحو تلك الوريقة
المطوية جوارها..

رفعتها بيديها وفكت في هدوء مفعم بالفضول أيضاً تكويرتها..

لازالت رغم الزمن يبدو الاسم المكتوب عليها واضحا..

"نرمين" ..

فاقدة صوابها كانت.. تلملم أشلائها في حقيبتها الكبيرة مع ما تبقى في المكان حولها من عبق ذكرى وأفكار تؤلمها.. هكذا كانت في لحظتها تلك.. وسؤال قاسٍ يلح على رأسها..

عن أي حياة بحثت؟.. وفيم كانت تفكر حين اعتقدت في من حولها من بشر كل ما اعتقدته من العدل..

لا..

لا مجال لعدلٍ فوق أرضٍ ملأتها قلوبٌ قُدت من طمعٍ وأنانية ..

لا مجال لعدلٍ بين وجوهٍ نظرت حسداً، وابتسمت زوراً.. وحتى حين رأت.. رأت ما أرادت فقط أن تراه وأغفلت الواقع..

لم يكن حلمها البسيط أكبر من عائلة صغيرة..

زوجٌ تصونه.. وطفلٌ ترعاه.. وبيتٌ يَكُن لها رغم الصغر مملكةً هي ملكتها..

ساحر الكتب

لم يكن لها من المطامع والطموحات ما يزيد..

فعلت كل ماتملك من أجل هذا.. ضحّت بكل شيء.. قدّمت كل ما
تستطيع.. قبلت وتحملت وارتضت.. وأوفت..

لم تخنَ يوماً للحفاظ على كل شيء.. فضاع منها كل شيء..

رباه على تلك المعادلة الآثمة.. يد الميزان المائل التي وضعتها فوق
كفّة من ظلم..

"انتي طالق"

كلمة قالها لها.. ظلت تتردد في رأسها دون انقطاع..

طالق.. لأنك رضيتي..

طالق.. لأنك علمتِ برفضِي لكِ منذ البداية.. فتحملتِيه.. وكأنما كان
البديل في يدك ولم تقعلي..

طالق لأنك اخترتِ الرضا بديلاً عن طموح في الأفضل..

وربما لأنك اعتقدتُ خطأً أنه الأفضل..

لقد كانت مجبرة ..

بل إن الخيار أساساً لم يكن من المُعطيات أمامها كما كان أمامه..

على الأقل كانت فرصة التراجع دوماً في يده هو.. وقد فعلها الآن.. بعد

أن أفقدها كل الأمل في حلم أقصى ما يمكن أن يميزه هو البساطة..
فارق كبير بين أن تُجبر فقط على شيء فتضعه في إطار النصيب.. وأن
تجبر على شيء فتصبغ كل ما حوله من ماضٍ ومستقبل بلونٍ يتماشى
معه.. لتجعله وكأنما انبثقت حياتك منه.. لا إليه..

كانت الجدران المحيطة بها.. والمكان من حولها يبدو لها كئيبيًا ككل
شيء.. مظلمًا.. دامسًا..

تُخالجها ارتعادة الحزن الحارق كلما تردد في عقلها صدى الكلمة..
"انتي طالق" ..

بأصابع مرتجفة مبتلة من أثر دموع قهرٍ مناسبة للتو مسحتها عن
وجنتيها.. أخذت تُعد حقيبتها في انتظار الفجر استعدادًا للرحيل..
لقد سمح لها بما تبقى لديه من شفقة ربما أن تبقى..

أخبرها بذلك أو طلبه منها في آخر زيارة له لكنها لا تستطيع..
لا تجد في نفسها القدرة على البقاء في مكانٍ كل أركانه تُذكرها به..
وبطفلهما..

بكل ما خسرت.. وبكل ما عاشت له حمقاء..

أه لو يعلم كم تود الآن شكره..

لقد خُفِّفَ عنها كثيرًا من الحزن الذي ملأ قلبها على وليدها المفقود..
خُفِّفَ بحزنٍ أكبر.. وصدمةٍ أقوى منه بكثير..

جعلها تحمد الله على موته المُبكر .. كي لا يحيا في كنفِ امرأةٍ حمقاء
لم تكن تدرك أنها كذلك..

تشكره لأنه أهداها الحقيقة..

وفهمها ماالذي تعنيه حقًا كلمة.. دنيا..

هو أول من قابلته في حياتها ولم يبخلُ عليها بدرس حياة باهظ الثمن
دون أن يحسب أي خسارة سيخسرهما في مقابل ذلك ..

تشكره على الوقت المُهدر من عمره.. وعلى قيمته المُهدرة من نظرها..
سرحت لآخر حروف خواطرها وأنفاسها تجهش ببيكاءٍ حارٍّ متزايد..

سترحل باكراً إلى حيث يأخذها القدر.. ربما ستعود من جديد إلى
مسقط رأسها.. إلى أحضان القرية التي لفظتها وهي صغيرة.. ربما
إلى مكانٍ آخر.. لا تعرف.. ولا يعينها أن تعرف.. لا شيء في الدنيا
يعينها.. ربما بعد فترة سيزول كل شيء ويُنسى كأن لم يكن..

إلا الألم.. هو فقط ما سيبقى.. مع درسٍ جديدٍ ستلقنه لأول شخصٍ
آخر يصادفها.. حتى وان لم يستحقه.. تمامًا كما لُقِّنَها إياه ناصر..

- مش هتروح الفرحة ده يا درويش.. على جثتي لو نزلت..

صاحت بها صفيّة.. وهي تقف صانعة بجسدها حائلاً بينه وبين الباب الذي اتجه نحوه مستنداً على عصاه الخشبية القصيرة.. وبوجه لم يحمل لكلماتها اهتماماً بقدر ما حمل من إجهادٍ ظاهر قال:

- ابعدني عن طريقي والنبي يا صفيّة دلوقتي.. خليني أنزل أروحي مشواري ولما أرجع يحلها ربنا..

صرخت في وجهه بعنادٍ شجعها عليه الوهن البادي في وقفته وهي تكرر:

- أنا قلت مش هسيبك تروح.. ومفيش حاجة اسمها أما ترجع.. هيا كبرت في دماغي يا درويش خلاص.. وبعدين هو انت مش شايف نفسك؟ انت بقالك أسبوع أصلاً مبتفارقش سريرك من التعب.. والدكتور بنفسه جالك لحد هنا، وقالك ان حالتك الصحية محتاجة راحة على الأقل اسبوع.. إيه؟ فجأة رجعتك العافية دلوقتي؟

سحب نفساً عميقاً حاول به تمالك أعصابه وهو ينظر فيما حوله قبل أن يمد يده مربتاً على كتفها وهو يقول:

- ابعدني يا صفيّة من قدامي دلوقتي الله يهديكي.. خلي الليلة دي تعدي على خير أنا مش ناقص..

أزاحت يده المربطة عن كتفها وهي تنظر إليه شذراً وبنفس الصوت

العالي أكملت:

- اه.. قول كده بقى.. حنيت يا درويش؟؟ حنيت خلاص للحب القديم؟؟
مش طايق تفوت فرح بنتها حتى وانت عارف ان دا هيضايقني؟؟ نسيت
اللي عملته فيك؟؟ وكل كلامك اللي زيّ الزفت عنها؟؟ وللا الظاهر ان
كل ده كان كذب بتملى بيه وداني عشان مشوفكش على حقيقتك.. راجل
أناني وميهمكش غير نفسك وبس..

التمعت عيناه وهو يعرض على شفثيه في غيظٍ مكتوم سعل على أثره
مرتين متتاليتين قبل أن يأخذ نفسًا آخر امتلأت به رثتيه لثوان ثم زفره
في حنق وقال:

- لآخر مرة بقولها لك.. متخليش الشيطان يركب دماغك أوي كده..
ومتسيش ان اللي بتتكلمي عليها دي برضو بنتي.. وميصحش مكونش
موجود يوم فرحها..

لوحث بيدها في وجهه وهي تصرخ في جنون امرأةٍ فقدت عقلها تمامًا:
- بنتك؟؟ دلوقتي بنتك؟؟ مش دي النبت الشيطاني اللي خلفتهولك
الحرباية مراتك؟؟ مش دا كلامك؟؟ وللا تكونش نسيت؟؟

لم يكن قادرًا أمام صوتها المرتفع وعصبيتها الزائدة أن يحتمل أكثر..
فبدا صوته هذه المرة أقل هدوءًا وهو يُزيحها عن طريقه بقوة على
الرغم من كِبَر سنِّه والإجهاد البادي عليه:

ساحر الكتب ٢٥٢

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

- لا بقى دا انتي مفيش فايده فيكي.. غوري من وشي الساعادي
ومتخلينيش أقلب عليكى..

فقدت بعضاً من توازنها إثر الدفعة فتشبثت بذراع الأريكة الموضوعة
إلى جانب الباب وهي تنظر له في دهشة.. في حين مدّ هو يده نحو
مقبض الباب وفتحه متجهاً إلى الخارج فلحقته صارخة:

- أقسم بالله يادرويش.. لو نزلت النهاردة هترجع مش هتلاقيني..
توقف للحظة عند الباب..

لحظة تأمل فيها السلم أمامه الذي بدأ وكأنما خطت على درجاته كل
خطواته السابقة في الحياة..

لحظة واحدة التفت بعدها إليها وهو يبتسم في هدوء ربما لم تره فيه
من قبل قائلاً وابتسامته تتسع:

- حاجات كتير أوي استنييتها وملقيتهاش.. مش هتيجي عليكى انتي..
تجمدت في مكانها.. واتسعت عيناها ذهولاً أمام كلماته المقتضبة التي
أفقدتها النطق بينما أغلق هو الباب خلفه عليها بالداخل ورحل..
يهبط درجات السلم بأقدام نخرها الزمن..

وبعقل تزامحت فيه الأيام والذكريات..

هذه الدرجة التي تخطاها قفزاً منذ سنوات بينما رجاء تصرخ

ساحر الكتب

صرخات الوضع الأولى.. هذه التي تهشمت أطرافها تحت قدميه يوم صعوده عليها وهو يحملها في أول يوم زواج.. وتلك التي رفع ابنته عنها حين سقطت وهي تحاول السير لأول مرة..

هنا كانت تنتظره عائداً إليها بكيس الحلوى المفضل بعد عشاء يوم طويل.. يده المنطبعة على الجدار إلى جواره بدم أول ذبيحة ضحى بها احتفالاً بأول نجاح لها..

- بابا.. متساش تجيبلي معاك علبة الألوان اللي طلبوها في المدرسة وانت راجع..

- درويش.. ابقى خد نرمين معاك النهاردة وانت نازل.. عاملالي شقاوة في البيت طول اليوم وأنا النهاردة عندي مسح.. خدها تشم شوية هوا..

هنا كانت أول الضحكات..

وفي هذا الركن اختبأت خوفاً من عقاب توعدتها به يوماً..

يهبط الدرجات واحدة تلو الأخرى.. وكأنما يمحو بخطواته تلك سطور الذكرى التي حُطت فوقها يوماً ملقياً بقايا الحروف في رُكنٍ دفينٍ من عقله لم يلفظها أبداً برغم الاحتشاد..

هاهي الأعوام قد مضت..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

بكل ما أخذت منه وما أضافت..

وبكل ما أخذ منها أو أضاف..

وسواء انتصر هو عليها أم انتصرت هي عليه..

كانت خطواته التالية هي الأخيرة..

تلك التي ذلت عن الدرجة قبل أن تكتمل..

الجدران تدور من حول رأسه المندفع بين سحب رمادية في رحلة

السقوط نحو ظلام دامس..

وأخير..

ساحر الكتب

٢٥٥

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

١٧ سبتمبر ٢٠١٥

حدّثني عن الأمور حين تتأزّم.. وعن ستر سوادها الحالك
المنسدل فوق أعيننا.. عن أخطاءٍ اقترفناها بحماقة عمداً أو
دون قصد.. عن خسارات تكبّدناها..

وعن حياةٍ استمرت برغم ذلك ولم ندقق النظر بين ثناياها عن
بصيصٍ من ضوءٍ أملٍ منبثقٍ.. في غمرة اليأس دوماً لا نراه..

لاحظتُ حينها.. ربما لأول مرة منذ دخوله الغرفة وأثناء حوارهِ الذي
طال معي.. من خلال عتمة المكان التي اعتادتها أعيننا.. ذلك العرق
المتصبب غزيراً فوق جبينه رغم برودة المكان..

لاحظت أيضاً أن ابتسامته لم تكن صافية كما بدت لي في بادئ الأمر..
كان يتخللها وجعٌ حاول بها إخفاؤه أو السيطرة عليه..

ساحر الكتب

٢٥٦

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

وجعٌ بدا أكثر وضوحًا في صوت أنفاسه المرتفعة وصمته الطويل بين كل جملة وما يليها..

كانت لحظة صمت تلك التي تكشف لي فيها ذلك.. قطعها هو مكملاً:

- أربعناشر سنة من يوم ما فهمت.. أربعناشر سنة بحارب في مرض لعين.. ألم رهيب بيكسر في كل عضمي.. وجع لا يُطاق.. وكنت كل ما أصرخ منه أشوفه بيتولد في عيون أُمي.. وأبويا وأخواتي.. حسيت إنني بموتهم معايا.. ودا زود وجعي فقررت أكتمه.. ومع الوقت.. قدرت أتمايش معاه.. أربعناشر سنة لحد اليوم اللي أنا واقف فيه دلوقتي قدامك.. الموت فيهم كان بالنسبالي أمنية.. لو بس هيسمجلي أنام ليلة واحدة زي باقي الناس من غير ألم..

كانت عيناى اللتان جفّتا تماماً من الدموع تتبعانه.. وعقلي الذي أبحر مع كلماته بعيداً ترسم أمامه الصورة كاملة رغم علامات استفهام تخللتها وسرعان ما تلاشت الواحدة تلو الأخرى عبر الحديث وهو يستطرد:

- كانوا بيحاولوا يساعدوني.. ومعاهم رغبتى وإرادتى اللي كبرت معايا.. بس الوجع كمان كان بيكبر.. حاولوا كتير يعالجوني.. لكن فقرّ الحال كان واقف ما بينهم وبين المحاولة.. صعب تكاليف عملية زي دي يتحمّلها بيت فقير اعتماده كله على راجل وحيد رزقه بيكفي بس يومه..

ساحر الكتب

٢٥٧

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

يمكن تكون لاحظت في كلامي شوية من لهجة المصاروة.. قضيت مع ابويا في القاهرة ٤ سنين.. دايرين فيهم على المستشفيات وبين معامل التحاليل.. وفي آخر كل طريق يقابلنا باب مقفول عنوانه تكاليف عالية.. أو إمكانيات علاجية محدودة.. ومستشفيات تانية رفضت تستقبلني بسبب سني أو حالتي المتأخرة اللي أمل علاجها معدوم في نظرهم.. ولما بدأت العلاج الكيماوي من سنة تقريباً في البيت.. كنت عرفت ان المرض أقوى مني.. وانه فرض عليا حكمه وسطوته..

شيء وحيد هو اللي حفظلي ابسامتي.. اني كرهت وجعهم.. الكيماوي كان بياخذ مني كل يوم شيء.. شعري.. صحتي.. بنيتي.. إلا الابتسامة.. صعب تكون سبب حزن في عيون بتشحتلك الفرحة..

الحياة لازم بتمشي.. سميرة أختي الكبيرة جالها عريس.. اتجوزت وبعد شهرين عرفنا ان في بدايات حمل.. فرحة جديدة بتولد.. بس للأسف مش كاملة.. سميرة عندها ضعف في عضلة القلب تمنعها من الخلفة.. اما انها تتخلص من الجنين.. أو تعرض حياتها للخطر وهيا بتولده.. الاختيارين بالنسبالها موت.. وأهونهم عليها التاني.. لكن عشان ربنا رحيم وضع في ايدي اختيار تالت ليهم فيه الحياة..

لاحظت هنا مع عبارته الأخيرة أن ابسامته اتسعت.. أقسم أنها كادت تبتلع وجهه الشاحب كله.. لم أدر لأي سبب انتقلت عدوى الابتسام منه

ساحر الكتب ٢٥٨

إلى شفتاي رغم ما أعانيه ورغم قسوة ما حكي..

لقد سلبني هذا الفتى كل منطلق تعلقت به فيما سبق.. سلبني الواقع الذي أحياه.. فقط وجدتي أبتسم أمامه في بلاهة.. ربما هي رغبة مني في أن أبدو متماسكاً أمامه.. ربما هي الغيرة على إرادتي التي بدت لي أمام شخص مثله مكبوتة لا تستحق كل هذا الكم من الوهن..

كنت أنظر له في احترام أتلهف شوقاً لعباراته التالية..

الآن أفهم..

الآن أدرك ماتعنيه ابتسامته في وجه الموت..

لقد بات الواقف أمامي بعد معاناة طويلة مع مرضه ومع العلاج الكيميائي جسداً فانيًا خاوٍ إلا من روحٍ تتمسك بالحياة وقلب.. قلب أدرك جيداً كيف يجب..

كيف يبقى..

قلب فضّل أن تستمر نبضاته في جسدٍ آخر سليم يمنح له ولغيره الحياة..

كما قال مروان لقد أتى المرض وعلاجه على ما تبقى منه.. لقد التهمه تماماً.. أخبروه أن كل ما تبقى له هو بضع ساعات.. لا أمل علمي في مزيد..

ساحر الكتب

لم أستطع حينها تحديد السبب الحقيقي وراء وجوده أمامي ولقائه
معي في تلك الليلة..

هل ليكون قريباً كما أخبرني من ثلاجة الحفظ المعدة لاستبقاء قلبه
بعد الوفاة لساعات تكفي إتمام عملية انتقاله إلى جسد أخته الأكبر..
أم أن هناك سبباً آخر؟

هل فقط سيحيي الفتى قلباً وروحاً تتشبث به.. أم أن هناك قلباً آخر
كان على شفا حفرة من اليأس أحياه؟
أذكر جيداً كلماته حين أخبرني..

- قلبي الذي ينبض الآن في جسد بلي.. خير له أن ينبض في جسد
يستحقه.. ربما لا تدرك سميرة حتى الآن باتفاق مع الجميع ما سيتم..
ولكن قريباً قلبي النابض في جسدها سيخبرها.. ربما سأرحل شكلياً
عن الوجود.. لكن اسمي الذي سجلت في وصيتي أن يطلقوه على
مولودها القادم سيجعلني دوماً نصب أعينهم.. إنها فرصة جديدة
لي كي أبقى.. كي أستلقي راقداً دون ألم كما دوماً تمنيت.. كي أرى
إبتسامة حقيقية في وجوه تصنعت أمامهم على مدى سنوات رغم ألمي
الابتسام..

ساحر الكتب ٢٦٠

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- ٧ -

قطار تستقله.. ومقعدٌ تختاره سبقوك في الماضي إليه.. وجميعهم
ينتظرك في محطة الوصول..

#حياة

كنتُ شخصًا تلقائيًا بالسَّليقة..

بسيطًا.. أبدًا لا أهوى العمليات الحسائية المعقدة..

مُلوًّا.. أقصى ما يزعجني إجراء حكوميٍّ روتينيٍّ..

سطحي إن راقكم التعبير.. رمادي إن أردتم الفهم..

أقف في منتصف المسافة بين كل شيءٍ ونقيضه..

لا ينطبق عليَّ أبدًا أحد اللونين المُحددين لغالب أنواع البشر في

مختلف صفاتهم..

لست الأبيض الخالص.. ولم يصل سواي حد التمام..

ساحر الكتب

٢٩١

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

كنت اللون المتوسط بينهم .. في كل شيء ..

للقلب داخلي والعقل قَدْرَيْنِ أمزج فيما بينهما كيف شئت .. أو أكتفي بأحدهما متى شئت .. في صغري كنت هاوٍ للعزف على البيانو .. وحين توقف أمر تطوير الموهبة على بعض الدروس توقفت معه .. وتناسيت الأمر برمته .. في فترة ما استهوئتي العملات وتجميعها .. اليوم لا يمكنني التذكر تحديداً أين وضعت علبة العملات المعدنية الخاصة بي ..

أكره التفاصيل لكنك حتماً إن ذكرتها ستثير اهتمامي ..

أغلب الطرق قطعت نصفها ثم توقفت .. أمشي وعيناي على موطيء قدمي .. ولا أذكر أبداً .. في كل ماسبق من حياتي .. أن تأملت فيما هو أبعد من الغد .. أتناسى الماضي تماماً .. فأعيش اليوم لذاته .. وأترك غداً لشأنه حتى يأتي .. حاضري مهما اجتاحه الجنون .. حين يمضي أنساه .. فلا أندم إن خاب جنوني .. ولا أسعد إن أصاب .. هذا ما كنته ..

لكني الآن أختلف ..

الإمضاء / يحيى

ساحر الكتب ٢٦٢

WWW.SATERALKUTUB.COM
ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

وجايز مهما فات الوَقْت نتقابل..

هنا تاني فَمكان بالصُّدفة يجمعنا..

أنا الحلم اللي كان قبلك وحيد دابل..

ودلوقتي بقاله معاك حياة ومعنى..

((ورقة سابعة.. في مفكرة خضراء))

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

الأسكندرية

٢٠ سبتمبر ٢٠١٥

التاسعة صباحاً..

سطع ضوء الشمس قوياً هذا النهار على الرغم من برودة الجو..
وتعامدت أشعتها فوق وجه نرزمين مُظهرة بريق عينيها العسليتين
وهي تقف بالقرب من تلك الحافلة السياحية الكبيرة رافعة رأسها
نحو يحيى الذي ظهر قرص الشمس من خلفه تماماً فضيقت حدقتها
بعض الشيء واضعة كفها في محاذاة الجبهة لتخفيف حده الضوء على
عينيها متسائلة في قلق:

- هي الساعة بقت كام دلوقتي؟

ألقى نظرة سريعة إلى ساعة يده ثم أجاب وهو يقترب منها محاولاً
صنع حائل بجسده بينها وبين الشمس:

- ٩ وربع .

بدأ عليها التوتر وهي تدور ببصرها في المكان بحثاً عن ضائع ما قائله:

ساحر الكتب ٢٦٤

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- إيه دا؟ فاضل ربع ساعة والأوتوبيس يتحرك ومحدث جه يودعنا..
حتى أمي.. دي كت قايلالي إنها هتجيلنا من بدري عالشقة أصلاً..
ياترى إيه اللي أخرها أوي كده؟
غمغم مطمئناً:

- متقلقيش.. زمانها جاية.. تلاقيها صحيت متأخر بس..
هزت رأسها في غير اقتناع مغممة:

- لا أكيد لأ.. تروح عليها نومة ازاي في صباحية بنتها؟ صعبة أوي
دي؟ أنا قلقانة عليها.. وبكلمها مش بتردد..

لم يجد يحيى ما يجيبها به.. كان شاردًا هو الآخر وكأنه في انتظار
شيء ما لم يُفصح عنه.. فقط تلفت حوله منتظرًا بدوره قبل أن يلقي
بعبارة جديدة محاولاً تغيير دفة الحوار:

- تحبي نجيب حاجة من أي كشك قريب كدا ناخدها معنا في السكة؟
أشارت له، بلا وهي تقول:

- ملوش لزوم.. أنا قايمة قبلك من الفجر صليت وعملت شوية
سندوتشات محطوطيين في الشنطة الصغيرة.. ومعانا برضو عصاير
فمفيش داعي... أنا مش شاغلني دلوقتي غير أمي اللي اتأخرت دي..
كان القلق بادياً بوضوح على ملامحها.. فقال مازحاً يُحاول التخفيف

ساحر الكتب

عنها:

- رجاء شكلها ما صدقت البيت فضي عليها وخلصت منك .. كتمتي على قلبها طول السنين اللي فاتت.. من حقها الست تشم نفسها..

ابتسمت لدعابته رغم قلقها وهي تمد يدها لتضربه في صدره قائلة:

- بس بقى.. وبعدين أنا مبكتمش على نفس حد.. أنا نسمة أصلاً..

ثم استطردت:

- لا بجد يا يحيى أنا قلقانة..

قالتها وهي تدور بعينيها في المكان شاردة.. إنها اللحظات الأخيرة التي نشعر فيها بالارتباك.. اللحظات التي انتظرناها لكننا أبداً لم نضع وقت وقوعها في الحسبان.. هذا الحلم المنطلقة لتحقيقه.. تترك خلفها الكثير لأجله.. حياة جديدة أتتها لتُنحِّي الماضي جانباً.. البيت القديم.. غرفتها.. صورتها القديمة المعلقة داخل إطار فضي بصفيرة تبتسم.. وآخر جدول امتحانات لم تمح اليوم الأخير منه بعد لازال يقبع فوق سطح مكتبها الصغير.. رجاء.. أمها وصديقتها الوحيدة..

درويش.. حتى هو.. شيء ما في البُعد عنه ستفتقده..

تمتت في خفوتٍ لم يسمعه:

- على فكرة أنا قريرت الرسالة..

ساحر الكتب ٢٦٦

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

كانت تود بشيء من اضطراب أن تشرکه في خواطرها.. لازالت كلمات رسالته تصاحبها.. ارتفع في تلك اللحظة من جانبهم صوت سائق الحافلة وهو يصعد إليها قائلاً:

- يلا يا جماعة.. كله يطلع يشوف كرسيه هنتحرك كمان شوية..

سمعت العبارة.. فتشبثت بذراع يحيى كطفلة صغيرة مذعورة وهي تقول:

- يحيى.. دا هيمشي وأمي لسه مجاتش؟؟

بحث يحيى في رأسه عن جملة تهدئة تاهت في عقله قبل أن تتقدته منها عيناه التي قنصت تلك الأخيرة قادمة نحوهما من بعيد بجسدها الممتليء وعباءة سوداء.. فأشار إليها بيده قائلاً لنرمين في ارتياح:

- أهي وصلت هناك أهي؟؟

التفتت نرمين إلى حيث يشير ثم انطلقت نحوها تحتضنها في سرور قائلة:

- رجاء.. انتي ايه اللي أخرك كده؟؟ دا اللي هجيلك من الفجر وهحضر معاكي كل حاجة قبل ما تسافروا؟؟ الأوتوبيس خلاص كان ماشي..

أجابت الأم في اقتضاب لم تلاحظ غرابته نرمين المثخن رأسها بالأسئلة:

ساحر الكتب

٢١٧

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- معلى يا بنتي..

اندفعت نرمين مرة أخرى تسأل:

- فين أبويا.. معرفتيش مجاش الفرخ امبارح ليه؟

تعلقت عينا رجاء بها وصمتت..

لحظة لم تتركها هي للصمت خالية.. استطردت فيها بلهفة توضح:

- مش هتكوني سالتيه بنفسك طبعاً بس أقصد وصلك السبب.. أو

عرفتي من حد.. كدا يعني؟

لم تلحظ نرمين نبرة اللهفة الواضحة في سؤالها.. وذلك الوصف الذي

لم يسبق لها أن استخدمته منذ سنين..

- أبويا..

بدت الكلمة صادقة عفوية خرجت من بين شفيتها لتخترق قلب رجاء

التي سارت معها مقتربة من يحيى الذي مدّ يده لها مصافحاً ونرمين

تتابع في إصرار:

- ها يا رجاء؟ معرفتيش؟

نظرت لها رجاء مرة أخرى وتمتمت:

- أول مرة من سنين أسمعك بتقولي أبويا..

ثم قبّلت يحيى وهي تُصافحه قائلة:

ساحر الكتب

٢٦٨

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- ازيك يا يحيى يا بني ٩٩ .. مش هو صيڪ عليها بقى ..

رد يحيى في امتنان صادق:

- متخافيش يا أمي .. نرمين في عيني .. كويس إنك لحقتينا .. مكانتش
هتركب إلا اما تشوفك ..

لم تسمع نرمين شيئاً من العبارات المتبادلة بينهم .. كانت عبارة
أمها هي كل ما استوقفتها .. لقد وصفته بالأب فعلاً لأول مرة دون أن
يمتعض قلبها أو تستكر شفتاها ذلك .. رباب .. إنها حروف رسالته
الصادقة .. تسللت إلى مشاعرها بفتة .. وحولت نظرتها له دون سابق
انذار .. قطعت عنها أفكارها تربيته رجاء على كتفها وهي تناولها كيساً
استقرت بداخله علبه بلاستيكية صغيرة قائلة:

- امسكي مني بس عشان منساش .. دي سندوتشات عملتها الكوا
للطريق .. حطوها معاكوا في الشنطة واتسللوا عليها لحد ما توصلوا ..
تناولتها نرمين من يدها في حين ألقى سائق الحافلة عبارته مرة أخرى
فأشارت لهم الأم أن ارحلوا قائلة:

- طب يلا بقى يا ولاد .. خدوا بالكوا من بعض وربنا يسلمكوا .. كلموني
لما توصلوا بالسلامة ..

هز يحيى رأسه إيجاباً وهو يمسك بذراع نرمين السارحة يجذبها نحو
الحافلة تتبعهما خطوات الأم مودعة .. في حين توقفت نرمين لحظة ..

ساحر الكتب

مشيرة ليحيى أن عذراً.. فتركها لتقترب خطوة من أمها قائلة بصوت هامس وهي تنظر في عيناها:

- رجاء.. فيه حاجة حصلت؟؟

تنهدت الأم وهي تشيح بوجهها قائلة في سرعة:

- لا يا حبيبتي أبداً..

في إصرار كررت نزمين وهي تنظر مباشرة في عيناها:

- شكلك متضايقه يا رجاء.. انتي مخبية حاجة عني؟؟

مرة أخرى أشاحت بوجهها وهي تجيب:

- دا تلاقيه مجهود الفرح امبارح بس لسه مأثر علياً..

تسائلت نزمين مرة أخرى قبل أن يستعجلها يحيى مرة أخرى إلى الحافلة الموشكة على التحرك:

- آمال إيه الاسود اللي انتي لابساه ده؟؟

غمغمت الأم في تملص وهي تشير بيدها لها أن وداعاً:

- اللي لقيته في سكتي وأنا نازله.. لما اتأخرت قلت أنزل بأي حاجة..
يلا يا اولاد في أمان الله.. ربنا معاكوا..

أشار لها الاثنان بأيديهما مودعين وهما يستقلان الحافلة متجهين

ساحر الكتب ٢٧٠

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

نحو مقاعدتهما المتجاورة.. في حين وقفت هي بالخارج منتظرة حتى
أغلقت الحافلة أبوابها عليهما داخلها واستعدت للانطلاق متحركة
ببطء.. ابنتها تلوح لها من الداخل بعين ثابتة في حين يبتسم يحيى لها
في شروود من خلف الفاصل الزجاجي وعيناه ترمقان الفراغ.. للحظات
ظلت تراقب الموقف قبل أن تنسل من عينيها دمعة لم تدرك هي نفسها
الدافع منها .. الْحُزْنِ كانت.. أم لِفَرْحَةٍ؟ دمعةً جاهدت في إخفائها
تقديرًا لتلك اللحظة التي تنطلق فيها ابنتها نحو تحقيق بداية حلمها
الجديد مع يحيى.. لم يكن من المنطقي أن تخبرها بالحقيقة..
لقد مات درويش..

رحل وحيداً كما عاش..

وجدوه جسدًا فاقد الأنفاس يتمدد في مدخل البناية المظلم منذ
ساعات بعد انتهاء صخب الفرح وانسلاال الحضور كل لقدرة وطريقه..
كانت الحافلة تبتعد أمامها في الأفق حين شعرت بذلك الذي اقترب
من خلفها عدوًا بأنفاسه المتلاحقة يسأل:

- هما مشيو خلاص؟

مسحت بكنها خط الدموع المنسال لتخفيه.. ثم التفتت نحو مصدر
الصوت قائلة في تماسك:

- آه يا ناصر.. لسه الأوتوبيس متحرك حالاً..

ساحر الكتب

٢٧١

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

لقد رحل الجميع .. وتركت هي وحدها للدموع.. إنه لحُزَن دفين ..
لماذا لا اندرك قيمة الأشياء إلا بعد رحيلها؟؟.. لماذا نبكي حين لا يبقى
هنالك بديل؟؟ كل ما رحل لا يعود.. بجمله وقبيحه.. لا يعود.. فقط
تبقى لنا منه الذكريات..

أمواج البحر المتلاطمة بدت بصوتها الهادر وكأنما تشاركها الحديث..
والأفكار المتشابكة في عقلها تصدح مختلطة متزاحمة.. لربما أدركت
نرمين قبل رحيلها مع يحيى كل ما أفصحت به نظراتها المتهربة التي
حاولت أن تُخفي بها الحقيقة.. المنزل يظهر لها من بعيد.. تمشي
بخطواتها المتباطئة نحوه.. وكأنما يقترب هو بدوره منها.. على عتبه
تجلس صفية.. ضرتها سليطة اللسان التي تصغرها بعقود.. تلك التي
رمت اقترابها بنظرة شائكة مع من حولها من نساء متشحين جميعهم
بالسواد عند مدخل البناية.. قبل أن ترميها بلسانٍ لاذع:

- شرفتي يا ست هانم؟؟.. خلصتي عالرجال يا رجاء وارتاحتي؟؟
قصفتي عمره؟؟

كتمت رجاء داخلها كل الفيظ والألم المكتوم وهي تغمغم بصوت خفيض
متخفية حشود النساء إلى داخل البناية:

- إنا لله وانا اليه راجعون.. ربنا يرحم الجميع..

صاحت صفية في حلق وهي ترفع صوتها قائلة:

ساحر الكتب ٢٧٢

- رحمة لا تنزل عليكى ولا تشوفيهها يا بعيدة.. حسبي الله ونعم الوكيل
فيكي..

كانت رجاء تصعد درجات السلم في بطءٍ وهي تستمع إلى عبارة تلك
الأخيرة تصاحبها ولولات ولطَمَات الأخریات ثم توقفت ملتفتة نحوها
قائلة بصوت مبجوح:

- كفاية يا صافية.. كفاية.. احترمي ان للموت حرمة ..

لم تكف صافية.. استمرت مُنهالة بوابل لعناتها المتصل فاستقبلته
رجاء مكملة طريقها إلى أعلى.. سُحَقًا لكل شيء..

فتحت باب شقتها.. ودَلَفَت إليها بحملها الثقيل من الحزن والخسارة..
قبل أن تغلقه وراءها في صمت.. صمت هو ذاته الذي اكتسَبت به نرمين
وهي تجلس إلى جوار يحيى داخل الحافلة المنطلقة في رحلتها بهما..
صمت دفعها إليه الخوف من أن تدرك ما أدركته.. هي تشعر بكل شيء
للِيْتِم احساسٌ لا يُوصف وفي غير احتياجٍ لكلماتٍ تؤكده.. تستشعره الآن
بداخلها لأول مرة في العمر دون سببٍ واضحٍ ملموس ..

لقد رحل درويش.. كيف وبأيه طريقة.. هي لا تعلم.. لكنها مُوقنةٌ من
رحيله.. ربما هو السواد الذي اكتسَبت به أمها.. أو الطريقة التي تهرَّبَت
بها من سؤالها.. أو الحزن الواضح في عينيها.. ربما كل ما سبق أو لا
شيء سوى ذلك الانقباض النفسي الذي تشعر به.. بكت..

ساحر الكتب

٢٧٢

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

انسلت الدموع مغادرة عينيها وأنفاسها تجهش ببيكاءٍ حارٍّ مفاجئٍ ألقّت رأسها به في صدر يحيى الذي أخذ يُرَبِّت عليها دون أسئلةٍ وكأنما فهمها هو الآخر دون حديث. من بين العبرات في لحظة التقاط شهيقتها المتقطع تمتمت:

- كان نفسي أودّعه يا يحيى.. كان نفسي يعرف إنني مسامحاه..

حَبَسَ يحيى دموعه في جلد.. كانت كلماتها أوفى من أن يتساءل عن معنى أو سبب لها.. هي الآن ترفدُ بين ذراعيه وقد صار المسئول الوحيد عنها.. أحزانها تلامس قلبه الذي انبعث منه الكلام عبر لسان تمتم به:

- هيعرف يا نزمين.. هيوصله كل اللي انتي حاسه بيه دلوقتي.. صدّقيني هيوصله..

كان بكائها المتواصل يُغرق يده التي حاول بها كفكفة دموعها وهو يواصل حديثه مُكَملاً:

- لو صدقتي هتشوفيه وكأنه قُدَّامك.. وهتوصليله بتصرفاتك كل اللي انتي عايزة تقوليه..

هدأت شهقاتها الباكية تدريجيًا مع كلماته التي بعثت بعضًا من الاطمئنان اللا مفهوم إليها وهو يتابع:

- عارفه؟ لما كنت في الجيش.. كان معايا واحد في الدفعة من قرية

صغيرة في الريف.. مش فاكرك حتى اسمه.. بس كان أكثر حاجة مميزاه
إنه موهوم.. بيخاف أوي.. مصدق ومؤمن جداً بحكايات الأرياف
القديمة اللي اتحكيتله عن نداءة شافوها في ليلة جنب الساقية وحمار
أبيض يمشي ناحية المدافن وبيكلم الناس بصوت ولهجة البني
أدمين..

رفعت عينها ورأسها لا يزال على صدره متطلعة نحوه في غير استيعاب
بينما استطرده هو دون توقف:

- ساعتها أنا مكنتش فاهم حقيقة تأثير الوهم بجد عالي يصدقه..
يمكن بعد كده الصدفة خلّيتني أقابل حد يعرفني اللي مافهمتوش..
بس ساعتها مكنتش فاهم.. كان كل اللي يهمني أنا وزمالي في العنبر
ساعتها اننا نتسلى.. نقضي الوقت.. ونتبسط شوية على حساب
قناعة ومفاهيم حد.. اجتمعنا على اننا نزرع في خياله قصة وهمية
عن شهداء الحروب اللي ماتوا.. قلنا له إنهم ببيجوا ساعات بالليل
ينادوا من بعيد ويطلبوا مية يشربوها أو أكل يسد جوعهم.. أوحينا ليه
بكد.. كان بيسمعنا وهو مرعوب واحنا بنوصفله أصواتهم.. وازاي لما
بيندهونا محدش غيرنا بيسمعهم.. قلنا له انهم مبيأذوش غير اللي
بيستهزأ منهم ومن وجودهم..

صمت عند تلك النقطة للحظة التقط خلالها أنفاسه وذكرياته قبل أن
يكمل بنبرة أسي واضحة:

٢٧٥
ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM

- كنا بنهزر.. مكناش عارفين ان هزارنا ده ممكن يخليه يقوم في نص الليل بيصرخ عشان سمعهم بيكلموه.. متخيلناش إنه هيجي في يوم مفزوع يحلفلنا إنه شافهم بعنيه ويُقسم على كده.. افكرناه ساعتها بيمثل.. بس الحقيقة ان احنا اللي زرعنا له وهم كان عقله عنده استعداد أصلاً يصدقه.. مد يده رافعاً رأسها لينظر بعينه نحوها قائلاً:

- لو مفهمتيش قصدي من الحكاية دي فأنا مقصدش إنك تصدقي الوهم أو تعيشي بشيزوفرينيا فاصلاكي عن الواقع.. أنا اللي قصدته اننا على حسب درجة تصديقنا وإيماننا ممكن نعيش فعلاً مع اللي حاسين بيه وعائزينه.. فهمتيني؟ هيا نفسها فكرة الإيمان.. احنا كلنا بنعبد ربنا يا نرمين من غير ما نشوفه.. بندعيه واحنا واثقين فيه عشان حبيناه.. وصدقنا فعلاً إنه موجود.. صدقي يا نرمين اللي بتحببه.. صدقي ان درويش سامعك وحاسب دلوقتي باللي عايضة تقوليه.. صدقي انه شايفك.. ووصليله الرسالة اللي فعلاً من جواكي عايضة توصليها.. كان يحدثها بنبرة لم يتحدث بها من قبل..

نبرة المقتنع بكل كلمة نطق بها..

وكل حرف..

كانا اثنين..

ساخر الكتب ٢٧٦

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساخر الكتب

اقترب منك أحدهما.. من أمام مكتب الاستقبال.. داخل بهو الفندق المتسع.. بينما توقف الآخر بوجهٍ نحيلٍ أسمرٍ وشعرٍ أشعثٍ على مقربةٍ يتابع بعينٍ خاويةٍ رفيقه الذي مدَّ إليك يده يصافحك وهو يقول متسائلاً:

- مهندس مصطفى طایل؟؟

هزّزت رأسك بالإيجاب وأنت تمدُّ يدك لتصافحه بدورك دون أن تقلت عيناك ذلك الواقف في الخلف:

- أنا مصطفى.. تحت أمرك..

رفع حاجبيه متنهّداً في ارتياحٍ مُرصعٍ بالدهشة وهو يقول:

- اسمي يحيى .. يحيى سليمان.. مفيش سابق معرفة بيني وبين حضرتك بس أنا معايا حاجة تخصك رمتها الصدفة في طريقي..

ارتسمت علامة استفهام على وجهك وأنت تتمتم في اهتمام:

- حاجة تخصني؟؟

أخرج يحيى من جيب بنطاله الخلفي محفظةً جلديةً سوداءً مدَّ بها يده إليك وهو يقول مبتهّجاً:

- ايوة.. المحفظة دي.. لقيتها وأنا خارج من معسكر التدريب بتاعي عالطريق.. ولقيت جواها كارت الفندق قلت أسأل هنا عليك على أمل تكون موجود وحاجتك ترجعلك.. والحمد لله دا فعلاً حصل .. بدأ رد

فعلك عجيبيًا وأنت تلتقط محفظتك بين يديك غير مكرث بها قدر
اكترائك بذلك الواقف من بعيد خلفه ينتظر.. شيء ما يجذبك بشدة
إليه.. وجهه الشاحب المُقْفَهَرُ كشاهد قبرٍ جفت من حوله كل الزهور
وتناثرتها الرياح.. إلى عينيه.. إلى نظرة حزن فيهما بدت مألوفة لك
تمامًا.. نظرة سكنت عينيك من قبل.. إنه ذات الحزن.. ذلك الذي لا
تألفه سوى عين رجل.. فَقَدَ امرأة..

بصوتٍ هاديٍّ وحروفٍ واضحةٍ خرجت كلماتك ببطءٍ:

- مفيش حاجة اسمها صُدفة.. كل حاجة بتحصل جوالينا أكيد ليها
سبب..

قلتها ثم نهضت متجهًا نحو الأخير.. بعكازك واثقل خطواتك تقرب
منه.. تتأمل التعاسة البادية على وجهه.. وتلك النظرة المُتَوَجِّسة التي
يرمقك بها.. وكأنما اكتسبت سعادتك من ثنايا وجهه الكئيب.. تتجه
نحوه بنفس تلك النظرة التي رمقك بها ذات يوم فتى صغير لم يكمل
عقده الثاني من العمر بعد.. تتطلع إلى عينيه بمباشرة تهربت أمامها
مقلتاه.. ودون سبب واضح.. تبتسم..

- انت مين؟؟ وعاييز مني ايه؟؟

- أنا اسمي مصطفى.. وعاييزك تضحك..

ساهر الكتب ٢٧٨
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساهر الكتب

٢٠ سبتمبر ٢٠١٥

الثالثة عصرًا..

لساعةٍ أو يزيد.. غرقت نرمين في نوم عميقٍ مستندةً برأسها على كتف يحيى الذي لم يرمش له جفنً طوال الرحلة.. وعيناه المعلقتان بالطريق أمامه منفصلة تمامًا عن كل شيء.. مأخوذة لعالمٍ آخر بعيد يلتهم عقله ويسيطر على كل خلجاته..

كانت الشاشة الصغيرة المعلقة في سقف الحافلة تعرض فيلمًا تسعينيًا أخذ الجميع يتابعونه في مللٍ واضحٍ رغم الضحكات المتقطعة المنطلقة من أحدهم بين الحين والآخر..

ارتعش جفناها الناعسان في أحضانه لوهلة.. قبل أن تفتحهما وهي تعتدل متثابرة في هدوء رافعة يدها نحو فمها متممة بشيءٍ من غياب وعي:

- هي الساعة كام دلوقتي؟؟..

ابتسم لها في حنانٍ دون تعليقٍ فمدت يدها ورفعت ذراعه متأملة الوقت
في الساعة على معصمه قبل أن تقول:

- يا ااه.. كل دا نوم؟.. دا أنا محسّتش بنفسي؟؟

رَبَّتْ بذراعه على رأسها متممًا:

- طبيعي العياط بينيم..

تحسست بكفها وجنتها وهي تتطلع عبر النافذة جواره إلى الطريق
متسائلة:

- احنا كده فاضلنا قد إيه ونوصل؟

أجاب في هدوء:

- خلاص هانت مفاضلش كتير.. تقريبًا ساعتين..

مدّت أصابعها متحسسة طرف المقعد الذي تجلس عليه بحثًا عن زر
إعادته إلى وضعه المعتدل مغممة:

- بقولك ايه يا حبيبي.. ممكن تبعد التكييف بس عنّي شوية عشان
حاسة إني هاخذ برد؟..

مدّ يده نحو السقف محاولاً تعديل اتجاه الهواء البارد بعيدًا عنها.. قبل
أن يعود مرة أخرى ويحيط جسدها بذراعه محاولاً إمدادها بشيء من
الدفء وهو ينظر إليها قائلاً:

- لو بردانة أوي ممكن أطلعك جاك من الشنطة تلبسيه..

لثمت يده بقبلة دافئة أودعتها كل الحب والثقة الكامنين في أعماقها
له متممة:

- لا يا حبيبي.. ربنا يخليك ليا..

بَادَلَهَا نظرة الامتتان بعد عبارتها.. ثم عاد مُطالِعًا الطريق لبرهة قبل
أن تقاطعه بعبارة أخرى وهي تتساءل:

- سرحان في إيه؟؟

مط شفتيه دون أن يلتفت لها مغمفمًا بنبرة هادئة:

- مش سرحان.. أنا خايف..

عقدت حاجبيها معتدلة تتطلع نحوه وهو يتابع:

- خايف شوية من المسؤولية والحياة الجديدة اللي أنا وانتي داخلين
عليها سوى دي.. خايف من الظروف الصعبة.. من المستقبل اللي مش
مفهوم ولا باينلنا منه ملامح .. حتى الطريق اللي احنا ماشيين فيه
دلوقتي ده.. خايف ميكلمش..

قالها ثم التفت اليها بشروده مستطردًا:

- مش تشاؤم والله ولا ضعف.. بس هو خوف كده فجأة زارني..
متسألش سببه إيه..

ساحر الكتب

مدّت يدها نحو وجهه تُوجّه نحوها وهي ترمق عيناه بنظرة حانية
ثابتة قالت بعدها:

- مش هاسأل عشان عارفه.. وعشان دا شعورنا الطبيعي لما القدر
يهدينا حاجة غالية كنا طول العمر بنحلم بيها.. ساعتها بنخاف من
المستقبل.. وبنسأل نفسنا بقلق ازاي هنفضل قادرين نحافظ فيه
عليها.. خوفك دا أنا كمان حاسه بيه.. بس اللي مطمئني.. إنا مع
بعض..

ابتسم مُربّتاً على كفيها وهو يهز رأسه مؤكّداً وكأنما يحاول إقناع نفسه:
- انتي صح ..

قالها وتلك الفكرة في عقله لا زالت تشغله عاد بها مرة أخرى ملتفتاً
نحو نافذته الزجاجية المُطلّة على الطريق وأغمض عينيه شاردًا فيها..
تلك المصادفة العجيبة..

وذلك اللقاء..

صورة مصطفى كأنما انطبعت أمامه فوق زجاج النافذة.. وكلماته
الأخيرة تحتل أركان الفراغ المحيط به..

- ((تدركون الآن لماذا التقينا.. ولأي الأسباب كنت مُصرًا على
اصطحابكم معي إلى هذا المكان الذي بدأ منه كل شيء..))

ساحر الكتب ٢٨٢

قالها داخل تلك الحجرة في المستشفى التي فكَّ فيها الجبس المحيط
بقدمه منذ قليل أمامهم ..

- ((لقاءنا كان قدراً صيغ على هيئة صدفة.. لكني أخبرتكم منذ
البداية.. لاشيء في الحياة يحدث دون هدف.. ولا شيء يقع بقبيل
المصادفة.. ربما كان هدف لقائي بكم اليوم.. هو ذاته هدف مروان
من لقاءه حينها معي.. لقد أضاء لي الطريق لرؤية ما تخفيه المشاعر
المكبوتة داخلي.. مَحَا من عيني حزنًا لازلت أراه ينبثق من عينيك..
نحن نتشابه في الكثير يا ناصر.. كلانا حمل في عينيه ذات نظرة
الحزن.. كلانا عبيء بنفس القدر من اليأس..

إنه لشيء رائع بالتأكيد أن تعشق ما تملك.. ولكني الآن أرى الروعة
الحقيقية في أن تختلق عشقك من العدم.. حتى وان لم يكن موجوداً..
الحب طاقةٌ كغيره من الأشياء.. لا يستحدث من فراغ.. يُولد بداخلنا
عبر نبع واحد هو الروح..

نحن الأفضل حظاً إن أدركنا ذلك.. حيث امتلكتنا المصدر الروحي
المجدد للعشق.. لدينا من المشاعر ما يكفي لصناعة وهم يمكنه
السيطرة علينا إلى درجة تجعل بإمكاننا رؤيته.. شمّه.. الإحساس به..
وملامسته متى شئنا..

الحب هو أكبر وأهم وهم صنعناه لأنفسنا بأنفسنا وواصلنا به الحياة..

ساحر الكتب

الحب هو الخيال الأجل بين برائن واقعنا الكئيب.. ولا أعتقد فيك
الحماقة الكافية لإضاعته.. أرى أن تعود الآن يا ناصر.. عليك إنقاذ
ما أضعته من حبّ طالما ظلّت الفرصة متاحة.. عليك معاودة الاتصال
بها من جديد.. عليك المحاولة..

أعتقد أن أوان التصحيح لم يفت بعد.. كل شيء في الحياة يبقُ بعيداً
كما تركناه.. فقط ينتظر استدراكنا أنفسنا وعودتنا في الوقت المناسب
إليه.. تُحقّق الرغبات بقدر قوة إصرارنا عليها..

أرى أن تعود الآن يا ناصر..

كل من ملّك القدرة على الرحيل بإمكانه أيضاً أن يعود..

أرى أن تعود الآن يا ناصر..

ربما لا زالت هناك فرصة..

حياتك لا تنتهي دوماً بموتك..

هذا ما لقنني إياه مروان..

فحتى الموت يحمل بين طياته أيضاً حياة..

و الأمل دائم بدوام الأنفاس المترددة في صدرك..

لذلك.. ولأجل جميع ما سبق..

أرى حقاً أن تعود.. ((

سائر الكتب ٢٨٤

كان لقائهم قصيراً.. لكنه كان مختلفاً..

تعلم فيه الكثير.. وانقلبت بسببه موازين رؤيته لكثير من القواعد..

عن خيالٍ مقيدٍ فينا بسرجٍ من خوفٍ.. عن أملٍ ولدتنا به الفطرة
فوأدناه.. عن وِحدةٍ تملأ الدنيا حولنا صخباً.. وحقيقةً لا نرغب أبداً
في تصديقها..

عن حبٍّ لم ننجح أبداً في فكِّ رموزه برغم بساطتها..

عن واقعٍ لم يفرض نفسه حتى صنعنا بأنفسنا له الفرضيات..

وعن حياةٍ.. اختلف كل ما فيها بالنسبة له بعد اللقاء عما سبق..

لقد أدرك أن القلوب بلا أحلامٍ تموت..

وأن عيناً ترى الأشياء من خوارجها فقط..

هي في الأصل.. وإن رأت..

عمياء..

ساحر الكتب

٢٨٥

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

الأسكندرية

٢٠ سبتمبر ٢٠١٥

الخامسة والنصف فجرًا..

هواء الفجر النقيّ..

وذلك اللون الرمادي الممزوج بريشة من بنفسج لسماء لم يرحل
قمرها بعد.. همسُ مصلين في طريق عودتهم من المسجد لديارهم..
مع صوت ارتطام الملعقة المعدنية الصغيرة بجنبات كوب شاي
بالحليب تراقصت الأبخرة المتصاعدة منه أمام العينان الناعستان
لعم مكرم صاحب المقهى الذي أشرك مع الكوب الساخن في يده كأس
ماء تراقصت قطع الثلج على قمته فوق صينية نحاسية مصفرة حملها
وهو واقع في برائن تلك المنطقة الرمادية بين النوم واليقظة متجهًا
بها نحو المنضدة الخشبية التي جلس بجوارها عبودة واضعًا القدم
فوق الأخرى وعيناه تشتعلان بنشوة لا مثيل لها..

سائر الكتب ٢٨٦

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

سائر الكتب

كل ما حوله يدعو للانشاء..

ليس فقط بسبب الهدوء المرصع بنسيم صباح وُلد لتوه.. وإن كان وحده يكفي.. لكنه وفي تلك اللحظة.. كان لديه سبب آخر جعل للهواء المنسل إلى رئتيه مذاقاً مميزاً.. نغم موسيقي خاص صنعته روحه.. وبصره معلق بتلك النافذة المنغلقة كشبيهاها في تلك البناية الصغيرة أمامه.. امتدَّت يده نحو الكوب الساخن دون أن ينقل بصره عنها.. رفعه إلى فمه وارتشف منه القليل..

لقد كنت صبوراً إلى الحد الكافي لانتصار تنتظره..

حدث بها نفسه..

- فات الكثير ومش باقي الا القليل يا عبودة..

حرَّك بها شفتيه في همس لم يسمعه سواه.. كان ينتظرها.. ليس ككل مرات الانتظار السابق.. فانتظاره اليوم يختلف.. عيناه تحملان ترقباً ذئبٍ يدرك جيداً أن فريسته الجريحة لن تقو على مقاومته هذه المرة.. لتكن انقضاضته قوية إذن.. كصبره الطويل.. تحركت يده تبعد تلك المحشرة الطائرة التي استقرت فوق أرنبة أنفه للحظة قبل أن تعود محلقة مرة أخرى لتستقر إلى جوار أذنه مصدرةً صوت طنينها الذي بات شبيهاً بالصوت الناجم عن تراقص أوراق زينة معلقة أمامه بعرض الشارع تبقت من زفاف نرمين ويحيى المنقضي منذ ساعات..

لَوْح بيده يُبعدها مرة أخرى بشيءٍ من عصبية متمتما:

- ما تفوري بقى يا بنت الرزلة..

ثم راقبها وهي تتحرك غير مبتعدة لتحط في نهاية رحلتها فوق حافة كويه الساخن..

إنه انتقامٌ آخر صغير.. ستتضاعف نشوته إن أنهاه..

اقترب بكفيه في هدوء من حافة الكوب حتى بات الوضع مناسباً.. الآن هي تشعر بوجوده.. لا ضير في ذلك فقد تمكّن منها.. تهّمّ بالتحليق مرة أخرى و..

تردد في المكان صوت صفقة واحدة ارتطم فيها أحد كفيه بالآخر.. ساحقاً الحشرة التي وضعها أمامه فوق المنضدة مراقباً في صمت المستمتع لحظاتها الأخيرة..

كعادته دوماً.. لقد أحسن استغلال الفرصة وتحين الوقت.. صمت طويلاً.. ثم وجّه ضربته في الوقت المناسب.. ليستمتع بعد ذلك بمراقبة ضحيته والتسلية بها قبل أن يُجهز عليها تماماً.. كان قد ملّ من متابعة الحشرة التي أخذت بجناح مهشم وأقدام لم تعد منتظمة تدور فوق المنضدة بغير هدى.. فدفعها بأصبعه نحو الأرض ثم رفع حذائه ليسحقها أسفله دون اهتمام وهو يمدّ يده مرة أخرى نحو الكوب ليستكمل شرب ما فيه..

ساحر الكتب

المذياع المتهالك فوق الرفِّ الرُّخامي المرتفع داخل المكان ينبعث من سماعته القديمة كالعادة صوت أغنية عبد الوهاب التي لا يملُّ مكرم سماعها..

مررت هنا واشتقت إليك ولساعة من عمري هنية

والبدر و انت وضي عنيك بينورو الليل حواليه

والنسمة بتوديني عليك وتعطفك تاني عليا

هنا.. وعلى أعتاب بنايتها.. بجسدٍ نحيل تكسوه عباءة سوداء.. ووجهٌ لم يعد مكاناً لغير الحزن فيه.. ظهرت أخيراً حياة.. تحمل حقيبة سفر كبيرة إلى حدِّ ما في يدها أخذت تسحبها خلفها بصعوبة.. هاهي ذي.. ذبابته الكبرى الذي أحاط بها كفيه استعداداً للحظات الأخيرة.. لم ينتظر حتى أن ينتهي من كوب الشاي في يده.. أعاده إلى مكانه نصف ممتليء.. ثم مدَّ يده في جيبه مخزجاً بعض النقود وضعها فوق الصينية النحاسية متعجلاً.. قبل أن ينهض متجهاً في خطوات بطيئة نحوها حاول خلالها إخفاء بريق انتصارٍ واضح في عينيه وهو يقول:

- إيه يا حياة؟ رايحة على فين بدرى ولوحدك كده؟

بعينٍ خاويةٍ نظرت له دون أن تجيب.. فقط هزت رأسها بلا معنى.. ثم همَّت من جديد بسحب حقيبتها مُكملة الطريق.. استوقفها مرة أخرى وهو يمدُّ يده حاملاً عنها الحقيبة في شهامةٍ مصطنعة قائلاً:

ساحر الكتب

- عنك انتي.. الشنطة ثقيلة عليكي.. أنا معاكي قوليلي بس عايزة تروحي بيها فين وأنا أوديكي..

مرة أخرى لم تجبه.. كانت في عالم آخر بمعزل عنه تمامًا.. لم تكن حتى تدركه.. سارت وهو جوارها في صمت حاملاً الحقيقة.. متجهًا معها نحو بداية الشارع لانتظار إحدى سيارات الأجرة.. الوقت لا زال مبكرًا وربما اضطروا للانتظار طويلاً.. هذا ما رغب هو فيه.. مزيد من الوقت..

- حياة

انطلقت تلك العبارة من خلفهم تمامًا.. بصوت مئزه كلاهما.. كان هو ناصر.. ذلك الأسمر الذي وقف بحال رثة انعكست في نُحوه الشديد وهيبته غير المهندمة أمام أعينهم التي التفتت نحوه قبل أن يصيح عبوده مُرحبًا به في تلعثم المتفاجيء:

- إيه دا؟ ناصر؟ صباحك ورد يا معلم..

لم بيد على ناصر أيضًا أنه رآه أو شعر به.. وعيناه معلقتان بها فقط..

- انتي رايحة فين؟

قالها بصوتٍ مبحوح فجأويه صمتها وهي تشيح بوجهها بعيدًا قبل أن تهتم بالرحيل مُجددًا مع حامل الحقيقة جوارها.. إنها النهاية كما لم يتوقع في يوم أن يقف شاهدًا على نفسه فيها ومحكومًا عليه.. هو

ساحر الكتب ٢٩٠

الضحية والفاعل.. يعترف بذلك في قرارة نفسه.. اعتراف لا يفضي
أبدأ لراحة ضمير..

لقد ضيعها.. هاهي ذي أمامه تستعد للرحيل حاملة معها أسي حلم
أضاعه.. وخزي فشل دون ذنب وصمها به.. ترحل مُرصعة في عينيه
الآن بيريقي لم يسبق له أن انبعث..

- حياة..

بات اسمها وصفاً لما تعنيه له في تلك اللحظة.. بدأ لاسمها داخله
مذاق سيظل مُعلقاً في ذاته يعتصره اعتصاراً كلما تذكرها..

- حياة..

استطرد بالاسم مرة أخرى قبل أن يتابع محاولاً التشبُّث بأخر أمل له:
- أرجوكي استني..

نظرت إليه.. وبشفتين مرتعشتين تمتمت:

- مش هينفع.. أنا أسفة..

للمرة الأولى من عمرها تجد في نفسها القدرة على اتخاذ القرار..
ربما للقهر العاصف بكيانها.. أو لنظرة انكسار في عينيه جعلتها تبدو
قوية.. الآن يبدو الاختيار أمامها سهلاً مريحاً ومرضٍ..

أنت لا تستحق انتظاري يا ناصر..

ساحر الكتب

٢٩١

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

أنت أقل من أن أبقى لأجلك..

وأنت تعلم ذلك حتى وإن لم تخبرني به..

تدرك بداخلك كم معاناتي وصمتي..

وتدرك الآن لحظة خيانتك التي حررت بها قلبي من قبضةٍ كانت تمتلكه
وكان مخلصاً لها..

الآن يفهم نظراتها إليه ويفهم ما تعنيه.. إن أفضل أساليب الانتقام هو
الغفران.. وهاهي ذي تمنحه إياه.. تمنحه وحدةً لن يجدها وسط زخمٍ
من ذكريات سيلعن نفسه فيها ألف مرة..

- إن متأكد أكثر مني إنها بنت حلال.. ولو كنت لفيت العالم مكنتش
هتلاقي واحدة أحسن منها تستحملك وتستحمل ظروفك.

"أرى أن تعود الآن يا ناصر"

"لو فضلت عمرك كله تلوم الدنيا عالي اديتهولك.. هيضع منك..
وبرضو مش هتديك غيره.."

"أرى أن تعود الآن يا ناصر"

"كل الغالي ليك رخيص"

"أرى أن تعود الآن يا ناصر"

كل كلماتهم تنحسر في نهايتها لتكوين وجه الحب الصادق الذي حطمه

ساحر الكتب ٢٩٢

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

بكلتا يديه..

حياة..

هي التي طالما كفر بكونها.. لو أنه علم بلحظة كتلك.. لَوَقَّرَ اسمها في ذاته تسبيحاً.. ها هي الآن ترحل..

حدّث بها نفسه وعيناه تتبعان سيارة الأجرة التي توقفت أمامهم لتقلّها إلى وجهتها التي لم تخبر بها أحداً.. ستعود من حيث أتت..

الى تلك القرية الصغيرة.. ذلك الريف الأخضر البسيط.. أمله أن تجد بين أغصان شجيراته.. أو فوق حوائط مساكنه الطينية.. براعم طفولة بريئة.. وضحكة نقية.. تركتها ذات يوم هناك.. ستعود خالية الوفاض إلا من أسى.. بحثاً عن خال يحتويها وعزوة تشاركها أساها.. كلماتها الأخيرة هي كل ما تركت..

"مش هينفع"

لقد سدَّ بحماقته كلَّ منافذ العودة.. أغلق السطر الأخير بنقطة لا تعديل فيها.. وتبنّت له أوجاعه.. هذا الوجع بقاياكي.. أفكاره بكل ما استحوذ عليه فيها من وهم.. ستصاحبه كل الصور.. كل الوجوه.. ستظل معلقة حول رأسه تدور في سقّف خياله كلما أغلق عيناه متأملاً العدم..

يحيى.. درويش.. نرمين.. مصطفى.. ندى.. وحتى عبودة..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ذلك البدين الواقف أمامه يرمقه بنظرة حملت من التشفي بقدر ما
حمل عقله من ضياع. فلتتشفي كما شئت..

لن أعترض.. ولن يختزل هذا وجعاً يترعب أركان ذاتي..

كلانا نشبه بعضنا بعضاً في الغدر.. أنا غدرت بما أملك .. وأنت ..
غدرت لكي تملك .. كلانا خان.. وكلانا خسر.. لتجوه هي..

تعالى صحّي أمل نايم تصحى على إيديك أفراحه

تعالى شوف قلبي الهايم من نار حنينه وجراحه

وانت كنت خايف من الظالم .. الظلم والظالم راحو

هاهي الآن ترحل ..

وهاهو واقف يتابعها بعين العجز..

لكم تمنى أن يغير الواقع حينها..

لكم تمنى أن يعود به الماضي لأيام مضت يمكنه فيها تغيير تلك
النهاية..

لكن الماضي لا يعود..

أبدًا..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

النهاية

في أحيانٍ قليلة.. لا يبدو للزمن المحيط بنا أي تأثير أو قيمة..

لَكَمْ من ساعة مرّت وأنا لازلت هنا على وضعي أجلس في الساحة المتسعة للفندق مُمسكًا بالقلم الذي خطُّ فوق الأوراق البيضاء تحته بضع سطور..

أَكَمْ من وجوهٍ تبادلت مقاعد الانتظار الوثيرة أمامي.. السّاحة التي كانت خالية في بداية اليوم لم تُعدّ كذلك.. والسماء بشمسها الحمراء المُودعة تُعلن من خلف واجهة المدخل الزجاجي رحلة المغيب ليومٍ أدرك لحظاته الأخيرة..

إنه اليوم العشرون من شهر سبتمبر لسنة ٢٠١٥ م.. إنها الخامسة والنصف مساءً.. إنني أجلس.. يرافقني هو.. كان ينتظرها.. وكذلك كنت بعينيّ التي انتقلت نحو سلّم المكان في تلك اللحظة مترقبًا صوت خطوات أقدامها التي انسلّت عبر أذني حقيقية واضحة قبل أن تظهر

ساحر الكتب

هي على قمته..

بفستانها الأبيض وشعرها الأسود البراق كعادته تُخفي خصيلاته
المتطايرة جزءاً من الجرح الدقيق فوق جبهتها..

كانت رائعة.. نظرت نحوي.. رمقته بابتسامة هي الأجل.. ثم هبطت..
بخطواتٍ ملائكيةٍ اقتربت فيها منّا..

أنا مصطفى محمود عبد العزيز طایل..

المهندس الناجح.. ذلك العقلاني المتردد الذي تشبث على مدى
أربعين عاماً بالواقع.. الرجل الذي احتلته حياته العملية كما سبق
وأخبركم هو - الآخر - عني..

مصطفى محمود عبد العزيز طایل..

الضمير الذي احتلته أعلامها وسكنني.... فأراني الأمور كما يجب.. كنا
اثنان احتوانا جسداً واحداً.. ماضيه أنا.. وهو المستقبل.. إلى جوار
جلست فالتفت إليها وابتسم.. مدّت كفها الرقيق تحتضن كفي فسرى
الدفء في أوصاله باعثاً خلالها قشعريرة سرت في جسده بالكامل..

نظرت نحوي تسأل:

- عامل إيه دلوقتي يا مصطفى؟

عبر شفتاي أجابها بصوته المنبعث من أعماقي:

ساحر الكتب

٢٩٦

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

- مبسوط .. مبسوط أوي يا ندى..

تمتت مبتسمةً بنبرةٍ أدركت أنها لن تفارق مخيلتي ما حييت:

- خلاص الرحلة انتهت؟

هزُّ رأسه في بطاء..

ربما انتهت.. ولكنك أبداً لن تنتهي..

ستظللين في قلبي هنا باقية.. وسيبقى رحيلك أمراً غير مسموح به.. لم يدر اللقاء بكلمات تخرج من بين الشفاة.. كانت النظرات وحدها كافية لصوغ كل شيء.. تابعت عيناه السرد متأملاً فيها بشجن..

عندما وقعت الحادثة.. وفي لحظة ابتسامتك الأخيرة ويدك الممتدة لي من خلف زجاج السيارة المهشم قبل غيابي عن الوعي كانت أقصى آمياتي حينها التشبُّث بك.. آخر أمل لي في الحياة رأيتَه متجسداً فيكي.. وكل ما دونك عدم.. ظلام دامس قضيته في غيبوبة حين أفقت منها أخبروني عن رحيلك..

عندما لقنوني في المستشفى خبر موتك كنت أنا الميت.. لكنهم لم يفهموا.. كنت أدرك وحدي أننا بصدقٍ رحل.. تلك هي الحقيقة الأولى التي اختلف فيها الواقع معي.. في الوحدَةِ نحن أمواتٌ لم نُدفن بعد.. نعيش بما تبقى في حشائنا من أرواحٍ نشتاقي إليها.. كنتُ ميتاً سكنته روحك.. فأحطتها بياسٍ ملائي لم تكن روحك تستحقه..

أنا ميتٌ أحياه لقاء بفتى صغير.. أدرك فيه كيف تظل القلوب المحبة حية حتى برغم فراقها .. واستلهم من كلماتك مرة أخرى لذاته الأمل..

- الحب في اعتقادي كيان.. تكوينه هيئتك .. ومحتواه روحي..

تحركت شفتاهما معًا بالعبارة في وقتٍ واحدٍ امتزجت فيه نبراتهما وهي تكررهما بينما هو يسترجعها..

لا زالت الابتسامة العذبة لم تفارق شفتيها بعد.. تأملت الوريقات المكسدة فوق قدميه وذلك القلم المتأرجح بين أصابعه.. وبجانبين ارتفعا دهشةً في رقّة تسائلت:

- انت بقيت بتكتب يا مصطفى؟؟

اتسعت ابتسامته برغم العبرات التي انسالت فوق وجنتيه مريحة هذه المرة وذكرياته تتحدث:

- اوعي تعملي زي ما عملت أول مرة بصيت فيها على كراستك وشفت اللي بتكتبه؟؟

ضحكت فاهتز قلبه مع ضحكاتهما راقصًا قبل أن تهمس:

- يمكن كان عنك حق.. أصله مش شعر أوي دا اللي كنت بكتبه.. أنا معرفش يتسمى إيه.. بس هيا حاجات كنت لما بحسّها بكتبها..

سألتك لماذا تكتبين الشعر..

ساحر الكتب

٢٩٨

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

وأجبتني لأحياء..

من جوارى مددت يدي ملتقطاً كراستها الصغيرة لأرفعها أمامها
فأشاح الخجل عينيها عنها وهي تسأل:

- لسه بتضحكك؟؟

أجابتها النظرة:

- لسة بتعيشني.. كل حرف فيها يحييني..

تلك الكلمات التي سجّلتني بها حلماً وددت في يوم أن تصنعيه سأكمله
أنا..

أنا ماضٍ يا ندى لم يكن يفهم.. وحاضرٌ يحيا بضميرٍ جديد.. ضمير
بات يُخاطبني.. ويُغيّر نظرتي للحياة.. غيّر في عيني المنطق المأفون
الذي لا يدرك سوى الموجودات مهملاً كل ما سواها.. غيّر روحي
التي تركتها في الماضي مدفونة تحت أنقاض روتين لم أعشقه بقدر
خوفي من تجاوزه.. صنعت الأسوار الشائكة حولي من نظرات الناس..
وفروضات المجتمع..

أنا مش عارف اللي كنت فيه دا كان خوف؟؟ وللا غباء؟؟ أنا لو ما كنتش
قابلتك ما كنتش اكتشفت حاجات فيا عمري ما تخيلت أصلاً قبل كده
إنها موجودة..

ساحر الكتب

الآن أكتب خواطري مثلك.. أسجل فوق الورق مشاعر قد تُبقيني كما
أبقتك.. أرسم بالكلمات ملامحك في كل لحظة تستحضرك مُخيلتي
فيها.. وأصف باستحضارك كل ما تمنينا سوياً أن نحياه.. موقفاً أسفل
السطور بضميرٍ مستترٍ.. تقديره أنت..
انتِ كنتِ صحَّ يا ندى..

أهم ما في الحياة هي الحياة نفسها.. أن نحياها كما نريد.. لا كما
يُفرض.. ذلك الواقعيّ الداخليّ الذي لم يُؤمن بنظرات الحب الأولى قد
رحل.. تلاشى ذائباً واستبدل كينونته شخصاً آخر يفهم الآن كلماتك
ويُدركها.. شخصٌ لا يرى في الوجود سواك..

كانت صورتها القابعة أمامه مع الابتسامة واضحة رغم تلاشيها..
يظهر من خلفها هذان اللذان دلّنا إلى المكان لتوهما.. شاب التقاه
من قبل اسمه يحيى.. يحمل في يمينه حقيبة سفرٍ بينما تحتضن ذراعه
الأيسر في شغفٍ للاحتواء فتاة..

تلك هي نرمين إذن.. تبدو سعيدة تماماً كما تخيلها..

بتجه كلاهما نحو مكتب الاستقبال.. بينما يرمقه الأول بنظرة امتنان
مختلسة لم تلحظها هي..

هاقد وصلّا.. وها قد آن أوان الرحيل..

انقضى شهر العسل.. وتمت رحلته..

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

لَمَلَمَ حفنة الأوراق أمامه.. وطلّواها داخل كراسية خضراء صغيرة
ماعدت أبدأ تُفارقه.. ثم نهض.. مُتبقياً له من ملامحها المحفورة في
خياله.. ابتسامة رضا اتسعت لتشمل كل ما حوله.. ابتسامة استبقاها
ذلك الجزء الذي كان مُهملاً داخله طيلة أعوام مضت.. ثم استعادته
في لقاء ظنّ حينها خطأ أنه صدفة.. مع فتى صغير.. اسمه مروان..
ابتسامة أغمض عليها عينيه للحظة.. ولها ابتسم..

لقد أدرك الحقيقة أخيراً.. تراءى له ذلك الجزء المغمور من جبل الثلج
الذي لم يلتفت يوماً لوجوده.. أدرك أن ثمانين بالمائة من حقيقتنا
تكمن في التفاتة مختلسة بعد نهاية لقاء لم يلاحظها أحد.. في كلمات
أطبقتنا عليها الشفافة دون أن تُنطق.. في أصوات يبقى صداها..
ومشاعر حتى وإن لم يختبرها سوانا.. فهي تظل دوماً هناك.. تملأ
الرفوف المهملة بداخلنا.. وتنتظر يوماً نزيح فيه عنها ما تراكم من
غبار.. لقد أدرك أن الواقع لا يبدو كثيباً مُوحشاً إلا بقدر قصور أعيننا
عن رؤية مَوَاطن الحُسْن الكامنة فيه.. وأنه حتى الموت نفسه.. بكل
ما له من قدسية وما فيه من اكتمال حقيقة.. قد تعجز عبااءات حزنه
السوداء أحياناً عن اختراق حرم الذكرى المرصعة بابتسامات وجه
بشوش.. في قلب عاشق..

ساحر الكتب

٣٠١

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

وربما ماتت.. فإن الموت يعشق فجأة مثلي وأن الموت مثلي لا يحب
الانتظار..

محمود درويش - شاعر فلسطيني

تمت بحمد لله

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SATERALKUTUB.COM

المؤلف في سطور

كاتب مصري ومصمم جرافيك.

- ولد عام ١٩٨٤م في الرياض بالمملكة العربية السعودية.

- درس بكلية الآداب قسم اللغة العبرية.

- دفعه اهتمامه بالرسم للالتحاق بدبلومات مختلفة للدعاية والإعلان

- يعمل بوظيفة أخصائي إعلامي بأحد الجهات الإعلامية

- له تجارب سابقة في المجال الأدبي حيث كتب بعض القصص القصيرة

تم ترجمتها الى الألمانية ونشرت عبر مجلة لي __لاك التابعة لمعهد

جوتة .

- أمضى فترة في دراسة كتابة السيناريو والحوار بمؤسسة صوت القاهرة

للصوتيات والمرئيات في الفترة ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م

- عمل عام ٢٠٠٦م كمخرج فني لإحدى المجلات الدعائية ونشرت له على

صفحاتها مجموعة حلقات بوليسية شهرية مسلسلة.

- حصل على جائزة الدكتور نبيل فاروق في القصة القصيرة في مسابقة

اتحدى موهبتك التابعة لموقع روايتي الإلكتروني عام ٢٠٠٥م

- صدر له رواية "أوتيزم" عام ٢٠١٥ عن مؤسسة إبداع.

٣٠٣
ساحر الكتب
WWW.SATERALKUTUB.COM



للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

ساحر الكتب

WWW.SA7ERALKUTUB.COM

سائر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

سائر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

كل الأشياء التي لم ألاحظها ..
 أنفاس رغم أنها تبقيني لم أحاول يوماً رصدها ..
 تلقائية كانت .. مستمرة .. معتادة كسائر التفاصيل البسيطة ..
 بصمات فوق النوافذ .. ودفء ينبعث من فراش لم يكن خالٍ ..
 كل ما تناسيت وجوده وأمضيت دونه الطريق ..
 كل عبق لا يرى أتاني محملاً بما أبغيت فأهملته ..
 كل لحظات السعادة ..
 وكل أثر قدم منطبع على رمال سرت فوقها ذات يوم برفقتها ..
 صاحبة السمو ..

#رامي

ضمير مستتر تقديره له



رامي أحمد - كاتب مصري ومصمم جرافيك
 أخصائي إعلام درس كتابة السيناريو وله تجارب قصصية ومقالات
 سابقة ترجم عدد منها ..
 صدرت له رواية أوتيزم حول مرض التوحد والتي تناولت الجريمة
 النفسية عن مؤسسة ابداع للنشر في العام ٢٠١٥



جروب
 ساحر الكتب

إبداع
 مؤسسة ابداع للنشر

ساحر الكتب
 www.saharalbooks.com